روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

29

وراء العقل

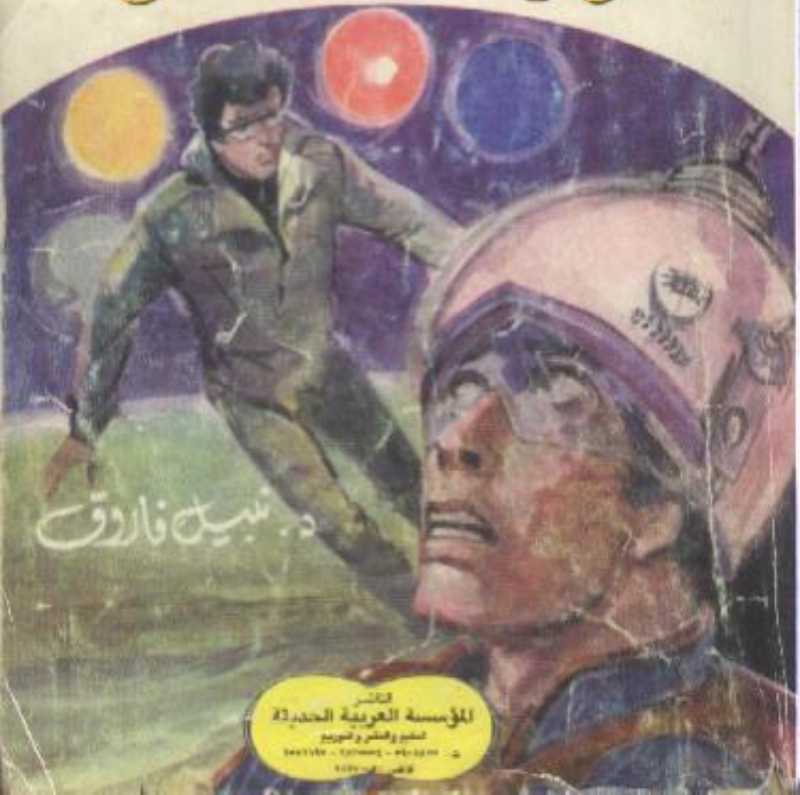

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ اتصـــال ..

هدوء عجيب خيم على تلك الصحراء ، التى بدت وكأنها تمتدّ إلى ما لا نهاية ، أمام عينى (رمزى) ، الخبير النفسى فى فريق (نور) ، الذى راح يسير فوق رمالها ، فى حيرة وتوتر بلا حدود ..

لم تكن رمالاً صفراء عادية ، كتلك التى نراها فى أية صحراء ..

بل ولم تكن حتى بيضاء أو رمادية ..

كانت رمالاً خضراء ..

خضراء لامعة ، وكأنها حبيبات من الزمرد(*) أمطرتها السماء فى ليلة عاصفة ..

(*) الزمرد : حجر كريم ، أخضر اللون ، يوجد فى صخور الرخام والشست الميكانى ، وأشهر منلجمه فى جنوب (مصر) ، حيث كشفه قدماء المصريين ، واستغلوه استغلالاً كبيرًا ، ثم اختفى لفترة طويلة ، قبل أن يعاد كشفه فى العصور الحديثة ، والزمرد يستخرج أيضًا فى (كولومبيا) ، و(الأكوادور) ، و(بيرو) فى (أمريكا الجنوبية) .

وكانت باردة ..
باردة كالثلج ..
ومن بعيد ، كانت تشرق أربع شموس ..
بأربعة ألوان مختلفة ..
شمس زرقاء ..
وأخرى أرجوانية ..
وثالثة صفراء كبيرة ..
ورابعة رمادية صغيرة ..
وبكل الحذر ، خطا (رمزى) فوق الرمال الباردة ..
لم يكن يدرى أين يذهب ، وإلى أين تقوده خطاه ..
ولكنه سار ..
وسار ..
وسار ..

شىء ما فى أعماقه ، كان يدفعه إلى السير نحو هدف ما ..
هدف مجهول ، لا يبدو أمام عينيه ..
حتى الأفق ..

ثم فجأة ، التقطت أذناه ذلك الصوت ..
صوت خافت يأتى من مكان ما حوله ..
أو من كل مكان حوله !!
صوت أشبه باللهاث ..
أو بشخص يتنهّد فى حرارة ..
وتوقّف (رمزى) ..
توقّف وقلبه يخفق فى قوة وعنف ..
وبصوت ارتجفت نبراته ، هتف :
ـ من هناك ؟!

لم يكن يدرى ما يمكن أن تعنيه كلمة (هناك) فى مكان كهذا ، ولكنه هتف بأوّل عبارة قفزت إلى ذهنه ..
ثم انتظر الجواب ..
ولثوان ، بدت كالدهر ، لم يتلقّ جوابًا واضحًا ..
فقط صوت التنهيد واللهاث ..
ثم بدا صوت آخر ..
صوت شخص يتحدّث بكلمات خافتة ..
خافتة للغاية ..

وأرهف (رمزى) سمعه ..

وأنصت ..

وأنصت ..

وأنصت ..

« إنه أنا يا (رمزى) .. »

ميّز العبارة فجأة ..

وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يهتف :

ـ (محمود) .. أهو أنت ؟!

أتاه صوت زميله وصديقه القديم ، وهو يجيب :

ـ نعم .. هو أنا(*) .

صرخ (رمزى) ، بكل لهفة الدنيا :

ـ أين أنت يا (محمود) ؟! أين أنت يا صديقى ؟!

جاء الجواب خافتًا مقتضبًا إلى حد مخيف :

ـ هنا .

هتف (رمزى) :

ـ أين يا (محمود) ؟! أين ؟! ما هذا المكان ؟! أين نحن بالضبط ؟! أين ؟

(*) راجع قصة (الزمن ـ صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

أجاب الصوت بعبارة ما ..

عبارة شديدة الخفوت ، حتى إن (رمزى) لم يمكنه تمييزها قط ..

وابتعد الصوت ..

وابتعد ..

وابتعد ..

وصاح (رمزى) فى هلع :

ـ لا تبتعد يا (محمود) .. عد .. عد يا (محمود) .. عد ..

« (رمزى) .. استيقظ .. »

انتفض جسده فى عنف ، وهو يفتح عينيه فى ارتياع ، ويحدّق فى وجه زوجته (نشوى) ، التى ربّتت على وجهه فى حنان ، وهى تسأله مشفقة :

ـ أهو الكابوس نفسه ؟!

كان وجهه يتصبّب عرقًا فى غزارة ، وهو ينهض جالسًا على طرف الفراش ، ويومئ برأسه إيجابًا ، فسألته فى صوت أقرب إلى الهمس :

- هل تشعر بالعطش كالمعتاد ؟!

أومأ برأسه مرة أخرى ، وهو يغمغم :

- وكأنى أعود من صحراء حقيقية .

أسرعت تحضر له كوبًا من الماء ، فجرعه فى لهفة ، ولهث كمن يعدو لألف كيلومتر دفعة واحدة ، قبل أن يتمتم :

- كم أشعر بحزن بلا حدود ، كلما هاجمنى ذلك الكابوس البشع .

هزّت رأسها ، قائلة فى تعاطف :

- ربما يرفض عقلك الاقتناع بأن (محمود) لم يعد هنا .. بيننا .

قال فى توتر :

- ولكنه لم يمت أيضًا .

قالت فى حزن :

- ومن أدراك ؟!

أجاب فى سرعة :

- هو أخبرنا بنفسه .

ثم التفت إليها ، مستطردًا فى انفعال :

- أنسيت تلك المغامرة هناك ، فى كوكب الطغاة(*) ؟!

(نور) قال : إن (محمود) أنقذ الجميع ، عندما اتصل به من عالم آخر .. عالم ألقاه إليه نهر الزمن .

ترددت لحظة ، قبل أن تقول :

- (رمزى) .. كلنا أشد منك رغبة فى أن تستعيد (محمود) ، ولكن كل شىء بيد الله (سبحانه وتعالى) .. ربما كان (محمود) حيًا ، عندما حدث ما حدث ، على كوكب الطغاة ، ولكن من يدرى كيف هو الآن ؟!

قال فى حزم عصبى :

- إنه حى يا (نشوى) .. حى .. أنا أشعر بهذا .

هزّت كتفيها فى حذر ، قائلة :

- الرغبة وحدها لا تكفى لـ ..

قاطعها فى انفعال :

- وماذا لو أن هذا ليس كابوسًا ؟!

(*) راجع قصة (كوكب الطغاة) .. المغامرة رقم (١١١) .

تطلّعت إليه فى دهشة ، مغمغمة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب بانفعال أكثر :

ـ أعنى أنه ربما يكون ما أراه هو محاولة .. محاولة اتصال من عالم آخر .

ثم مال نحوها ، مستعيدًا حزمه الكامل ، وهو يضيف :

ـ العالم الذى يسجن (محمود) بين جدرانه .

واتسعت عيناها فى ارتياع ..

فالاحتمال كان واردًا بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« إننى أوافقك على هذا يا (رمزى) .. »

نطقت (سلوى) العبارة فى حماسة ، وهى تمسك بطنها ، الذى تكوّر مع أشهر حملها الأخيرة ، ولوّحت بيدها الأخرى ، متابعة :

ـ ربما كانت محاولة من (محمود) ، للاتصال بك عقليًا ، من العالم الذى انتقل إليه ، بعدما أصابه فى نهر الزمن .

انعقد حاجبا (نور) دون تعليق ، وارتسم الشك على وجه (أكرم) ، فى حين تساءل (رمزى) فى حيرة متوترة :

ـ ولماذا أنا ؟! لماذا لم يحاول الاتصال بـ (نور) مثلاً ، كما فعل فى المرة السابقة ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً فى هدوء :

ـ للعقل البشرى عجائبه يا صديقى ، ولا أحد يمكنه تفسير ما يفعله ، فى كثير من الأحيان ، وبخاصة عندما يتعلّق الأمر بأمور تتجاوز الحدود الطبيعية المألوفة .

سألته (سلوى) ، فى حماسة :

ـ أتعنى أنك تصدّق ما حدث ؟!

أجاب بنفس الهدوء :

ـ إننى أصدق أن (رمزى) قد مرّ بالتجربة عدة مرات ، ولكننى لم أقرّ بعد ، ما إذا كانت محاولة اتصال بالفعل ، أم أنها انعكاس لفكرة غارقة فى العقل الباطن ، تسعى للظهور ، من خلال عالم الأحلام .

بدا التردُّد على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ هذا احتمال وارد أيضًا .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

ـ بل هو الاحتمال المنطقى بالنسبة لى .

أجابته (نشوى) فى حزم :

ـ ربما كان كذلك ، ولكننا لانستطيع إهمال الاحتمال الآخر ، فلو أنها محاولة اتصال من عالم آخر ، فهذا يعنى أن (محمود) بحاجة إلينا ، ولايمكننا أن نتجاهل هذا أبدًا .

انعقد حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

قلب (أكرم) كفيه ، قائلاً فى عصبية :

ـ وحتى لو أنها كذلك .. ما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

أجابته (سلوى) فى حماسة :

ـ أن نعمل على تقوية الاتصال .

هتف محتدًا :

ـ إنه ليس اتصالاً على واحدة من موجات اللاسلكى ، حتى يمكنك استقباله وتقويته يا (سلوى) .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لكل شىء وسائله .

غمغم (رمزى) فى توتر :

ـ هذا صحيح .

رفع (نور) عينيه إليه ، وتأمّله بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يعتدل فى مجلسه ، ويسأله فى اهتمام :

ـ ما الذى تقترحه ؟!

أطلق (رمزى) زفرة عصبية ، قبل أن يجيب :

ـ الدكتور (رائف عبيد) .

التفتت إليه العيون كلها فى تساؤل ، فتابع فى سرعة :

ـ إنه أحد العلماء المعروفين ، فى مجال أبحاث العقل ، وله العديد من الدراسات ، حول القدرة على التخاطر ، والاتصال الذهنى البعيد ، وتحريك الأشياء عن بعد ، وغيرها من القدرات العقلية الفائقة .

قال (أكرم) فى حيرة :

ـ وكيف لم نسمع عنه قط ؟!

أجابه (رمزى) بنفس توتره :

- ربما لأنك لا تهتم كثيرًا بهذا المجال .. أو لأن الرجل لا يميل للدعاية ووسائل الإعلام .. أو لأنه منعزل تقريبًا عن العالم ، ومستغرق فى تجاربه وحدها .

همّ (أكرم) بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن تساءل (نور) فى اهتمام :

- وما الذى تتوقّع أن يفعله الدكتور (رائف) هذا ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا :

- لست أدرى .

ارتسمت خيبة الأمل على وجه (أكرم) ، فاستدرك فى سرعة :

- ولكن لو أنه عجز عن مساعدتنا ، فسيعنى هذا أنه لا توجد وسيلة واحدة لهذا ، فى العالم أجمع .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، ثم عاد (نور) يتراجع فى مقعده ، وهو يقول :

- هذا يحسم الأمر إذن .

ثم لوّح بيده ، مستطردًا :

- سنتجه بالأمر كله إلى الدكتور (رائف) .

تردّد (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- أخشى أن هذا لن يكون سهلاً .

سألته (سلوى) :

- ولمَ لا ؟!

أجاب فى توتر :

- أخبرتكم أن الرجل مستغرق تمامًا فى أبحاثه وتجاربه ، وربما يرفض إضاعة وقته من أجل هذا .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- لو أنه عالم حقيقى فلن يفعلها .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :

- أخبرنى أين يقيم الدكتور (رائف عبيد) هذا ، وسأتولّى بنفسى عملية إقناعه .

قال (رمزى) :

- هذه مشكلة أخرى .

سألته (نشوى) فى حيرة :

- أية مشكلة ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ الدكتور (رائف) يقيم وحده ، مع مساعده وحارسه الخاص ، فى فيلا صغيرة فى (الإسكندرية) ، داخل أرض مساحتها ألفا متر مربّع ، ورثها عن عائلته ، وأحاطها بسور مكهرب ، ارتفاعه ستة أمتار ، حتى يمنع الفضوليين والصحفيين والمتطفلين ، واللصوص أيضًا من الاقتراب منه .. والفيلا مقامة فى منتصف قطعة الأرض تمامًا ، وكأنها جزيرة منعزلة وسط المحيط ، وفيها معمله وأجهزته ، وكل ما يحتاج إليه فى عمله وتجاربه الخاصة جدًا .

ارتفع حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

ـ هذا يبدو لى أشبه بمشهد مخيف ، من أحد أفلام الرعب ، التى تروى قصة عالم مجنون ، يتحوّل إلى سفاح رهيب ، يغرق فى دماء ضحاياه ، منذ بداية الفيلم ، وحتى كلمة النهاية .

ارتسمت ابتسامة متوترة ، على شفتى (رمزى) ، وهو يقول :

ـ يا له من خيال خصب !

غمغم (أكرم) :

ـ كل النساء يتمتعن به .

ابتسم (نور) ، وهو ينقل بصره بين زوجته وابنته ، وكأنما يرى رد فعلهما ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن .. سنذهب أنت و(أكرم) وأنا إليه ، ونحاول إقناعه بقبول مساعدتنا .

قالت (نشوى) معترضة :

ـ وماذا عنا ؟!

أجابها فى حزم :

ـ (سلوى) لا يمكنها بذل أى جهد ، فى أيام حملها الأخيرة هذه ، وأنت مضطرة للبقاء ؛ لرعاية (محمود) الصغير .

مطّت شفتيها ، وكأنما لا يروق لها أن تبقى ، فى حين غمغمت (سلوى) فى توتر ، لم تدر هى نفسها سببه :

ـ انتبهوا لأنفسكم جيّدًا ، ولا داعى للمجازفة .

قهقه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ المجازفة ؟! أية مجازفة ؟! ما الذى يمكن أن يحدث ، فى مكان كهذا ؟!

لم يجب أحدهم تساؤله ، الذى بدا وكأنما لا ينتظر أية أجوبة ..

ولكن السؤال تكرّر بلا وعى ، فى أذهان الجميع ..

تُرى أى شىء يمكن أن يحدث هناك ؟!

أى شىء ؟!

* * *

٢ ـ مطلق العقول ..

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة حقيقية ، وسيارة (نور) تنحدر ، عبر ذلك الطريق المرتفع ، نحو المنطقة المهجورة ، التى أقام فيها الدكتور (رائف عبيد) فيلته ..

كان المشهد بديعًا بكل المقاييس ، وأنت تهبط من المرتفع ، نحو قطعة الأرض الواسعة ، التى تطلّ على البحر مباشرة ، والتى أحيطت بسور مرتفع أنيق المظهر ، وتوسطتها تلك الفيلا الصغيرة ، ذات اللون الأبيض ، الذى صنع مع الرمال الصفراء ، والبحر الفيروزى الهادئ صورة أجمل من أن توصف ، حتى إن (أكرم) هتف فى حماسة :

ـ ربّاه ! هذه البقعة تصلح لإقامة قرية سياحية رائعة .

أومأ (رمزى) برأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، وخاصة أنها مقامة على لسان داخل البحر ، بحيث تحظى بخصوصية مدهشة ، يسيل لها اللعاب .. والواقع أن الدكتور (رأفت) قد تلقّى عشرات العروض ، بمبالغ ذات ستة أصفار ، لبيع الفيلا وقطعة الأرض ، ولكنه كان يرفض مجرّد مناقشة الفكرة .

غمغم (نور) ، وهو يتجه نحو المكان :

ـ لو أننى فى موضعه لفعلت المثل .. ليس من السهل أن يتخلّى المرء عن تحفة كهذه .

وافقه (رمزى) بإيماءة أخرى من رأسه ، وقال :

ـ خاصة وأنها تحقّق له الخصوصية التى ينشدها .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (رمزى) : لماذا يحتاج رجل مثله إلى الخصوصية البالغة هذه ؟!

أعنى أنه يجرى تجاربه على العقول البشرية .. ألا يدعوه هذا إلى الاختلاط بالناس والتعامل معهم ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لكل أسلوبه .

مطّ (أكرم) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا للعلماء !

ابتسم (رمزى) دون تعليق ، فى حين أوقف (نور) سيارته أمام بوّابة قطعة الأرض الكبيرة ، وهبط منها ، قائلاً :

ـ أتعشّم أن يرضى باستقبالنا .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ المفترض ألا يرفض هذا .. لقد حصلنا على موعد سابق .

قال (نور) فى بساطة ، وهو يضغط جرس البوّابة :

ـ العلماء لهم أطوارهم الغريبة .

تراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ هذا ما أقوله دائمًا .

بدا التوتر على (رمزى) ، وهو يتطلّع فى ترقُّب إلى (نور) ، الذى وقف ثابتًا هادئًا ، حتى سمع صوتًا خشنًا جافًا ، يأتيه عبر جهاز اتصال محدود ، قائلاً :

ـ من ؟!

أجابه بنفس الهدوء :

ـ المقدّم (نور الدين محمود) .. من المخابرات العلمية .. لدى موعد مع الدكتور (رائف) .

جاوبه الصمت لبعض الوقت ، قبل أن ينبعث ذلك الصوت الخشن الجاف مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ابتعد قليلاً يا هذا .

تراجع (نور) فى هدوء ، وواجه عدسة آلة المراقبة ، المثبتة فوق الجرس لبضع لحظات ، ليمنح الرجل فرصة رؤيته جيّدًا ، قبل أن يقول الصوت نفسه فى توتر :

ـ وماذا تريد منى المخابرات العلمية بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حزم مقتضب :

ـ استشارة .

سأله فى حدة :

ـ ومن قال إننى مستعد لتقديم استشارات ؟!

قال (نور) :

ـ لا يوجد سواك ، فى هذا الشأن .

جاوبه الصمت طويلاً ، وعدسة آلة المراقبة تدور فى بطء ، لترصد (أكرم) و (رمزى) ، داخل سيارة (نور) ، قبل أن يقول الدكتور (رائف) فى خشونة :

ـ لماذا أنتم ثلاثة أفراد ؟!

أجابه (نور) ، محاولاً السيطرة على هدوئه :

ـ هذا أقل عدد يتطلبه الأمر .

مضت لحظة صمت أخرى ، قبل أن يسأل الرجل فى عصبية :

ـ أأنتم هنا فى مهمة رسمية ؟! أعنى هل أتيتم لإلقاء القبض علىّ ؟!

قال (نور) فى دهشة :

ـ إلقاء القبض عليك ؟! كلاّ بالطبع يا دكتور (رائف) .. ولماذا نفعل باللّه عليك ؟

سمع زفرة ارتياح واضحة ، قبل أن يقول الرجل ، وقد هدأت نبراته كثيرًا :

ـ آه .. بالفعل .. لماذا تفعلون ؟!

ثم انطلق أزيز رفيع حاد ، انفتحت معه البوّابة المعدنية ، واستعاد الصوت صرامته وخشونته ، وهو يقول :

ـ أمامكم خمس ثوان فحسب وبعدها ستُغلق البوّابة آليًا ..

لم يكن هناك مبرّر لتلك المهلة القصيرة للغاية ..

ولكن (نور) لم يضع ثانية واحدة ، فى الاستنكار والتساؤل ..

لقد وثب داخل سيارته ، وضغط دوّاسة الوقود ، وهو يهتف برفيقيه :

ـ تشبثا .

وقبل حتى أن يفعلا ، كان ينطلق نحو البوّابة المفتوحة ، ويعبرها بسيارته ، ثم يتجاوزها ، متجهًا نحو الفيلا الصغيرة ..

ومن خلفهم ، عادت البوّابة تُغلق ، (أكرم) يهتف محنقًا :

ـ أى وغد مجنون هذا ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر :

ـ الرجل يميل للعزلة ، ويكره التعامل مع الغرباء .

هتف (أكرم) :

ـ هذا لا يمنحه الحق فى كل هذه السخافات .

غمغم (نور) ، وهو يتوقّف أمام باب الفيلا :

ـ من يدرى ؟!

فى نفس اللحظة التى نطق فيها كلماته ، برز من الفيلا شخص ضخم الجثة ، أشبه فى جسده وملامحه بغوريلا برية ، جاءت من أعماق الأدغال ، وخصوصًا بحاجبيه الكثين ، وعينيه الصغيرتين ، اللتين تخفيان ما يدور فى أعماقه ، بضيقهما وبلالتهما ..

وبدهشة حقيقية ، هتف (أكرم) :

ـ أهذا هو خبير العقول ؟!

أجابه (رمزى) مبتسمًا :

ـ كلا بالطبع .. إنه مساعده ، أو حارسه الخاص .

غادر ثلاثتهم السيارة ، وتقدّم (نور) نحو الضخم ، قائلاً :

ـ لدى موعد مع الدكتور (رائف) ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، دار الضخم على عقبيه ، وتقدّم داخل المكان ، دون أن ينطق بحرف واحد ، أو يبدو عليه حتى أنه قد سمع عبارة (نور) ..

وفى سخرية عصبية ، غمم (أكرم) وهم يتبعونه :

ـ (سلوى) كانت على حق .. إنه أشبه بأفلام الرعب القديمة .

تمتم (رمزى) فى خفوت :

ـ صدقت .

كان الضخم يقودهم عبر ممرات ضيقة ، مضاءة بمصابيح خافتة ، أضفت على المكان كله رهبة

وغموضًا عجيبين ، جعلا الجميع يلوذون بصمت تام ، حتى بلغوا بابًا كبيرًا ، فى نهاية أحد الممرات ، فطرقه الضخم مرتين ، ووقف ينتظر فى احترام ..

ومن داخل المكان ، بدا وقع أقدام يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انفتح الباب ..

وغمر الضوء الممر كله ..

ضوء ساطع ، جعل الثلاثة يغلقون عيونهم لحظة ، و (أكرم) يطلق سبابًا ساخطًا ، ثم يفتح عينيه ، متمتمًا :

ـ معذرة .. لم أنتبه إلى هذا .

ابتسم رجل نحيل طويل ، ذو شعر ناعم قصير ، وشارب ولحية صغيرين ، وقال وهو يدس كفيه فى جيبى معطفه الأبيض :

ـ أنا الذى يعتذر عن الضوء الخافت فى الممرات ، ولكنها وسيلة لتوفير الطاقة فحسب .

قالها ، وأفسح المكان لدخولهم ، متابعًا :

ـ تفضّلوا ، على الرحب والسعة .

صافحه (نور) ، قائلاً :

ـ الدكتور (رائف) .. أليس كذلك ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يبتسم ابتسامة لم ترق لهما أبدًا ، ويقول :

ـ كلاّ للأسف .. أنا مساعده (فيليب) ، وهذا حارس المكان (كاظم) ..

قال (أكرم) فى سخرية متوترة :

ـ لقد تعرفناه فى البداية ، وتبادلنا حديثًا ممتعًا ، و ..

قاطعه (فيليب) بابتسامة هادئة ، وعيناه تشعّان مكرًا ودهاء :

ـ عجبًا ! (كاظم) لا يتحدّث أبدًا .

كان الموقف على وشك التوتر ، لذا فقد تساءل (رمزى) ، فى محاولة لتخفيفه :

ـ أين الدكتور (رائف) ؟!

أجابه صوت خشن جاف من الداخل :

ـ هنا يافتى .

ثم برز كهل أشيب الشعر ، يكمل :

ـ كنت أجرى تجربة مهمة ، عندما قطعتم أفكارى بقدومكم .

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

أو يدلى بتعليق واحد ..

فالرجل ، الذى يعدّ فلتة فى مجاله ، كان يجلس على مقعد متحرّك ..

كان مقعدًا ..

ولثوان ، تطلّع إليه الجميع فى صمت ، فقال ساخرًا :

ـ هل أثير فى نفوسكم الشفقة ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

ـ بل كل احترام وتقدير يا سيّدى .

فالرجل ، الذى يعدّ فلتته فى مجاله ، كان يجلس على مقعد متحرك .. كان مقعداً ..

رمقه الرجل بنظرة حادة ، ثم لم يلبث أن ضغط زر محرك مقعده ، فدار حول نفسه ، وعاد إلى داخل الحجرة ، وهو يقول :

ـ دعونا لا نضيع المزيد من الوقت .. أخبرونى ما لديكم ، حتى أعود إلى تجاربى .

شدّ (رمزى) قامته ، وقال :

ـ نحن أيضًا لدينا تجربة عجيبة .

ردّد الدكتور (رائف) فى حذر :

ـ تجربة عجيبة ؟! أية تجربة ؟!

مال (رمزى) نحوه مجيبًا :

ـ تجربة اتصال فكرى .

غمغم الرجل فى حذر أكثر :

ـ وماذا فى هذا ؟!

تابع (رمزى) فى حزم :

ـ من عالم آخر .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل أخبرك أحدهم أننى أحد دجّالى تحضير الأرواح ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ الواقع أنها قصة طويلة .

ثم تطلّع إلى عينى الرجل مباشرة ، وهو يضيف :

ـ وعجيبة .. عجيبة للغاية .

ثم راح يروى القصة ..

بكل التفاصيل ..

الممكنة ..

* * *

طوال نصف الساعة ، التى روى خلالها (نور) كل ما يمكن روايته ، من قصة (محمود) ، وما فعله لإنقاذهم فى نهر الزمن ، ثم ضياعه فيه ، وتصوُّرهم أنه قد لقى مصرعه ، حتى كان اتصاله العقلى بهم ، على كوكب الطفاة ، الذى غيَّر نظرتهم للأمور تمامًا ، لم ينبس أحد الحضور ببنت شفة ، وبالذات الدكتور (رائف) ومساعده (فيليب) ، اللذين أنصتا بكل اهتمامهما وانتباههما ، حتى شرح أمر تلك الكوابيس ، التى تهاجم (رمزى) يوميًا ، وشكوكهم فى كونها

محاولة من (محمود) للاتصال العقلى بهم ، من العالم الذى ذهب إليه ..

ولثوان بعدها ، ظلّ الدكتور (رائف) صامتًا ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ كلا الاحتمالين وارد .. من الممكن أن يكون الأمر كله عبارة عن لمحة من العقل الباطن ، الذى يشعر بشىء من تأنيب الضمير ، لأن صاحبه ، من وجهة نظره ، لم يبذل الجهد الكافى ، لإنقاذ صديقه من محنته .

غمغم (رمزى) فى مرارة :

ـ لقد فعلنا كل ما بوسعنا .

رمقه العالم بنظرة طويلة ، وابتسم مساعده ابتسامة لم ترق أبدًا لـ (نور) و(أكرم) ، قبل أن يتابع الرجل :

ـ ومن الممكن أيضًا أن يكون هذا نوعًا من الاتصال العقلى المتطوّر .

سأله (نور) :

ـ وكيف يمكن حسم هذا ؟!

أدار العالم عينيه إليه ، مجيبًا فى حزم :

ـ بتقوية الاتصال .

غمغم (أكرم) :

ـ نفس ما اقترحته (سلوى) .

نطقها فى ضجر ، وكأنما يشعر بالندم ، على قطعهم كل تلك المسافة ، للحصول للحصول على الجواب نفسه ، فى حين قال (رمزى) فى توتر :

ـ على حد علمى ، لا توجد وسيلة علمية واحدة ، لتقوية الاتصالات العقلية والذهنية .

ابتسم (فيليب) ابتسامته غير الباعثة على الارتياح ، وتراجع مستندًا بظهره إلى الجدار وعيناه تلتمعان بنظرة ساخرة عجيبة ..

أما الدكتور (رالف) ، فقد ارتسم حزم مدهش على ملامحه ، وهو يقول :

ـ خطأ يا هذا .. الأصوب أن تقول : إنه لم تكن توجد وسيلة علمية واحدة لهذا .

ثم أشار إلى (فيليب) ، فتردد لحظة ، قبل أن يتجه نحو باب مغلق ، ويفتحه ، ثم ينزاح جانبًا ، والدكتور (رالف) يضيف :

ـ قبل أن يظهر (مايندريليزر) .

اتسعت عينا (رمزى) فى دهشة مبهورة ، ومطّ (أكرم) شفتيه فى حيرة ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهم يتطلّعون إلى الجهاز العجيب ، الذى ظهر أمامهم ، وراء الباب المفتوح ..

جهاز بسيط ، عبارة عن مقعد عادى ، اتصلت به عدة أسلاك وخراطيم رفيعة ، وفوقه خوذة نصف كروية ، أشبه بمجفف الشعر ، فى محلات التصفيف الأنثوية ..

ولثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، وران على المكان صمت رهيب ، والدكتور (رالف) يتطلّع إليهم فى زهو ، قبل أن يقطع (أكرم) هذا الصمت ، وهو يغمغم فى حيرة :

ـ ما هذا الشيء بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) ، والانبهار يتقاطر من كلماته :

ـ (ماينديليزر) (Mind releaser) .. أو مُطلق العقل .. إنه جهاز قادر على تقوية كل القدرات العقلية للموهوبين .

قال الدكتور (رائف) وعيناه تتألقان على نحو مثير :

ـ خطأ يا هذا .. إنه جهاز أكثر تطوُّرًا ، يمكنه تقوية وتحسين كل القدرات العقلية الخارقة ، الكامنة فى أعماق العقل البشرى العادى .. تلك القدرات التى لا تبرز فى المعتاد ، إلا فى ساعات التوتر والخطر .

سأله (أكرم) مبهورًا :

ـ هل تعنى أن كلنا لدينا قدرات عقلية خارقة ؟

أجابه فى حزم :

ـ نعم .. كلنا ..

ثم أشار إلى جهازه ، مضيفًا فى فخر :

ـ (ماينديليزر) وحده ، يمكنه إطلاق تلك القدرات .

سأله (نور) فى حذر :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكنه تقوية الاتصال ؟!

التفت إليه فى سخرية ، مجيبًا :

ـ أعتقد ؟! لا شأن للعلم بالمعتقدات يا فتى .

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

ـ إننى واثق .

قالها ، وهو يتطلَّع فى تحد مستفز ، إلى عينى (نور) مباشرة ، فتطلَّع إليه هذا الأخير بدوره ، وهو يقول :

ـ أتحشَّم هذا .

لم ينتبه (رمزى) إلى ما يحدث بينهما ، وهو يسأل فى لهفة :

ـ إذن فجهازك يمكنه تقوية الاتصال ، بينى وبين (محمود) .

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ لو أنه هناك اتصال حقيقى .

تبادل (نور) و(أكرم) و(رمزى) نظرة متوترة صامتة ، قبل أن يقول الأخير فى حزم :

ـ أنا مستعد لتجربته فورًا .

انعقد حاجبا (فيليب) فى شدة ، فى حين ارتسمت ابتسامة غامضة ، على شفتى العالم القعيد ، وهو يقول :

ـ ليس بهذه البساطة يا فتى .

سأله (نور) فى حذر :

ـ ولِمَ لا ؟!

أشار بسبّابته ، مجيبًا :

ـ هناك عقار ينبغى تناوله ، قبل إجراء التجربة بست ساعات كاملة ..

ردّد (نور) :

ـ تجربة ؟!

اتسعت ابتسامة الدكتور (رائف) الغامضة ، وهو يقول :

ـ أقصد الاتصال .

تطلّع إليه (نور) لحظة ، فى صمت صارم ، قبل أن يسأل :

ـ قل لى يا دكتور (رائف) : هل اختبرت عملية تقوية الاتصال هذه من قبل ؟

اتسعت ابتسامة الدكتور (رائف) أكثر وأكثر ، وتضاعف غموضها ألف مرة ، على نحو لم يرق قط لـ (أكرم) ، وانعقد حاجبا مساعده فى توتر أشدّ ، وهو يشيح بوجهه ، وكأنما يخشى أن يقرأ أحدهم انفعاله ..

وعاد ذلك الصمت الرهيب يهبط على المكان كله .. صمت ضاعف من توتر الموقف ، والجميع يتطلعون بعضهم إلى البعض ، فى حذر وترقُّب ..

ثم قطع الدكتور (رائف) ذلك الصمت ، وهو يدير مقعده ذا المحرك الآلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ (فيليب) سيعطيك العقار .. والاتصال سيتمّ فى الواحدة بعد منتصف الليل تمامًا ..

قالها ، واندفع عبر باب خلفى ، ثم أغلقه خلفه فى قوة ..

ومع تلاشى صوت إغلاق الباب ، عاد الصمت يغلّف المكان ..

صمت أشد قوة ..

وأكثر رهبة ..

* * *

سطع البرق فى السماء ، وراحت الأمطار تهطل فى غزارة ، فى تلك البقعة الساحلية المنعزلة ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع عبر النافذة ، مغمغمًا فى توتر :

ـ لم يكن ينقصنا سوى هذا لتكتمل مشاهد فيلم الرعب التقليدى .

تطلّع إليه (نور) ، وهو يجلس على مقعد كبير ، فى ركن الحجرة ، وبدا مستغرقًا فى تفكير عميق ، وهو يقول :

ـ صدقت .

مطّ (أكرم) شفتيه فى سخط ، وهو يلقى نظرة على (رمزى) ، الذى استغرق فى نوم عميق ، فوق الفراش الكبير فى الحجرة ، ثم هتف فى حدة :

ـ كيف يمكنه النوم ، فى ظروف كهذه ؟!

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ من المؤكد أن ذلك العقار ، هو المسئول عن هذا .

هزّ (أكرم) رأسه فى عصبية ، وقال :

ـ لست أشعر بالارتياح هنا يا (نور) .. هؤلاء الأوغاد يخفون شيئًا ما .

قال (نور) فى خفوت :

ـ المهم ألا يكون ما يخفونه كارثة .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ كارثة ؟! ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجابه فى قلق ملحوظ :

ـ من الواضح أن ما سيفعله الدكتور (رائف) الليلة ، هو أمر لم تتم تجربته أو يجرى اختباره من قبل .. لهذا لم يجب سؤالى ، عندما أردت الاستفسار عن هذا .

قال (أكرم) فى ذعر :

ـ رباه ! ولكنه يبدو واثقًا يا (نور) !

قال (نور) فى حزم منفعل :

ـ ربما .. علمه يقول : إن هذا سينجح ، ولكن التجربة لم تثبت هذا بعد .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ وهو ينتظر الإثبات الليلة .

كرّر (أكرم) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وهتف وهو يتجه نحو فراش (رمزى) ، وكأنما يحاول حمايته من خطر مجهول ، يجهل حدوده تمامًا :

ـ لن أسمح له بمسّ شعرة واحدة من (رمزى) .

غمغم (نور) فى صرامة :

ـ سأقتله لو فعل .

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع إلى (رمزى) ، النائم فى عمق ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ (نور) .. دعنا نغادر هذا المكان فورًا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أعتقد أن (رمزى) سيتفق معك فى هذا .

هتف :

ـ سنحمله عنوة .

هزّ (نور) رأسه مرة أخرى ، وقال :

ـ سنضطر لقتله أولاً ، ففضول العالم فى أعماقه سيدفعه إلى خوض التجربة ، حتى ولو استشعر فيها بعض الخطر .. لن يمكنه أبدًا أن يتجاوز الفرصة ، فى حسم أمر تلك الكوابيس ، التى تهاجمه فى شراسة ، منذ شهر كامل .

عاد (أكرم) يمطّ شفتيه ، كلما شعر بالسخط ، تجاه أمر ما ، واتجه نحو النافذة ثانية ، وراح يتطلّع عبرها لدقيقة كاملة ، قبل أن يسأل (نور) فى عصبية :

ـ وماذا لو كان اتصالاً ذهنيًا بالفعل يا (نور) ؟!

تنهّد (نور) ، مجيبًا :

ـ سيكون علينا أن نبذل كل جهد ممكن ، لاستعادة زميلنا .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى تأثّر ، وهو يغمغم :

ـ كم أتمنى هذا .. كم أتمنى أن ..

بتر عبارته بغتة ، على نحو جعل (نور) يسأله في قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار بيده ، وهو يميل نحو النافذة أكثر ، قائلاً في عصبية :

ـ ماذا يفعل ذلك الثور بالضبط ؟!

نهض (نور) من مقعده ، واتجه نحو النافذة في سرعة ، ومال بدوره ، محاولاً اختراق الأمطار المنهمرة عليها ببصره ، وهو يتطلّع إلى الفناء الضخم ، المحيط بالفيلا ..

وانعقد حاجباه في دهشة متوترة ..

فتحت الأمطار المنهمرة في غزارة ، كان الحارس الضخم (كاظم) ، الشبيه بالغوريلا ، يسير في الفناء ، وكأنما لا يشعر بالطقس الرهيب ..

وكان يقوم بعمل عجيب ..

عجيب للغاية .

★ ★ ★

٣ ـ التجربة ..

صرخة قوية ، انطلقت فجأة ، من بين شفتي (سلوى) ..

صرخة أعلنت أن الوليد المرتقب قد استعد للخروج إلى الدنيا ..

وفي هلع ، هرعت (نشوى) إلى أمها ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟!

كان وجه (سلوى) يتصبّب عرقًا ، على الرغم من ابتسامتها الشاحبة ، وهي تجيب :

ـ إنه (طارق) .. يبدو أنه في طريقه إلينا(*) .

بدا الذعر على وجه (نشوى) ، وهي تهتف في ارتياع :

ـ ماذا أفعل ؟! ماذا ينبغي أن أفعل ؟!

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

بدت (سلوى) أكثر شحوبًا وإرهاقًا ، وهى تقول :

ـ لا شىء .. فقط اتصلى برجال الإسعاف ، و ..

بترت عبارتها ، لتطلق صرخة أخرى ، ارتجف لها جسد (نشوى) كله ، وهى تعدو نحو الهاتف ، صائحة :

ـ الإسعاف .. الإسعاف .

ارتجفت أصابعها بشدة ، وهى تبحث عن الرقم فى ذاكرتها ، ثم لم تلبث أن هتفت :

ـ سأتصل بأبى .

صاحت بها (سلوى) :

ـ لا .

ثم استطردت ، وهى تعضّ شفتيها ألمًا :

ـ الأمر لن يستغرق طويلاً ، وهو فى (الإسكندرية) الآن .. لا داعى لأن نثير توتره وقلقه الآن .

قالت (نشوى) مذعورة :

ـ ما رقم الإسعاف إذن ؟!

ابتسمت (سلوى) فى إرهاق شديد ، وهى تجيب :

ـ اضغطى زر الطوارئ الثالث فحسب .

لم تدر (نشوى) كيف نسيت هذه المعلومة ، ولكنها أسرعت تضغط زر الطوارئ الثالث ، ولم تكد تنتهى ، حتى سمعت صوت رجل الإسعاف ، يسألها فى اهتمام :

ـ هنا دائرة الإسعاف .. الكمبيوتر سجّل اسمك ورقم هاتفك وعنوان منزلك .. ما المطلوب منّا بالضبط ؟!

أجابته فى توتر شديد :

ـ المولود قادم .. أسرعوا .. إنها تتألّم بشدة .

قال الرجل فى حزم :

ـ هليوكوبتر الإسعاف ستصل خلال دقائق .

وأنهى الاتصال ، وهو يضغط بعض الأزرار أمامه ، لنقل الأوامر إلى أسطول طائرات الإسعاف ، فى نفس الوقت الذى هرعت فيه (نشوى) إلى أمها ثانية ، وهى تهتف :

ـ لقد اتصلت بهم و ..

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تحدّق فى وجه أمها الشاحب ، والعرق الغزير الذى يغمر وجهها ،

وأنفاسها المتلاحقة على نحو مخيف ، ثم اندفعت نحوها ، تهزّها فى رفق مذعور ، هاتفة :

ـ أمى .. استيقظى يا أمى .. استيقظى .

ثم أدركت فجأة أن (سلوى) فاقدة الوعى ..

وتراجعت فى ذعر بلا حدود ..

وفى أعماقها ، انطلق هتاف مرتاع ..

لابد من الاتصال بوالدها (نور) ..

لابد ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وانطلق فى عقله ألف سؤال وسؤال ، وهو يتابع ما يفعله الحارس الضخم ، فى الفناء المحيط بالفيلا الصغيرة ..

لقد كان يحمل كومة من أعمدة رفيعة ، ذات رءوس معدنية مستديرة ، ويغرسها فى الأرض ، فيما يشبه دائرة كبيرة ، تحيط بالفيلا كلها ، وبين كل عمود والآخر مسافة ثلاثة أمتار فحسب ..

وفى حيرة عصبية ، تساءل (أكرم) :

ـ ألم يجد وقتًا أفضل من هذا ، للعبث بأعمدة معدنية ؟! ألا يدرك أن كل عمود منها يمكنه جذب صاعقة كاملة(*) ؟!

غمغم (نور) :

ـ ربما كان هذا هو المطلوب بالضبط .

التفت إليه (أكرم) فى حيرة متسائلة ، فتابع فى حزم :

ـ جذب الصواعق !!

هتف (أكرم) :

ـ ولماذا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ ربما للحصول على طاقة هائلة منها .

ثم استدار إليه ، مضيفًا فى توتر شديد :

ـ لتشغيل مُطلق العقول مثلاً .

هتف (أكرم) مبهورًا :

ـ يا إلهى !

(*) حقيقة .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يلقى نظرة قلقة على (رمزى) ، الغارق فى سبات عميق ، مستطردًا :

ـ ألن يؤذيه هذا ؟!

ألقى (نور) نظرة على (رمزى) بدوره ، قبل أن يغمغم :

ـ لست أدرى .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ لست تدرى ؟! أى قول هذا يا (نور) .. إنها حياة زميلنا ، ورفيق كفاحنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل حياة زميلين ، ورفيقى كفاح يا (أكرم) .. أحدهما يرقد أمامنا الآن ، والثانى هناك .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، مضيفًا :

ـ فى عالم آخر .

نقل (أكرم) بصره بين (نور) و (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يتحسّس مسدسه فى حزامه ، قائلاً فى صرامة :

ـ لو مسّوا شعرة واحدة منه ، أقسم أن أمزّقهم إربًا ، حتى تعجز أمهاتهم أنفسهن عن تعرُّفهم .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ أتعشّم ألا تصل الأمور إلى هذا الحد .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع أزيز قوى ، من جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه فى سرعة ، متمتمًا :

ـ تُرى من ..

قبل أن تكتمل عبارته ، دوت فرقعة قوية فى الخارج ، وتذبذبت أضواء الحجرة الخافتة فى عنف ، ثم توهّجت شاشة جهاز اتصال (نور) فى قوة ، وبعدها خبت تمامًا ..

وفى توتر ، اندفع (أكرم) نحو النافذة ، هاتفًا :

ـ ماذا فعل ذلك الغوريلا بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يلقى نظرة عصبية على جهاز الاتصال ، الذى فقد طاقته كلها :

ـ أيًا كان ، فقد أفسد الاتصالات اللاسلكية والرقمية فى المكان .

تطلّع الاثنان عبر النافذة ، وانعقدت حواجبهما فى شدة ..

لم يعد الحارس (كاظم) هناك ، ولكن تلك الأعمدة كانت تصنع بالفعل دائرة متكاملة ، تحيط بالفيلا ، على مسافة مائة متر فحسب ..

أما رءوسها المعدنية المستديرة ، فكانت مضيئة بضوء بنفسجى هادئ ، يتذبذب بإيقاع منتظم رتيب ..

وفى توتر بالغ ، غمغم (أكرم) :

ـ ماذا سيفعلون بنا يا (نور) ؟!

أجاب (نور) فى صرامة :

ـ ما سنسمح لهم بفعله فحسب .

مع آخر كلماته ، دق الباب دقتين خافتتين ، ثم دلف (فيليب) إلى الحجرة ، حاملاً ابتسامته المقيتة ، وهو يقول :

ـ نصف ساعة فحسب ، وتبدأ عملية الاتصال .. حان الوقت لإيقاظ زميلكما ، و ..

اندفع (أكرم) نحوه ، قبل أن يتمّ عبارته ، ودفعه فى خشونة ، حتى ألصقه بالجدار ، ثم انتزع مسدسه من حزامه ، وألصق فوهته الباردة بأسفل ذقنه فى قسوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

ـ ماذا تفعلون بنا ؟!

كانت الحركة عنيفة مباغتة ، وعلى الرغم من هذا ، ظلّ (فيليب) محتفظاً بهدوئه وتماسكه ، وهو يقول :

ـ آه .. مسدس تقليدى ، مزوّد بساقية تلقيم ، تتسع لثمان رصاصات .. سلاح ليس من المعتاد أن يراه المرء ، مع رجل أمن .

صاح به (أكرم) :

ـ دعك من سلاحى ، وأجب سؤالى .

تألّقت عينا (فيليب) بابتسامة ساخرة عجيبة ، وهو يجيب :

ـ وماذا سنفعل بكم ؟! أنتم أتيتم إلينا ، تنشدون رأينا وتعاوننا ، ولم يسع أحد إليكم .

رمقه (نور) بنظرة صامتة طويلة ، فى حين صرخ (أكرم) ، فى عصبية زائدة :

ـ هذا ليس جوابًا .

صاح به (فيليب) فى صرامة :

ـ وما ألقيته ليس سؤالاً ؟!

وتطلّع إلى عينى (أكرم) مباشرة ، مضيفًا :

ـ إنه اتهام .

والتقى حاجباه ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف ، متابعًا :

ـ اتهام مرفوض تمامًا .

بادله (أكرم) نظرة متحدية غاضبة ، و ..

وفجأة ، سطعت عينا (فيليب) ..

سطعتا كشمسين صغيرتين ، وثبتا بغتة إلى محجريه ..

وتراجع (أكرم) بحركة حادة ، وهو يخفى وجهه بذراعه ، هاتفًا :

ـ رباه ! كيف فعلت هذا ؟!

أعتدل (فيليب) فى هدوء ، وهو يسأل :

ـ فعلت ماذا ؟!

أزاح (أكرم) ذراعه عن وجهه ، صائحًا :

ـ عيناك .. لقد سطعتا فى وجهى .. هل رأيت ما حدث يا (نور) ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إلى (فيليب) ، دون أن يجيب ، فصاح (أكرم) :

ـ هل رأيته يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه فى بطء ، مغمغمًا :

ـ كلاّ يا (أكرم) .. لم أر شيئًا .

حدّق فيه (أكرم) بذهول ، قبل أن يهتف فى عصبية :

ـ مستحيل ! لقد سطعت عيناه ، حتى كادتا تضيئان الحجرة .

هزّ (فيليب) كتفيه فى هدوء ، قائلاً بابتسامة غامضة مقيتة :

ـ لعله البرق .

صاح به (أكرم) فى حدة :

- لم يكن هناك برق .. إنهما عيناك .

قال (نور) فى بطء ، وكأنما يزن كل حرف من كلماته :

- لم أر عينيه تسطعان يا (أكرم) .

صاح (أكرم) فى حنق :

- أنا لست واهمًا .

اتسعت ابتسامة (فيليب) وازدادت خبثًا وغموضًا ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

ثم استدار يزمع مغادرة الحجرة ، مستطردًا :

- أيقظا زميلكما ، وسيأتى (كاظم) لاصطحابكما ، عندما يصبح كل شىء جاهزًا .

هتف به (نور) فى صرامة :

- لحظة يا سيِّد (فيليب) .

استدار إليه (فيليب) فى بطء ، فسأله بنفس الصرامة :

- ما تلك الأعمدة ، التى تحيط بالفيلا ؟!

صمت (فيليب) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- لا تقلق نفسك بشأنها .. إنها واحدة من تجاربنا العلمية .

قال (نور) :

- ولكنها أفسدت جهاز الاتصال .

ابتسم (فيليب) ، قائلاً :

- يا للخسارة !

ثم استدار مغادرًا الحجرة ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، فهتف (أكرم) فى عصبية :

- لقد سطعتا .. أقسم على هذا .

أدار إليه (نور) عينين حائرتين ، وهو يقول :

- المؤكَّد أنك رأيتهما تسطعان ، سواء أحدث هذا أم لا ..

هتف (أكرم) :

- ولكنه حدث .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يتجه نحو الفراش ؛ ليوقظ (رمزى) مغمغمًا .

ـ ربما يا صديقى .. ربما .

وحملت لهجته توترًا بلا حدود ، وهو يضيف :

ـ الشىء الوحيد المؤكد ، هو أنه هناك أمر ما يحدث فى هذه الفيلا المنعزلة .. أمر يفوق الحدود المألوفة .

وأطلّت صرامة مخيفة من عينيه ، مع استطرادته :

ـ أمر من وراء العقل .

وسطع البرق مرة أخرى ..

فى قوة ..

* * *

تردّد هزيم الرعد وسط الصمت المهيب ، الذى غرق فيه الجميع ، فى معمل الدكتور (رالف) ، وأعقبه وميض البرق ، ليضىء النوافذ والمكان ، فغمغم (أكرم) :

ـ كل ما ينقصنا هو شبح بائس ، ودماء تسير على الجدران ، لتكتمل الصورة تمامًا .

ابتسم الدكتور (رالف) ، وهو يجلس على مقعده المتحرّك ، أمام كمبيوتر المعمل ، ويعمل على أزراره ، قائلاً :

ـ لك خيال خصب ، يا رجل المخابرات العلمية .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

هزّ الرجل كتفيه ، مغمغمًا :

ـ إنه شأنك وحدك .

ثم رفع عينيه إلى (رمزى) الذى جلس على مقعد مطلق العقول (مايند ريليزر) ، وخوذة الجهاز على رأسه ، والتوتر يملأ ملامحه ، وسأله :

ـ أأنت مستعد للاتصال ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، ولسانه يعجز عن النطق ، فرفع (فيليب) أحد حاجبيه وخفضه ، مع ابتسامة جعلت (نور) يعقد حاجبيه ، ويقول فى غلظة :

- هذا الجهاز يبدو لى أشبه بالكرسى الكهربائى(*) .

لوّح الدكتور (رائف) بيده ، دون أن يلتفت إليه ، وقال :

- شتان بين هذا وذاك .

قال (أكرم) فى عصبية :

- حقًا ؟! وأيهما أكثر رحمة ؟!

أجابه الدكتور (رائف) ، وهو يشير إلى جهازه فى جدية :

- هذا بالطبع .

سأله (نور) فى توتر :

- حتى مع الطاقة الهائلة ، التى يستهلكها تشغيله .

التفت إليه الرجل هذه المرة ، قائلاً فى دهشة :

(*) الكرسى الكهربائى : مقعد من المعدن ، يستخدم لتنفيذ حكم الإعدام ، فى بعض الولايات الأمريكية ، له خوذة تربط على الرأس ، وسيور جلدية ، لتثبيت المحكوم عليه بالإعدام إليه ، ثم يسرى فيه تيار كهربى شدته خمسمائة ألف فولت ، ويستمر سريان التيار الكهربى ، حتى تعلن وفاة المتهم تمامًا ، وبعض الجمعيات الطبية تعتبره وسيلة قاسية وغير آدمية لقتل إنسان ، حتى ولو كان قاتلاً .

- طاقة هائلة ؟! إنه يستهلك طاقة مبرّد مياه صغير يا هذا .. العبرة ليست بالقوة ، ولكن بالفكرة العلمية .

سأله (نور) فى صرامة :

- لماذا تلك الأعمدة فى الخارج إذن ؟! ولماذا أفسدت جهاز الاتصال الخاص بى ؟!

زمجر الدكتور (رائف) قائلاً :

- أنت تلقى الكثير من الأسئلة يا فتى .

قال (نور) :

- ترى هل يكفى هذا ، للحصول على الكثير من الأجوبة ؟!

تجاهله الدكتور (رائف) تمامًا ، وهو يتطلّع إلى (رمزى) ، قائلاً :

- الكابوس لم يهاجمك هذه المرة .. أليس كذلك ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، فتابع العالم :

- هذا بسبب العقار الذى تناولته .. إنه سيساعد عضلاتك على تحقيق الاسترخاء اللازم ، ويجعل عقلك

أكثر صفاءً ، عندما يبدأ عمل الجهاز ، مما سيحقّق أفضل ظروف مناسبة للاتصالات الذهنية .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن هذا سيفلح ؟!

انعقد حاجبا العالم فى غضب ، وقال :

ـ قلت لك : لا توجد اعتقادات فى العلم .

ثم ضغط زرًا أخيرًا ، مضيفًا :

ـ هناك قواعد فحسب .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، عندما ضغط الدكتور (رائف) ذلك الزر الأخير ، ومطّ (أكرم) شفتيه فى شدة ، وكلاهما يتطلّع إلى (رمزى) ، فى توتر واهتمام شديدين ..

أما هذا الأخير ، فقد بدا هادئًا للغاية ، وهو يسترخى فى المقعد ، فى حين راحت الخوذة تتألّق بلون وردى باهت ..

وتتألّق ..

وتتألّق ..

أما هذا الأخير ، فقد بدا هادئًا للغاية ، وهو يسترخى فى المقعد ، فى حين راحت الخوذة تتألّق بلون وردى باهت ..

وفى كل مرة ، كان جسد (رمزى) يسترخى أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..
وفى خفوت عصبى متوتر ، تمتم (أكرم) :
ـ ترى هل ..

استدار إليه العالم فى غضب هادر ، فبتر عبارته فى سرعة ، وأطبق شفتيه ، وراح يتابع ويراقب (رمزى) ، وسط صمت شامل مهيب ، إلا من أزيز جهاز مُطلق العقول ..

وأغلق (رمزى) عينيه ، وكل ذرة فى كيانه تسترخى ..
وتسترخى ..
وتسترخى ..

لم يعد داخل معمل الدكتور (رائف) ، فى تلك الفيلا ، على شاطئ البحر ..
كل شىء من حوله لم يعد كما كان ..
ها هى ذى الرمال الفيروزية الباردة تحيط به ..

إنه يراها ..
ويشعر ببرودتها ..
ومن بعيد ، رأى الشموس الأربع ..
الزرقاء ..
والأرجوانية ..
والصفراء الكبيرة ..
والرمادية الصغيرة ..
واصطبغت السماء بلون وردى باهت ..
وهتف (رمزى) :
ـ (محمود) .. أين أنت ؟!
أتاه الصوت واضحًا ، أكثر من أية مرة أخرى :
ـ هنا يا (رمزى) .
ثم بدأت سحابة باهتة تتكوّن وتتجمّع أمامه ،
وصوت (محمود) يضيف :
ـ أمامك تمامًا .
ولهث (رمزى) ..
لهث بانفعال حقيقى ، وهو يحدّق فى السحابة ، التى تكثّفت ..

وتكثفت ..

وتشكلت ..

ثم تحولت إلى أحب شخص تمنى رؤيته ، فى تلك الظروف ..

(محمود) ..

« لماذا يلهث هكذا ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى قلق ، فلوّح العالم بيده فى غضب وحدة ، جعلتاه يلتهم سؤاله ، ويعقد حاجبيه فى عصبية ، وهو يراقب (رمزى) فى قلق شديد ..

« إذن فأنت حى بالفعل .. »

هتفت (رمزى) بالسؤال فى لهفة ، فابتسم (محمود) ، قائلاً :

ـ أنا حى منذ البداية يا صديقى .

ثم اكتسى صوته بحزن عجيب ، وهو يضيف :

ـ ولكننى سجين هنا .

هتف (رمزى) فى حماسة :

ـ ليس إلى الأبد . سنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك .

ابتسم (محمود) فى حزن ، مغمغمًا :

ـ لا يمكنك أن تتصوّر كم أحلم بهذا .

حدّق (رمزى) فيه طويلاً ، وكأنما لا يصدّق أنه يراه أمامه ، وقال فى حماسة :

ـ إذن فهو اتصال ذهنى حقيقى ، وليس انعكاسًا لعذاب باطنى .

أجابه (محمود) فى هدوء :

ـ نعم .. هو اتصال حقيقى يا صديقى .

سأله (رمزى) :

ـ ولماذا أنا ؟!

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى يا (رمزى) .. صدقنى .. إننى أحاول الاتصال بكم طوال الوقت .. بكم جميعًا .. ولكن هذا ينجح فقط فى مرات قليلة ، تحت ظروف لا يمكننى فهمها أو تحديدها بالضبط .. ربما عندما تجتمع الشموس الأربع معًا .

سأله فى لهفة :

ـ ومتى يحدث هذا ؟!

عاد يهزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ ما زلت أجهل هذا .. لقد حاولت دراسة الأمر ، وإيجاد علاقات زمنية واضحة ، ولكن الزمن نفسه ما زال مجهولاً تمامًا بالنسبة لى ، فى هذا العالم .. حتى المسافة ، لا تعنى الكثير ..

سأله (رمزى) :

ـ ألا توجد وسيلة لاستعادتك ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، ثم أجاب فى بطء :

ـ لم أجد أية وسيلة واضحة فى الماضى ، ثم ..

بتر عبارته ، فهتف به (رمزى) :

ـ ثم ماذا ؟!

تطلّع إليه طويلاً فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ثم خطرت ببالى فكرة .

سأله بلهفة :

ـ وما هى ؟!

اقترب (محمود) منه ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، مجيبًا :

ـ العبور من خلال عقل بشرى .

تساءل (رمزى) فى دهشة حائرة :

ـ من خلال ماذا ؟!

قبل حتى أن يتمّ تساؤله ، كان (محمود) قد اندفع نحوه ..

وارتطم به ..

أو بمعنى أكثر دقة ، غاص فى كيانه ..

وكانت الآلام شديدة ، حتى إنه أطلق صرخة قوية ..

وراح ينتفض فى عنف ..

« ماذا يحدث له ؟! »

هتف (نور) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، فهزّ الدكتور (رانف) رأسه ، فى حيرة ودهشة حقيقيتين ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. هذا لم يحدث من قبل قط .

مع كلماته ، انتفض جسد (رمزى) بعنف أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..

ودوت صرخاته فى المكان ، تشفّ عن آلام وعذاب رهيبين ، فصرخ (أكرم) بدوره :
ـ ماذا يحدث بالله عليكم ؟!

اتسعت عينا الدكتور (رائف) فى رعب ، وهو يحدّق فى الشاشة أمامه ، فوثب نحوه (فيليب) ، وانحنى يلقى نظرة عليها بدوره ، قبل أن يتراجع ، ويدير عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :
ـ رباه ! إنه .. إنه ..

ودار بصره نحو (نور) مضيفًا فى ارتياع :
ـ إنه يموت ..

ومع قوله ، أطلق (رمزى) صرخة جديدة ..
صرخة أشد ألمًا ..
وعذابًا ..
وهولاً .

* * *

٤ ـ عالم آخر ..

« اطمئنى يا سيّدتى .. كل شىء سينتهى على خير بإذن الله .. »

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى طبيب المستشفى ، وهو يلقى العبارة على مسامع (نشوى) ، التى قالت فى عصبية :
ـ ولكنها فقدت وعيها .

هزّ رأسه ، قائلاً :
ـ لبعض الوقت فحسب .. لقد استعادته الآن وكل شىء يسير على ما يرام ، والفحوص تؤكّد أن الطفل سليم معافى ، وسيولد فى موعده بإذن الله .

سألته فى لهفة :
ـ متى ؟!

اتسعت ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :
ـ قريبًا يا بنيتى .. قريبًا بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ثم ربّت على كتفها ، مستطردًا بابتسامة أبوية حانية :

ـ لا تجعلى هذا يقلقك كثيرًا .. شقيقتك ستتجاوز الأمر ، كما تفعل كل الأمهات .

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة من وسط دموعها :

ـ إنها أمى .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ أمك ؟! هذ مستحيل ! كلتاكما تبدوان فى العشرينات ، ومن المستحيل أن تلد إحداكما الأخرى .. من الناحية العلمية على الأقل .

تنهّدت (نشوى) ، قائلة :

ـ إنها قصة طويلة أيها الطبيب .. تجربة رهيبة مريرة ، مرّرت بها فى طفولتى ، وجعلتنى أقفز عدة سنوات من العمر دفعة واحدة(*) .

هتف بدهشة أكبر :

ـ حقًا ؟!

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

كان يبدو متلهّفًا لسماع التفاصيل ، ولكنها لم تكن فى موقف يسمح بهذا ، لذا فقد سألته ، محاولة تغيير دفة الموضوع :

ـ هل تعتقد أن الأمر يستدعى وجود أبى ؟!

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ لو أنه يرغب فى هذا فقط .

زفرت مغمغمة :

ـ لست أدرى ماذا أصابه ، أو أصاب جهاز الاتصال الخاص به !! إننى عاجزة عن إتمام الاتصال به ، منذ أكثر من ساعة .

ابتسم ، قائلاً :

ـ إننى أغلق جهاز اتصالى أحيانًا ، عندما أنشغل بعمل ما .

قالت فى توتر :

ـ طبيعة عمل أبى لا تمنحه هذه الرفاهية .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ أعلم هذا ، ولكن الظروف قد تدفع المرء أحيانًا إلى فعل ما لا يميل إليه .. ربما كان فى مكان يتعارض مع نبذبة جهاز الاتصال مثلاً .

تمتمت :

ـ نعم .. ربما .

اندفعت الممرضة نحوهما ، فى تلك اللحظة ، هاتفة بالطبيب :

ـ لقد حان الوقت .

بدا عليه الاهتمام ، وربّت على كتف (نشوى) مرة أخرى ، قائلاً :

ـ اطمئنى .

ثم أسرع إلى حجرة الولادة ، تاركًا إياها خلفه تتمتم :

ـ ساعدها يا إلهى ! ساعدها .

والتقطت جهاز الاتصال ، وراحت تحاول الاتصال بوالدها للمرة العشرين ..

وفى هذه المرة أيضًا ، تلقّت رسالة إليكترونية ، تشير إلى استحالة الاتصال فى الوقت الحالى ..

وتضاعف توترها ، وهى تتساءل : تُرى ما الذى يحدث ؟!

ما الذى يمنع إتمام الاتصال ؟!

ثم لماذا لم يحاول هو الاتصال بهما ؟!

لطمأنتهما على الأقل ..

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وفى أعماقها ، اشتعل مصباح أحمر صغير ، مثبت دومًا فى غريزتها الأنثوية اليقظة ..

مصباح أنبأها أنه يواجه حتمًا موقفًا يفوق المعتاد .. يفوقه بكثير ..

* * *

لم يكن هناك من سبيل آخر ، فى ذلك الموقف ..

كان على (نور) أن ينقذ (رمزى) ..

مهما كانت الوسائل ..

أو النتائج ..

لذا ، فقد تحرك بأقصى سرعته ، قبل أن يدرى الجميع ما الذى ينبغى فعله ..

وبوثبة واحدة ، بلغ مصدر الطاقة ، و ..

وأغلقه ..

ومع انقطاع التيار الكهربى المباغت ، انتفض جسد (رمزى) انتفاضة أشدّ عنفًا ..

وانطلقت من أعمق أعماقه صرخة ..

صرخة عجيبة ، حملت ألف صوت وصوت ..

إلا صوته هو ..

ثم هدأ جسده بغتة ..

وعادت المؤشرات على شاشة الكمبيوتر ترتفع ..

وتتراقص بعض الوقت ..

ثم تستقر ..

وبكل جزعه ، وثب (أكرم) نحو (رمزى) ، وراح يحلّ الأحزمة التى تربطه إلى مقعده ، وهو يهتف :

ـ رباه ! ماذا أصابه ؟! ماذا أصابه ؟!

حدّق الدكتور (رالف) فى شاشة الكمبيوتر ، ومساعده يقول فى توتر :

ـ إنه فاقد الوعى فحسب .

ألقى (أكرم) نظرة مذعورة على وجه (رمزى) الممتقع الشاحب ، وصاح فى غضب :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

ثم حمله على كتفه ، واندفع به إلى الباب ، مستطردًا :

ـ لو أنكم أصبتموه بأدنى ضرر ، فسوف ..

بتر عبارته بغتة ، عندما ظهر (كاظم) أمامه دون إنذار ، فارتطم به فى عنف ، وكاد يسقط أرضًا بحمله ..

وفى توتر ، قال الدكتور (رالف) :

ـ اهدأ يا سيّد (أكرم) .. الموقف لا يستحق كل هذا .

استدار إليه فى شراسه ، صائحًا :

ـ لا يستحق ؟! الموقف من وجهة نظرك لا يستحق ؟! زميلى كاد يلقى مصرعه ، على مقعدك السخيف هذا ، وتقول إنه موقف لا يستحق ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ أهدأ يا (أكرم) .

تراجع (أكرم) ، مواصلاً :

ـ بل هو موقف يستحق ويستحق ويستحق أيها الوغد .

قال (فيليب) فى صرامة :

ـ كفى يا سيّد (أكرم) .. لقد تجاوزت حدودك .

التفت إليه (أكرم) فى شراسة ، هاتفاً :

ـ تجاوزت حدودى ؟! هل تظن أن ..

بتر عبارته بغتة ، وأطلّ من عينيه ذعر مباغت ، جعله يتراجع فى حركة حادة ، ليرتطم بالحارس الضخم ، الذى كبّل وسطه بذراعيه بغتة ، و(فيليب) يكرّر :

ـ كفى .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو ينقل بصره بين (أكرم) ، الذى استسلم بحمله لذراعى (كاظم) القويتين ، دون أدنى مقاومة ، و (فيليب) الذى يتطلّع إليه فى صرامة :

وباستثناء تلك الصرامة ، كان (فيليب) هو (فيليب) ..

بنحوله ، وطوله ، ولحيته القصيرة ..

فلماذا يحدّق فيه (أكرم) بكل التوتر والانفعال ؟!

لماذا ؟!

« كفى .. »

هتف (نور) بالعبارة فى صرامة ، فاستدار إليه (فيليب) بحركة حادة ، ولم يكد يفعل ، حتى انتفض (أكرم) ، كمن يستيقظ من حلم مفزع ، وحدّق فى (فيليب) لحظة ، وهذا الأخير يقول :

ـ ماذا هناك أيها المقدّم ؟!

اندفع (أكرم) يهتف :

ـ أيها الوغد الحقير .. ماذا تفعل بىّ ؟!

دفع الدكتور (رانف) مقعده إلى الخلف فى عصبية ، وهو يقول :

ـ كفى يا سيّد (أكرم) .. أرجوك .

حدّق فيه (أكرم) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وكأنما غُصّ حلقه بالكلمات ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ مُر حارسك يترك زميلى يا دكتور (رائف) ، واطلب من مساعدك ألا يستخدم تجاربك عليه لإرهابنا .

انعقد حاجبا (فيليب) فى غضب ، فى حين أومأ الدكتور (رائف) برأسه ، ثم أشار إلى حارسه الضخم ، فأفلت وسط (أكرم) ، الذى قال فى حنق :

ـ شكرًا أيها الغوريلا ، فلو واصلت الإمساك بى دقيقة أخرى ، لقتلتنى الراحة حتمًا .

أشار الدكتور (رائف) بيده ، قائلاً :

ـ عودوا إلى حجرتكم .. كلنا بحاجة إلى قليل من الراحة .

سأله (نور) فى توتر :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟!

هزّ الرجل رأسه ، وبدا صوته أشبه بالنحيب ، وهو يشيح بوجهه ، مجيبًا :

ـ آخر ما سجله الكمبيوتر ، هو أنه فاقد الوعى فحسب .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ هيا .. فلنحظ جميعًا ببعض النوم والراحة ، ثم نسأل (رمزى) عما أصابه هناك .. فى العالم الآخر .

وكان هذا يحسم الأمر ..

مؤقتًا ..

* * *

« (رمزى) .. استيقظ يا (رمزى) .. استيقظ .. »

للمرة الرابعة ، خلال نصف الساعة ، راح (أكرم) يبذل محاولاته لإيقاظ (رمزى) ، الذى غرق فى غيبوبة عميقة للغاية ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

ـ لا فائدة .. إنه غارق حتى أعمق أعماق غيبوبته .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يجيب ، فسأله (أكرم) :

ـ أما زلت عاجزًا عن إصلاح جهاز الاتصال ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنه يرفض الاستجابة ، وكأنما فقد اتصاله ، بالمحطة الأم تمامًا .. والعجيب أن مؤشّر الطاقة يشير إلى أنه لا يفتقر إليها .

غمغم (أكرم) :

- عجبًا ؟!

ثم ألقى نظرة عبر النافذة ، على الأعمدة المحيطة بالمكان ، والتى ما زالت الأمطار تنهمر عليها فى غزارة ، وسأل :

- هل تعتقد أنها مسئولة عن هذا ؟!

تطلّع (نور) عبر النافذة بدوره ، وهو يقول :

- لقد سمعت الدكتور (رائف) بنفسك .. لا توجد اعتقادات فى العلم .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

- أنا واثق من هذا .

وأشار بيده إلى الأعمدة ، التى ما زالت رءوسها المستديرة تتألّق ، وقال :

- تلك الأعمدة تصنع حاجزًا خاصًا من الطاقة .. مهمته هى أن يمنع دخول أو خروج أى نوع من الطاقة أو القوة ، وهذا ما قطع كل الاتصال ، بين جهازى ومحطات تقويته الرئيسية .

تساءل (أكرم) فى حيرة :

- ولكن أجهزتنا تتلقّى إشاراتها من الأقمار الصناعية مباشرة .

ولوّح بسبّابته ، مضيفًا فى عصبية :

- من أعلى .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

- وهذا يعنى أنه ليس مجرّد حاجز ، بل قبة كاملة من الطاقة ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف ، مستعيدًا توتره :

- هذا الرجل يخفى شيئًا ما هنا .. شيئًا يرغب فى احتجازه داخل نطاق نفوذه ، بأى ثمن .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يغرق فى صمته وتفكيره بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتابع فى حزم عصبى :

- أو يحاول منعه من الوصول إلى هنا .

راقبه (أكرم) لحظة ، ثم قال :

- إنك تثير مخاوفى بحديثك هذا يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- إنها مجرّد فكرة يا صديقى .. بلادليل واحد يؤيدها ..

ثم أضاف فى صرامة :

- لذا ، فمن الضرورى أن نجد ذلك الدليل .

سأله (أكرم) فى حماسة :

- ماذا تريد منا أن نفعل ؟!

أجابه فى حزم :

- بالنسبة لك ، ستبقى إلى جوار (رمزى) ، حتى يستعيد وعيه .. لاينبغى أن نتركه وحده لحظة واحدة .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- وبالنسبة لك ؟!

انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه ، وهو يجيب :

- سأقوم بجولة سريعة .

سأله (أكرم) فى حدة :

- ولماذا لا تبقى أنت وأذهب أنا ؟!

أجابه ، وهو يتجه نحو الباب فى خفة :

- لأننى أعرف ما الذى أبحث عنه .

قالها ، وفتح الباب ، وعبره فى سرعة ، ثم أغلقه خلفه فى خفة .

وغمغم (أكرم) فى حنق :

- يا للأنانية ! يخصّ نفسه بالمتعة كلها ، ويترك لى الأعمال التقليدية السخيفة .

ثم استدار عائدًا إلى فراش (رمزى) ، و ...

« ربّاه ! » ..

انطلق الهتاف من حلقه ، مع شهقة دهشة ، وهو يحدّق فى (رمزى) ، الذى وقف إلى جوار الفراش ، يتطلّع إليه بعينين عجيبتين ..

ومخيفتين ..

للغاية ..

* * *

لم يكن الحارس الضخم (كاظم) عند الباب ، أو فى الجوار ، كما توقّع (نور) ، لذا فقد راح يقطع ممرات الفيلا فى خفة وسرعة ، متجهًا نحو معمل الدكتور (رائف) ..

كان واثقًا من أن الرجل يخفى شيئًا ما ..

شيئًا يعلمه ..

أو علمه ..

لقد بدا شديد التوتر ، عندما أصاب (رمزى) ما أصابه ..

وربما أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لعالم مثله ، اعتاد مواجهة كل غرائب وعجائب العقل البشرى ..

بكل صوره ..

المعتادة ..

والخارقة ..

ومساعده أيضًا يعلم شيئًا ما ..

أو يخفى شيئًا ما ..

المهم أن الأمور ليست أبدًا كما توحى ..

أو تبدو ..

لاح له باب المعمل ، فى نهاية الممر ، فاتجه نحوه فى خفة ، على أطراف أصابعه ، ولم يكد يقترب منه ، حتى سمع صوت (فيليب) ، يقول فى غضب :

ـ ذلك المقدّم يعلم الكثير .. هل رأيت كيف أشار إلى تجاربك معى ؟! إنهم ليسوا هنا من أجل ذلك الكابوس المزعوم .. لقد أتوا لكشف ما نفعله ..

أجابه صوت الدكتور (رائف) ، فى توتر بالغ :

ـ مستحيل ! لا أحد يمكنه أن يعلم ما نفعله هنا .. لا أحد يمكن أن يعلم سوانا .

ثم أضاف فى عصبية :

ـ ثم إن المؤشرات أوضحت حدوث اتصال عقلى ذهنى بالفعل ، عندما جلس زميلهم على مقعد (مايند ريليزر) .

واحتدّ صوته ، وهو يهتف :

ـ إنهم لا يعبثون أو يخدعون يا (فيليب) .. هناك أمر حقيقى .. اتصال فائق متطوّر ، لم أشهد مثله قط ، منذ بدأت تجاربى هذه .

قال (فيليب) فى غضب :

ـ مستحيل ! هذا يحتاج إلى عقل متطوّر للغاية .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ كعقلى .

قال الدكتور (رانف) فى حدة :

ـ ربما كان عقلك متطوّرًا فريدًا يا (فيليب) ، ولكنه ليس منفردًا فى الوجود .

وتضاعفت عصبيته ، وهو يضيف :

ـ ثم إن الاتصال الذهنى يمكن أن يتم ، لو أن المرسل يمتلك عقلاً متطوّرًا ، وليس من الضرورى أن يتمتّع المستقبل بنفس العقلية .. هناك عشرات الحالات المسجّلة ، لاتصالات ذهنية وعقلية فائقة ، كان المتلقّى فيها شخصية أقل من العادية ، وربما تتمتّع بمعدلات ذكاء منخفضة ، أو أقلّ من المتوسّط على أقصى تقدير(*) .

ساد الصمت لبعض الوقت ، بعد أن نطق عبارته الأخيرة ، قبل أن ينبعث صوت (فيليب) ، وهو يسأل فى توتر :

(*) حقيقة .

ـ وهل تنوى مواصلة التجربة ؟!

أجابه العالم فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .. إنها فرصة نادرة ، أتت إلينا بقدميها ، ولا يمكننى إضاعتها أبدًا ، مهما كان الثمن .

سأله (فيليب) ، فى لهجة بدت لـ (نور) صارمة أكثر مما ينبغى ، بين عالم ومساعده :

ـ على الرغم مما حدث .

أجابه فى إصرار :

ـ لقد اتخذت كل الاحتياطات اللازمة هذه المرة .

قال (فيليب) :

ـ فى المرة السابقة قلت هذا ، وكاد الأمر يفلت من بين أيدينا .

أجابه العالم فى عصبية :

ـ فى المرة السابقة لم أكن أدرك حدود قدرات جهازى بعد .. أما الآن فيمكننى تقدير الموقف ، على نحو أكثر دقة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ وأمنًا .

غمغم (فيليب) بصوت سمعه (نور) بصعوبة :

ـ أتعشم هذا ..

عاد الصمت يغلّف الحجرة ، تاركًا (نور) ، ورأسه يشتعل بعشرات الأسئلة ..

إذن فما حدث مع (رمزى) كان اتصالاً حقيقيًا ..

اتصال بينه وبين (محمود) ..

من عالم آخر ..

ولكن ماذا عن تلك التجربة السابقة ، التى يتحدثان عنها ؟!

من خضع لها ؟!

وكيف ؟!

وما النتائج ، التى كادت تتجاوز الحدود ؟!

بل ما هى الحدود ؟!

ماذا كان يحدث فى المرة السابقة ؟!

لماذا يخيفهما إلى هذا الحد ؟!

ثم ألهذا علاقة بقبة الطاقة ، التى أحاطوا بها الفيلا ، والتى عزلتها تمامًا عن كل أنواع الطاقة أو الموجات خارجها ؟!

أهذه وظيفتها حقًا ؟!

أم أنها موجودة لتُبقى شيئًا ما داخل حدود مغلقة ؟!

شىء موجود بالفعل ..

أو محتمل ..

ولكن أى شىء يمكن أن تطلقه تجارب تقوية اتصال ذهنى؟!

أى شىء يحتاج إلى حاجز طاقة ضخم لاحتوائه ؟!

أهو ذلك الشىء ، الذى هاجم (رمزى) ؟!

الشىء الذى كاد يقتله ؟!

بدا له الاحتمال منطقيًا ..

ومخيفًا ..

ويدفعه إلى إلقاء سؤال آخر ..

ما صلة ذلك الشيء الغامض ، بالاتصال الذهنى الفائق ، بين (محمود) و (رمزى) ؟!

أى سر يكمن هناك ..

فيما وراء العقل ..

وقدراته ..

واتصالاته ؟!

أى سر ؟!

توقفت أفكاره ، عندما سمع (فيليب) يسأله فى قلق :

ـ ماذا تفعل ؟! هل ستعيد التجربة ؟!

أجابه الدكتور (رائف) فى حزم :

ـ ادع الله أن يرغبوا فى هذا ..

قال (فيليب) فى عصبية :

ـ ولكنك لم تدرس بعد ما حدث فى المرة السابقة .

أجابه فى حسم :

ـ التكرار خير وسيلة للحسم .

هتف (فيليب) :

ـ خطأ .. خطأ ..

صاح به العالم فى غضب :

ـ كيف تجرؤ ؟! ربما أصبح عقلك أكثر تطوراً من ذى قبل ، ولكنه لم يبلغ بعد مقدار عبقريتى ونكائى ، حتى تحكم تصرفاتى .

سمع (نور) وقع أقدام (فيليب) العصبية ، وهو يقول :

ـ إننى أناقش نتائج فعلية .

وتعالى وقع الأقدام مرة ثانية ، و ...

ولكن مهلاً ..

إنه لا يأتى من الداخل هذه المرة ..

بل من خلفه ..

من خلفه تماماً ..

وقبل أن تكتمل الفكرة فى رأسه ، انطلقت من خلفه زمجرة غاضبة ..

ثم أحاطت به ذراعان قويتان ..

وراحتا تعتصرانه ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ..

فمن المستحيل أن يكون الذراعان ، اللذان يكادان يسحقانه سحقًا ، ذراعى بشرى ..

من المستحيل تمامًا ..

قفزت الفكرة إلى رأسه ، والذراعان تعتصرانه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى الموت .

★ ★ ★

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما .. فمن المستحيل أن يكون الذراعان ، اللذان يكادان يسحقانه سحقًا ، ذراعى بشرى ..

٥ ـ عيناه ..

« حمدًا لله على سلامتك .. » ..

ابتسمت (نشوى) فى حنان ، وهى تلقى عبارتها ، وتتحسّس شعر أمها الناعم الطويل ، فابتسمت (سلوى) بدورها فى إرهاق ، وضمّت وليدها إليها فى حب ، قائلة :

ـ هل رأيته ؟! هل رأيت (طارق) .. لقد أرادوا وضعه فى حجرة الأطفال ، طبقًا للقواعد والتعليمات ، ولكننى رفضت بإصرار .

غمغمت (نشوى) مبتسمة :

ـ أعلم هذا .

اغرورقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تزيح الغطاء عن وجه ابنها ، قائلة :

ـ انظرى كم يشبه أباه .. كم يشبه .. يشبه ..

أدركت (نشوى) ما تريد قوله ، فربّتت على كفها فى حنان ، مغمغمة :

ـ مستقبله .

أدارت أمها عينيها إليها فى امتنان ، قائلة :

ـ بالضبط يا (نشوى) .. بالضبط(*) .

ثم عادت تنظر إلى الصغير فى حنان ، مستطردة :

ـ كم سيسعد والده بمولده .

والتفتت إليها مرة أخرى ، متسائلة فى لهفة :

ـ هل اتصلت به ؟!

كانت (نشوى) ترغب فى إبلاغها بمحاولاتها الفاشلة فى الاتصال بوالدها ، إلا أن الإرهاق المحفور على وجهها لم يكن يناسب هذا على الإطلاق ، فغمغمت ، محاولة رسم ابتسامة على شفتيها :

ـ ليس بعد ..

ثم أضافت بضحكة مفتعلة :

ـ الأفضل أن يجد المفاجأة فى انتظاره ، عند عودته .

قالت (سلوى) فى سعادة مرهقة :

(*) راجع قصة (الفارس الثانى) .. المغامرة رقم (١٢٠) .

ـ بالتأكيد .

وتحسّست الصغير فى فرح وزهو ، قبل أن تقول :

ـ يا لها من مفارقة ؟! شقيقك سيصبح أصغر من ابنك .

ابتسمت (نشوى) مغمغمة :

ـ لا شىء فى عائلتنا يسير على النحو الطبيعى .

ضحكت (سلوى) ، قائلة :

ـ هذا صحيح .

ثم ضمت صغيرها إليها ، وأسبلت جفنيها فى إرهاق ، مضيفة :

ـ ولكن من المؤكّد أن (نور) سيسعد كثيرًا بالمفاجأة ، عندما يعود من (الإسكندرية) سالمًا .

وافقتها (نشوى) بإيماءة مبهمة من رأسها ، وعقلها يتساءل : تُرى هل سيعود الجميع من (الإسكندرية) سالمين بالفعل ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

لدقيقة أو يزيد ، لم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، وهو يحدّق فى (رمزى) الذى بدا جامدًا كتمثال من الحجر ، مع تلك النظرة المركّزة المخيفة ..

نظرة تبدو وكأنها مدسوسة على عينيه الحانيتين ..

نظرة شيطانية ..

وأخيرًا تنحنح (أكرم) ..

تنحنح ليحطّم حاجز خوفه وتوتره ، قبل أن يقول فى عصبية ، لم يستطع إخفاءها :

ـ احم .. هل استيقظت أخيرًا .

ولم يجب (رمزى) ..

لم يبد حتى أنه قد سمع ما قاله زميله ..

بل ولم يكن حتى هناك ..

حيث يقف ..

وهذا ليس تعبيرًا بلاغيًا ..

بل هو حقيقة ..

فعلى الرغم من أنه يقف أمام (أكرم) ، داخل تلك الحجرة الكبيرة ، إلا أن كيانه كله كان هناك ..

فى ذلك العالم الآخر ..

كان يسير فوق الرمال الزمردية الباردة ، وقلبه يخفق فى عنف ، وهو يتلفت حوله بحثًا عنه ..

عن (محمود) ..

وفى ارتياع ، انتبه إلى أن الشموس الأربع لم تعد كما كانت ..

لم تعد متقاربة مجتمعة كذى قبل ..

فالشمس الأرجوانية اقتربت أكثر من الصفراء ..

والزرقاء والرمادية اتجهتا إلى الطرفين ..

وهتف (رمزى) مذعورًا :

ـ ربَاه ! إنها تبتعد ..

أتاه صوت حزين يقول :

ـ وتضيع معها فرصة العودة .

التفت إلى الصوت فى سرعة ولهفة ، ورأى تلك السحابة تتكوّن مرة أخرى ..

ولكن ليس بنفس القوة ..

أو بنفس الوضوح ..

صورة (محمود) كانت باهتة إلى حد ما ، وهو يشير إلى الشموس الأربع ، قائلاً فى مرارة :

ـ يبدو أن الوقت يمضى بأسرع مما نتصوّر .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ كم تبقّى أمامنا من وقت .

صمت (محمود) لحظة ، ثم أجاب ، وهو يتطلّع إليه بعينين ، حملتا كل حزن الدنيا :

ـ لست أدرى كم تبقّى من وقت هنا ، ولكن ..

هتف (رمزى) فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى مرارة :

ـ إنها تختفى ، مع مطلع الفجر فى عالمكم .

ثم عاد يرفع عينيه إليه ، مستطردًا :

ـ أعنى فى كوكبنا .

سأله (رمزى) فى انفعال :

ـ أى مطلع فجر ؟! وفى أى موقع من عالمنا .

أجابه (محمود) :

ـ حيثما تقف الآن .

تلفت (رمزى) حوله ، وقال فى عصبية :

ـ ما زالت أمامنا فرصة إذن .. يمكننا أن نستعيدك .

أجابه (محمود) فى حزن :

ـ كل دقيقة تمضى ، يضيع معها أمل كبير .

هتف (رمزى) :

ـ لا يجب أن نضيع ثانية واحدة إذن .

هزّ (محمود) رأسه ، وقال :

ـ كم أتمنى هذا يا صديقى .. كم أتمناه .

كان صوته يخفت ، وصورته تتلاشى ، فهتف (رمزى) :

ـ لا تذهب يا صديقى .. أرجوك .. لا ترحل .

قال (محمود) ، وصوته يبتعد :

ـ عد إلى عالمك يا صديقى .. واعمل على إنقاذى .. إنه جحيم هنا .. جحيم أبدى .

صرخ (رمزى) :

ـ لا تبتعد يا (محمود) .. أرجوك .

ثم انتفض جسده فى عنف ..

ومع انتفاضته ، تلاشى ذلك العالم من حوله بغتة ..

وتلاشت تلك النظرة المخيفة من عينيه ..

وفى دهشة يغلب عليها الذعر ، حدّق فى وجه (أكرم) ، الذى هتف :

ـ ربّاه ! هل عدت حقًا ؟!

اندفع (رمزى) نحوه ، وأمسك كتفيه فى قوة ، قائلاً فى انفعال :

ـ أين (نور) ؟! أين الدكتور (رائف) ؟!

سأله (أكرم) فى حيرة متوترة :

ـ ماذا تريد منهما ؟!

هتف (رمزى) :

ـ لا يمكننا أن نضيع ثانية واحدة يا (أكرم) .. إنه هناك .. يعانى .. يتعذّب .. لابد أن نستعيده .. لابد .

سأله (أكرم) مبهوتًا :

ـ من تقصد ؟! (محمود) ؟!

صاح (رمزى) :

ـ ومن غيره ؟!

ثم عاد يقول فى انفعال جارف :

ـ أين (نور) ؟! لا بد أن نعيد التجربة .. وبأى ثمن .

هتف به (أكرم) فى صرامة :

ـ تلك التجربة كادت تقتلك يا رجل .

صاح (رمزى) فى حدة :

ـ حياتى لا تهم .

ثم ارتجفت شفتاه فى تأثُّر ، وهو يضيف :

ـ المهم أن يعود (محمود) .

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة مشفقة ، ثم أمسك كتفيه فى قوة ، وقال :

ـ اهدأ يا صديقى .. اهدأ .. سنبذل قصارى جهدنا ، ولكن ..

دفعه (رمزى) بعيدًا ، وهو يهتف :

ـ لا يوجد لكن .. لا بد أن نستعيد (محمود) بأسرع وسيلة ممكنة .. ليس أمامه الكثير من الوقت .

ثم انطلق يعدو خارج الحجرة ، صائحًا :

ـ (نور) .. دكتور (رائف) .. أين أنتما ؟!

اندفع (أكرم) خلفه ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ ماذا أصاب الجميع هنا ؟! هل أصابتهم عدوى الجنون ؟!

فى نفس اللحظة ، التى انطلقا فيها ، عبر ممرات وردهات الفيلا ، كان الحارس الضخم يعتصر (نور) بذراعيه القويتين ، فى قسوة صارمة ، وكأنما يحاول تحطيم أسطوانة من البلاستيك ..

وبكل قوته وخبرته ، راح (نور) يقاوم ..

كان ذراعاه مقيدين تمامًا ، ويده الممسكة بمسدسه تعجز عن توجيه فوهته إلى أى جزء من جسد العملاق ..

أما ساقاه وقدماه ، فقد ارتفعتا عشرة سنتيمترات عن الأرض على الأقل ، فراح يضرب بهما ساقى خصمه بكل قوته ..

ولكن (كاظم) لم يبد عليه التأثُّر ..
بل وحتى لم يتأوّه ..
أو تتحرّك قدماه قيد أنملة ..
تمامًا كما لو أن (نور) يركل جدارًا من الصخر ..
أو من الصلب ..
ثم فجأة ، ظهر (رمزى) ..
وخلفه (أكرم) ..

وبينما توقّف الأوّل مبهوتًا ، أمام ذلك المشهد ، ليهتف فى ذعر جمع كل توتره وانفعاله :

ـ يا إلهى !

واصل (أكرم) اندفاعه ، وهو يهتف فى غضب :

ـ أيها الوغد .

ثم وثب وثبة مدهشة ، ليتعلّق بعنق (كاظم) ، مستطردًا :

ـ كيف تجرؤ على المساس بقائدنا ؟!

قالها ، ولكم الضخم لكمة كالقنبلة ، فى مؤخرة عنقه ..

لكمة تكفى لقتل ثور ثائر ..
ولكن الحارس المخيف لم يتزحزح ..
أو يتأوّه ..
أو حتى يهتم ..

لقد واصل اعتصار (نور) بذراعيه ، فى قوة مخيفة ، حتى شعر هذا الأخير بضلوعه تئن ، وتوشك أن تتحطّم ، و ...

« (كاظم) .. » ..

انطلق الهتاف فجأة ، فى دهشة وغضب وصرامة ، من بين شفتى الدكتور (رالف) ، الذى اندفع بمقعده المتحرّك إلى خارج معمله ، إثر سماعة هتافات (أكرم) ، وتبعه مساعده (فيليب) ، الذى هتف فى غضب :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

صاح به (أكرم) ، وهو يلصق فوهة مسدسه بمؤخرة عنق (كاظم) ، ويجذب إبرته فى صرامة :

ـ مر هذا الغوريلا بإفلات (نور) ، وإلا أقسم أن أنسف رأسه بلا رحمة .

صاح الدكتور (رائف) فى عصبية :

ـ اتركه يا (كاظم) .

قبل حتى أن تكتمل صيحته ، وبطاعة مدهشة ، أفلت الحارس الضخم (نور) ، وتركه يسقط أرضًا ، ثم وقف منتبهًا فى احترام ، ينتظر أوامر سيِّده ..

وبألم وانفعال ، نهث (نور) ، وهو ينهض من سقطته ، فاندفع إليه (رمزى) ، وسأله فى جزع :

ـ أأنت بخير ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لو تأخرتما ثانية واحدة ، لهشَّم هذا الغوريلا عظامى بلا رحمة أو هوادة .

هتف به (فيليب) فى غضب :

ـ ماذا كنت تفعل هنا أيها المقدَّم ؟!

أجابه (نور) فى صرامة وصراحة :

ـ كنت أستمع إلى حديثكما .

انعقد حاجبا (فيليب) فى غضب هادر ، فى حين امتقع وجه الدكتور (رائف) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سأله (نور) فى صرامة :

ـ ماذا تخفون بالضبط يا دكتور (رائف) ؟!

أشاح الرجل بوجهه ، مجيبًا فى خفوت :

ـ ليس هذا من شأنك .

قال (نور) :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

صاح به (فيليب) :

ـ اسمع أيها المقدَّم .. التماؤك للمخابرات العلمية لا يعنى حقك فى أن تقتحم خصوصياتنا دون استئذان .

أدار (نور) عينيه إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ ما نوع التجارب ، التى تجرونها هنا ؟!

أجابه (فيليب) فى عصبية :

ـ ليس هذا من شأنك .

قال (نور) فى صرامة أكثر :

ـ يمكننى أن أجعله كذلك .. من الناحية الرسمية .

هتف (فيليب) فى تحد :

ـ افعل إذن ، أو ابتعد من هنا ، واتركنا لخصوصياتنا ، التى أتيتم لإفسادها بلا مبرّر .

أجابه (رمزى) هذه المرة ، فى توتر شديد :

ـ بل لدينا مبرّر قوى للغاية ..

ثم أضاف فى صرامة :

ـ نريد أن نستعيد رفيقنا .

غمغم الدكتور (رائف) فى عصبية :

ـ ومن أدراك أنه رفيقكم ؟!

سأله (أكرم) فى دهشة مستنكرة :

ـ ماذا تقصد بسؤالك السخيف هذا ؟! إنه رفيقنا بالتأكيد .. نحن نعرفه منذ زمن طويل .

أدار إليه العالم وجهه فى حدة ، هاتفًا :

ـ أنتم تعرفونه ، عندما كان هنا .

ثم لوّح بذراعه ، صائحًا :

ـ وليس هناك .

انعقد حاجبا (نور) دون تعليق ، فى حين سأله (رمزى) فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

هتف الرجل ، فى عصبية زائدة :

ـ أعنى أنه لا شىء يبقى على حاله ، فى عالمنا هذا ، حتى مع استقراره النسبى .. كل شىء يتغيّر ويتبدّل ، مع تغير البيئة ، والمناخ ، والظروف الصحية والاجتماعية .. وحتى الاقتصادية .. شعوب كاملة تتحوّل من نظام شيوعى إلى رأس مالى .. ومن السلم إلى الحرب ، ومن الغنى إلى الفقر ، أو العكس بالعكس .. أشخاص كانوا يتمتعون بطيبة وحنان الدنيا كلها فى طفولتهم ، تحوّلوا إلى قساة أشرار فى كهولتهم ، أو العكس .. كل هذا يحدث فى عالم بسيط ، فما بالك بما يحدث هناك .. فى عالم آخر .. عالم ذى أربعة شموس .

قال (رمزى) :

ـ (محمود) هو (محمود) ..

قال العالم فى حدة :

ـ حقًا ؟! لماذا حاول قتلك إذن ، فى أثناء اتصالكما العقلى الأخير .

هتف (رمزى) :

ـ إنه لم يفعل هذا .

صاح به الدكتور (رائف) :

ـ بل فعل .. راجع ما سجّله الكمبيوتر ، وستجد أن اتصالك العقلى به ظلّ هادئًا ، قبل أن تمتزجا بعضكما ببعض .

ارتفع حاجبا (نور) ، وهو يهتف :

ـ يمتزجا ؟!

لوّح الدكتور (رائف) بذراعه ، صائحًا :

ـ نعم .. يمتزجا .. ذلك الشىء هناك حاول اختراق عقله .

هتف (رمزى) :

ـ إنه ليس مجرّد شىء .. إنه (محمود) .. ثم إن هذه كانت الوسيلة الوحيدة ، لعبوره إلى عالمنا .. أن يأتى عبر عقل بشرى .

اتعقد حاجبا (فيليب) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أهو أخبرك بهذا ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة وانفعال :

ـ نعم .. هو أخبرنى هذا ، وحذّرنى من أنه أمامنا فقط حتى مطلع الفجر ، وبعدها لن يمكننا استعادته أبدًا .

احتقن وجه (فيليب) ، وهو يهتف :

ـ إنها خدعة واضحة .

صاح به (أكرم) فى صرامة :

ـ رفيقنا ليس مخادعًا يا هذا .

صاح (فيليب) فى غضب :

ـ ومن قال إنه رفيقكم ؟!

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ من يمكن أن يكون إذن ؟!

استدار إليه فى حدة ، وكان يلقى جوابًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه فجأة ، وتراجع ليعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى صرامة :

ـ أى شىء .

التفت (رمزى) إلى الدكتور (رائف) وقال فى توتر :

ـ اسمع يا دكتور (رائف) .. ليس لدينا وقت لمناقشة الشكوك ، أو تبادل الاتهامات .. ربما تقومون هنا بتجارب سرية بالفعل ، وربما تتعارض أو تتفق مع الأمن القومى ، ولكن كل هذا لا يعنينى ، فى الوقت الحالى .. إنها الثانية صباحًا ، والفجر سينبلج فى الرابعة والنصف وخمس دقائق ، وهذا يعنى ضرورة أن نعمل فى سرعة ، لاستعادة زميلنا ، وإلا فقدناه إلى الأبد .

هزّ (فيليب) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا يمكننا أن نجازف .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ نحن أيضًا لا يمكننا أن نجازف ، فالثمن يعنى ضياع فرصة نادرة ، لاستعادة زميلنا ، الذى ضحى بكيانه من أجلنا مرتين .

أشاح الدكتور (رائف) بوجهه ، دون أن يجيب ، فى حين قال (فيليب) فى حدة :

ـ لا يمكننا احتمال النتائج مرة أخرى ، و ..

قاطعه (نور) فى تساؤل واهتمام :

ـ ماذا تعنى بمرة أخرى ؟!

انعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صلابة وعناد :

ـ لست أعنى شيئًا .

قال (نور) :

ـ المرء لا يمكن ألا يعنى شيئًا ، عندما يشير إلى وجود تجربة سابقة ، لأمر يزمع الإقدام عليه .

صمت (فيليب) لحظة ، أشاح العالم خلالها بوجهه أكثر وأكثر ، ثم قال فى صرامة وبرود :

ـ كنت أعنى ما أصاب زميلكم فى المرة السابقة .. لقد كاد يلقى مصرعه .. أليس كذلك ؟

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ أهذا ما تقصده حقًا ؟!

أجابه (فيليب) فى برود كالثلج :

ـ بالتأكيد .

أدار (نور) عينيه إلى الدكتور (رائف) ، وسأله فى حزم :

ـ أهذا صحيح يا دكتور (رائف) ؟!

لم يجب الرجل ..

ولم يدر عينيه إليه ..

ولكنه بدا وكأنه ينتحب ..

نعم .. ينتحب بلا دموع ، حتى إن (رمزى) قد شعر بشفقة وتعاطف تجاهه ، فوضع يده على كتفه ، قائلاً :

ـ دكتور (رائف) .

استمر النحيب لحظة أخرى ، قبل أن يدير الرجل إليهم وجهه ..

وجه شاحب ، ممتقع ، احمرّت عيناه وزاغتا ، على نحو رهيب ..

وانعقد حاجبا (نور) أكثر وأكثر ، واتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى !

وفى صرامة تغلب عليها رنة عصبية ، قال (نور) :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

هتف (فيليب) :

ـ ليس هذا من شأنك أيها الـ ...

ولكن الدكتور (رائف) استوقفه بإشارة من يده ، وقال فى صوت حزين منكسر :

ـ كفى يا (فيليب) .. من حقهم أن يعلموا .

صاح (فيليب) :

ـ كلاّ .. لا تفعلها .. ليس من حقهم أى شىء ..

ولكنه تجاهل صيحته ، وهو يرفع عينيه المحمرتين إلى (نور) ورفيقيه ، قائلاً :

ـ سأخبركم .. سأخبركم كل ما حدث ..

وبدأ يروى قصة التجربة السابقة ..

التجربة الرهيبة .

* * *

٦ ـ القـــرار ..

سطع البرق فى السماء ، وسط الأمطار المنهمرة فى غزارة ، فى تلك الليلة الطويلة ، من ليالى الشتاء ، وسعل الدكتور (رالف) مرتين ، وتنحنح فى توتر بالغ ، وهو يشير إلى جهازه ، قائلاً :

ـ كان هذا منذ شهر واحد ، عندما اكتمل جهازى (مايند ريليزر) ، وصار مؤهلاً للاستخدام ، ومعداً لإجراء أول تجربة علمية حول وسائل تقوية الاتصالات الفكرية .. ولكن المشكلة الوحيدة التى كانت تواجهنا ، هى من ؟! من سيخضع لأول تجربة ؟!

انعقد حاجبا (فيليب) ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يشيح بوجهه فى غضب ، والدكتور (رالف) يتابع :

ـ مشكلة تجارب الاتصال العقلى ، هى أنه من غير المجدى أن تجريها على فئران وحيوانات التجارب ،

إذ إن النتائج ليست مجرّد مؤشرات وتسجيلات كمبيوتر ، وإنما هى مشاعر وأحاسيس شخصية بالدرجة الأولى ، لا بد أن يشعر بها ، ويجتازها بشرى ، يمتلك الذكاء الكافى لإدراكها ، وشرحها ، وتقنيدها لو لزم الأمر .

ثم تنهّد فى عمق ، وصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ وهكذا اتخذت قرارى بإجراء التجربة على نفسى .

غمغم (فيليب) فى حنق :

ـ ولكن هذا لم يكن ممكنًا .

ثم أدار وجهه إليهم ، مضيفًا فى صرامة :

ـ لذا فقد تطوّعت أنا .

أومأ الدكتور (رائف) برأسه ، وقال بصوت حمل الكثير من التوتر والانفعال :

ـ وكانت تجربة رهيبة .

حاول أن يكمل ، ولكن انفعاله غلبه ، فسعل مرتين ، مما جعل (فيليب) يقول ، دون أن يفقد صوته حنقه وصرامته :

ـ فى البداية ، بدأت عملية بث موجات تقوية قدرات المخ ، وإطلاق طاقات العقل ، فى رفق وهوادة .

وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يتابع فى نشوة مدهشة ، وكأنما يستعيد اللحظات نفسها ثانية فثانية :

ـ شعور مدهش ، أن تتدفّق طاقة كهذه إلى عقلك .. شعور ممتع أن تدرك أنك تزداد قوة وكفاءة ..

وصمت لحظة ، ارتسمت خلالها ابتسامة نشوة على شفتيه ، وهو يتابع :

ـ أصبحت فجأة أمتلك قدرات عقلية ، لم أحلم يومًا بمجرّد الاقتراب منها .. أصبحت قادرًا على قراءة أفكار البعض ، والتقاط رسائل فكرية منهم ، والتأثير فى عقولهم ، وإيهامهم برؤية أمور خارقة للطبيعة . بل وتحريك بعض الأجسام الخفيفة بعقلى وحده .

تمتم الدكتور (رائف) :

ـ ولكن هذا لم يدم طويلاً :

فمطّ (فيليب) شفتيه ، وأشار بأصابعه ، قائلاً :

ـ خمسة أيام فحسب ، ثم راحت كل تلك القوى تتلاشى ، وتذهب ، وترحل .

ثم لوّح بذراعه ، هاتفاً فى مرارة :

ـ شعور سخيف ، لم يمكننى احتماله قط .. أى شخص فى الوجود لم يكن بإمكانه احتماله ، بعد أن ذاق القوة ، وتمتّع بما تدفعه فى جسده ، من نشوة وثقة .

قال (نور) فى بطء :

ـ لذا فقد كرّرت التجربة .

تألّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما ضاعفنا قوة البث أيضًا .. وراحت القوة تتدفّق إلى عقلى أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

وتلاشى بريق عينيه بغتة ، وارتجفت شفتاه ، مع استطرادته :

ـ ثم حدث ذلك الاتصال .

جذبت العبارة الأخيرة انتباههم بشدة ، فتساءل (رمزى) فى توتر :

ـ أى اتصال ؟!

أجابه الدكتور (رانف) ، وهو يشير بيده فى عصبية :

ـ اتصال ذهنى فائق للغاية ، وثبت فى أثنائه المؤشرات كلها فى عنف ، حتى خُيّل إلىّ أن جهاز الكمبيوتر كله سينفجر فى وجهى ، ورأيت (فيليب) المسكين يتلوّى فى ألم ، وسمعته يطلق أبشع صرخة سمعتها فى حياتى .

عضّ (فيليب) شفتيه ، قائلاً فى مرارة ، وبصوت حمل ذكريات آلامه الرهيبة حينذاك :

ـ ذلك الشىء كان يمزّق كيانى كله ، ويخترق عقلى بلا رحمة أو هوادة ، وكأنما يسعى للسيطرة علىّ ، أو اختراق كينونتى إلى عالمنا .

سأل (نور) بأنفاس مبهورة :

ـ وماذا فعلتم عندئذ ؟!

هزّ الدكتور (رانف) رأسه ، وهو يجيب :

ـ نفس ما فعلتموه أنتم ، ولكن بصورة أخرى ..

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، مضيفًا بصوت مرتجف :

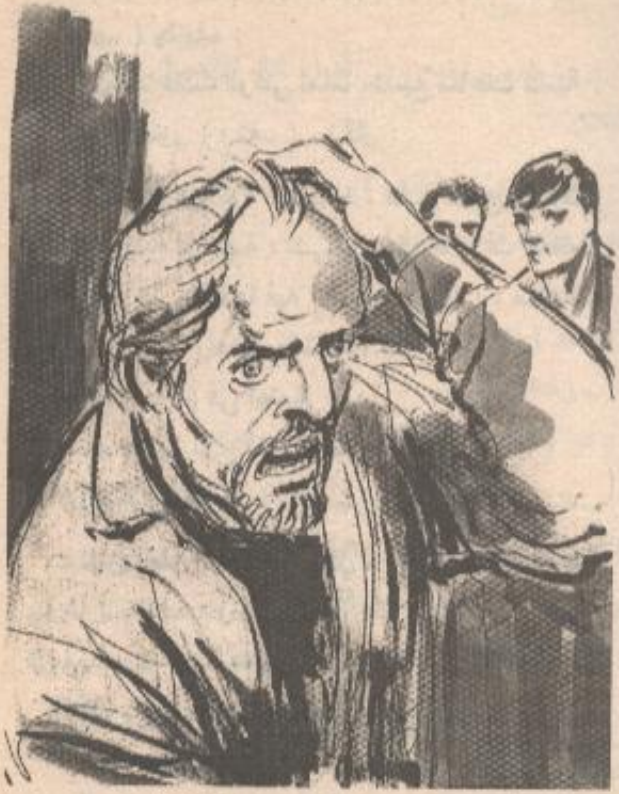

ثم أشار بيده ، وتابع بصوت يحمل ذكريات مريرة :
ـ شعرت وكأن قبضة باردة كالثلج تعتصر مخى ..

ـ لقد أنهيت برنامج الكمبيوتر .

عضّ (فيليب) شفتيه فى توتر عصبى بالغ ، و (رمزى) يسأل :

ـ وماذا حدث عندئذ ؟!

غمغم (فيليب) :

ـ شىء لا يمكن تصوّره .

ثم أشار بيده ، وتابع بصوت يحمل ذكريات مريرة :

ـ شعرت وكأن قبضة باردة كالثلج تعتصر مخى ، حتى تسيل منه قطرات حياتى ، ملتهبة كالحمم ، فيشتعل معها كيانى كله .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ أمن الضرورى أن تستخدم عبارة أدبية ، لوصف موقف كهذا ؟!

هز (فيليب) رأسه ، قائلاً :

ـ إنها ليست عبارة أدبية .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ هذا ما شعرت به بالفعل .

تبادل (نور) و(رمزى) و(أكرم) نظرة متوترة ، و(فيليب) يضيف :

ـ وبعدها فقدت الوعى تمامًا ، لسبع ساعات كاملة .

تنهّد الدكتور (رائف) ، وقال :

ـ النتيجة الإيجابية الوحيدة ، التى خرج بها من تلك التجربة الرهيبة ، هى أن تلك القدرات العقلية الخارقة ، التى أطلقها فيه (مايند ريليزر) ، ما زالت باقية ومستقرة ، حتى يومنا هذا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل حددتم نوع ذلك الاتصال الذهنى ؟!

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ ليس بصورة حاسمة ..كل ما نعرفه هو أنها قوة خارقة للمألوف ، ولديها قدرة على الاتصال ، تفوق كل ما خبرته طيلة عمرى .

التفت (نور) إلى (فيليب) ، قائلاً :

ـ وماذا عنك ؟!

سأله (فيليب) فى عصبية :

ـ ماذا عنى ؟!

سأله (نور) :

ـ ما الذى رأيته ، فى أثناء ذلك الاتصال العقلى الفائق ؟!

اتسعت عينا (فيليب) ، وهو يجيب ، فى صوت حمل رهبة الدنيا كلها :

ـ جحيم .

تمتم (أكرم) ، دون أن يدرى :

ـ رحماك يا ربى !

أما (فيليب) ، فتابع بصوت مرتجف :

ـ الرؤية انجلت أمامى لحظة واحدة ، لحظة رأيت خلالها جحيمًا رهيبًا .. عالمًا من النيران واللهب .. براكين ثائرة .. حممًا متدفقة ..

ثم أخفى وجهه بكفه ، مضيفًا :

ـ مشهد استغرق لحظة ، ولكن لا يمكننى محوه من ذاكرتى أبدًا .

حدّق الجميع فى وجهه صامتين لبعض الوقت ، قبل أن يتمتم (رمزى) :

ـ هذا يخالف ما رأيته تمامًا .

ثم التفت إلى الدكتور (رائف) ، متابعًا فى حزم :

ـ وربما يعنى هذا أن باستطاعتنا تكرار التجربة .

هتف الدكتور (رائف) :

ـ مستحيل ! إنها مجازفة خطيرة .

قال (رمزى) فى إصرار :

ـ التخلّى عنها أيضًا مجازفة خطيرة .

هزّ الدكتور (رائف) رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ لا يمكننى أن أحتمل مسئولية مصرعك .

قال (رمزى) :

ـ اطمئن .. (محمود) لن يؤذينى أبدًا ..

صاح الدكتور (رائف) :

ـ قلت لك : إنه من المحتمل ألا يكون زميلكم .

قال (أكرم) فى سرعة :

ـ ومن المحتمل أيضًا أن يكون هو .

أضاف (رمزى) :

ـ والوقت يمضى أسرع مما تتصوّر .

هتف (فيليب) :

ـ إنكم حمقى .

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ ولكننا مستعدون لبذل أرواحنا ، فى سبيل استعادة رفيقنا .

قال (فيليب) ، فى سخرية عصبية :

ـ ربما بذلتموها فى سبيل تدمير العالم .

ثم التفت إلى (نور) ، هاتفًا :

ـ لماذا تلوذ بالصمت أيها المقدّم ؟! أين رأيك ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ اعتدت أن أستمع أوّلاً إلى آراء الآخرين .

قال (فيليب) فى حدة :

ـ ولكنك قائدهم ، وإليك وحدك تعود مسئولية إصدار القرار .

أجاب (نور) بنفس الهدوء :

ـ بالتأكيد .

ثم أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ الواقع أن القرار ليس سهلاً كما تتصورون ، وهذا لا يتعلق بشكوك الدكتور (رالف) ، الخاصة بهوية (محمود) ، أو حتى بذعر السيد (فيليب) ، وخشيته من تكرار تجربته الرهيبة .. إنه يتعلق بمصير (رمزى) ، عند إجراء محاولة الاتصال الأولى .. لقد رأينا جميعًا ما أصابه ، حتى كادت روحه تزهق ، لولا إنهاء الاتصال على نحو مباغت .. وكل ما أخشاه ، وأحاول تفاديه بكل قوتى ، هو أن نستعيد زميلاً ، على حساب زميل آخر .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ أحدهما سيفوز على الأقل يا (نور) .

التفت إليه (نور) والآخرون فى تساؤل ، فتابع :

ـ حتى لو بذلت حياتى ، فى سبيل استعادة (محمود) ، وهذا ما أشك فى أنه سيسمح بحدوثه ، فسيكون هو

قد عاد إلى عالمه الأصلى ، وغادر ذلك الجحيم الأبدى ، فى حين انتهت حياتى أنا ، دون عذاب أو عار .. بل بشهادة فخر ، وإعلان صداقة ، يزهو به ابنى من بعدى .. أما لو تخلينا عن الأمر ، وتركناه يواجه كل ذلك العذاب ، فى عالم آخر ، فلن يهنأ لى العيش لحظة واحدة ، وسيظل كلانا فى عذاب بلا حدود .

قال (نور) فى حذر :

ـ ولكن اتصالنا السابق بزميلنا (محمود) ، لم يحمل أية إشارة منه للجحيم والعذاب !

قال (رمزى) فى حزم :

ـ ربما لم يكن قد شعر بهما بعد .

تمتم (أكرم) :

ـ ربما .

وبعد تمتمته ، ساد صمت رهيب فى المكان ..

وعلى كل الوجوه ، ارتسمت علامات تفكير عميق .. عميق إلى أقصى حد ..

وفى كل لحظة ، كان كل منهم يدير عينيه فى وجوه الآخرين ، وكأنما يبحث فيها عن جواب ..

أو عن قرار ..

ثم كان (نور) أول من قطع ذلك الصمت المهيب ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن .. سنقوم بالمخاطرة .

هتف (فيليب) فى سخط غاضب :

ـ حمقى .

ثم اندفع يغادر المعمل فى حنق ، فى حين غمغم الدكتور (رانف) :

ـ أتعشم أن يكون هذا هو القرار الصحيح .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إنه القرار الوحيد .

صمت الدكتور (رانف) بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن رفع رأسه إلى أعلى ، مغمغمًا بصوت مضطرب :

ـ أو هو القدر .. قدرنا جميعًا .

وسطع البرق مرة أخرى بوميض عجيب .. ورهيب ..

★ ★ ★

أمسكت (نشوى) سماعة هاتفها الخاص فى انفعال ، وهى تتحدث إلى (مشيرة محفوظ) ، زوجة (أكرم) ، قائلة :

ـ نعم .. إنها نائمة الآن يا (مشيرة) .. إنها بخير ، وكذلك (طارق) الصغير .. أتعشم ألا يكون (محمود) قد سبّب لك أية متاعب .

أجابتها (مشيرة) فى حنان :

ـ مطلقًا .. إنه نائم كالملاك .. متى تعودين ؟!

قالت (نشوى) ، والتوتر يتقاطر من صوتها ولهجتها :

ـ لست أدرى .. هناك أمر يحتم ذهابى إلى مقر الفريق ، فى إدارة المخابرات العلمية .. سأحاول إنهاءه بسرعة ، والعودة إليك قبل السادسة صباحًا .

سألتها (مشيرة) فى قلق :

ـ هل حدث شىء ما ؟!

أجابتها (نشوى) ، محاولة إخفاء انفعالها .

كلاّ .. إنه اتصال أحاول إجراءه فحسب .

أرادت (مشيرة) أن تسألها عن حقيقة الأمر ..
من باب الفضول الصحفى على الأقل ..
ولكن الظروف لم تكن أبدًا مناسبة لهذا ..
لذا فقد قالت فى هدوء :

ـ فليكن .. عودى وقتما يحلو لك .. إننى أستمتع كثيرًا برعاية (محمود) الصغير .. ربما لأننى .. لأننى ..

قاطعتها (نشوى) :

ـ أعلم يا (مشيرة) .. أعلم ..

أنهت الاتصال ، وهو تقود سيارتها تحت الأمطار ، التى تنهمر فى غزارة ليس لها من مثيل ، منذ عشر سنوات على الأقل ، حتى إن الشوارع والطرقات قد امتلأت بالمياه ، على نحو جعل (نشوى) تغمغم فى توتر :

ـ أيمكن أن يكون هذا هو السبب ؟!

كانت تدرك جيدًا أن الاتصالات الرقمية الحديثة ، التى تعتمد على الأقمار الصناعية مباشرة ، لا يمكن

أن تتأثر بالأمطار والعواصف ، مهما بلغت غزارتها أو شدتها ، إلا أن عقلها القلق كان يبحث عن تعليل ..

أى تعليل ..

منطقى أو غير منطقى ..

المهم أن يرتاح عقلها ..

وأن تهدأ مخاوفها ..

ففى داخلها ، يتردد سؤال مفزع بلا انقطاع ..

ماذا أصاب زوجها ووالدها وزميلها ؟!

لماذا انقطعت الاتصالات بهم تمامًا ؟!

حتى هاتف فيلا الدكتور (رانف) لا يستجيب للنداء ..

لماذا ؟!

لماذا ؟!

بلغت مقر الفريق ، وذهنها منشغل بالبحث عن الأجوبة ، حتى جلست أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..

ثم بدأت عملها ..

كان عليها أن تبحث عن سبب انقطاع الاتصالات ..

بأية وسيلة كانت ..

لذا ، فقد لجأت أولاً إلى اختراق شبكة الاتصالات الرئيسية ، للبحث عن أية أسباب أو أعطال ، يمكن أن تؤدى إلى انقطاع الاتصال ..

ولكن كل شىء كان على ما يُرام ..

وهذا يعنى أن المشكلة تتعلّق بجهاز الاتصال الخاص بوالدها ..

ومن هذا المنطلق ، انتقلت إلى شبكة متابعة الأقمار الصناعية ..

وعلى الرغم من السياج الأمنى ، المقام حول تلك الشبكة ، فقد نجحت كخبيرة كمبيوتر فائقة فى اختراقها ..

ولكن حتى داخل شبكة الأقمار الصناعية ، كان كل شىء على ما يُرام ..

وفى قلق شديد ، غمغمت :

ـ ماذا حدث إذن ؟!

كل تلك النتائج الإيجابية كانت تضاعف من قلقها وتوترها ، وتجعلها أكثر ارتياعًا وتساؤلاً ، عما أصاب الجميع هناك ..

فى تلك البقعة المنعزلة ..

ثم قفزت إلى رأسها فكرة ..

فكرة جعلتها تتمتم :

ـ ولِمَ لا ؟!

وبكل همة ، راحت تحوّل الفكرة إلى واقع ..

على الرغم من صعوبتها ..

وخطورتها ..

فقد قرّرت أن تلقى نظرة على فيلا الدكتور (رائف عبيد) ..

عبر الأقمار الصناعية ..

ولأن هذا لا يمكن أن يتمّ ، دون تصريح أمنى خاص ..

ولأن الوقت لا يكفى للحصول على مثل هذا التصريح ، فقد قرّرت اختراق نظم الأمن الدفاعى ..

وهذا ليس بالأمر السهل ..

أو القانونى ..

ولكن من حسن الحظ أنها إحدى المشاركات فى وضع نظم الأمن الدفاعية الإليكترونية الخاصة ..

لذا فقد استغرق منها الاختراق ربع الساعة فحسب ..

وبعدها تمتمت :

ـ ها هو ذا .. كل ما علينا هو أن نحدّد الموقع المطلوب ..

بحثت فى الكمبيوتر عن عنوان الدكتور (رائف) ، ثم وجّهت أحد الأقمار الصناعية الخاصة بالمراقبة نحوه ..

وراحت تقترب بالمشهد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم انعقد حاجباها فى شدّة ، وهى تغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ففى نفس موقع الفيلا ..

ووسط الفناء الكبير ، لم تنقل أجهزة المراقبة المتطوّرة سوى دائرة ..

دائرة بيضاء ..

دون أية تفاصيل ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

« اهدأ يا سيّد (رمزى) .. حاول أن تهدأ .. »

نطق الدكتور (رائف) العبارة ، بأكبر قدر استطاعه من الهدوء ، وهو يعدّل مؤشرات جهاز (مايند ريليزر) ، ثم ينتقل إلى الكمبيوتر ، ويضرب أزراره ، مستطردًا :

ـ لا يمكن أن ينجح الاتصال بصورة جيّدة ، إلا لو استرخيت تمامًا ..

أومأ (رمزى) برأسه متفهّمًا ، فى حين قال (نور) فى توتر :

ـ أليس من المفترض أن يساعده جهازك على هذا ؟!

أجابه الدكتور (رائف) :

ـ التجربة السابقة تجعلنى أفضل إدارة الجهاز ببطء ، وبث موجة إطلاق العقل فى هدوء ، رويدًا رويدًا ، حتى يمكننا تلافى أية ردود أفعال عنيفة ، أو نتائج غير متوقعة .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ من المؤكد أن هذا أفضل .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ المهم أن نسرع .. ليس لدينا الكثير من الوقت ..

أشار إليه الدكتور (رائف) ، قائلاً :

ـ استرخ يا سيّد (رمزى) .. لا تشغل نفسك بعملية التشغيل .. نحن سنتولّى هذا .. كل ما عليك أنت هو أن تسترخى تمامًا ..

غمغم (رمزى) :

ـ سأحاول .

استرخى بالفعل على مقعد الجهاز ، بأفضل وسيلة أمكنه إياها ، وإن لم يهدأ عقله قط ، وهو يطرح على ذهنه عشرات الأسئلة ..

تُرى هل ستنجح التجربة هذه المرّة ؟!

هل سيتم الاتصال ، بنفس قوة المرة السابقة ؟!

وهل سيلتقى بـ (محمود) ؟!

والسؤال الأكثر أهمية هو : هل سيمكنه إعادته ؟!

أو معاونته على العودة على الأقل ؟!

ثم ما مصيره هو ؟!

ماذا سيصيبه هذه المرة ؟!

كيف سيواجه عملية الاختراق العقلى هذه ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

فى المرة السابقة شعر بكيانه كله يتمزّق ..

وبنيران تشتعل فى كل خلية من خلاياه ..

تُرى ماذا سيحدث هذه المرة ؟!

وأى عذاب سيواجه ؟!

ولكن كل هذا لا يهم ..

سيحتمل عذاب الدنيا كله ، من أجل عودة (محمود) ..

من أجل أن يخرجه من جحيمه ..

ويعيده إلى عالمه ..
حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها ..
« أأنت مستعد ؟! »

نطق الدكتور (رائف) العبارة ، فسرت موجة من التوتر ، فى جسدى (نور) و (أكرم) ، فى حين انتفض (رمزى) ، قبل أن يقول :
ـ مستعد .

أراد أن يضفى عليها إحساسا بالثقة والقوة ، إلا أنها خرجت من بين شفتيه مرتجفة مذعورة ، اختلطت أحرفها ، وامتزجت نبراتها ..
وفى خفوت ، غمغم الدكتور (رائف) :
ـ على بركة الله ..
ثم ضغط الزر الأخير ..
وانتفض جسد (رمزى) مرة أخرى ..

انتفض ، فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها ذلك الوهج الوردى الباهت ، من خوذة الرأس ، ليغوص فى مخه مباشرة ..

وعلى الرغم من توتر وقلقه ، شعر (رمزى) بجسده يسترخى ..
ويسترخى ..
ويسترخى ..
كانت التساؤلات نفسها تدور فى رأسه ..
ولكن دون توتر ..
أو قلق ..
أو خوف ..
وكأنما لم يعد الأمر كله يعنيه ..
أو أنه لم يعد ينتمى إلى عالمه ..
لقد صار هناك ..

بين الرمال الفيروزية ، والسماء الوردية ، والشموس الأربع ، التى تباعدت بعضها عن بعض أكثر وأكثر ..
وبكل لهفة الدنيا ، هتف :
ـ (محمود) .. أين أنت يا (محمود) ؟!

كرّر نداءه عدة مرات ، وهو يتلفّت حوله فى قلق شديد ..

وما من جواب ..

وفى هلع ، استدار يلقى نظرة على الشموس الأربع ..

إنها لم تعد متجاورة ، كما كانت من قبل ..

لقد اتسعت الهوة بينها كثيرًا عن ذى قبل ..

كل واحدة منها استقلّت بمسار منفرد ..

ولكن هل يعنى هذا أن ..

توقّفت أفكاره ، وتلاحقت أنفاسه ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ لا .. مستحيل !

فطبقًا لما قاله (محمود) ، سيضعف الاتصال ، كلما تباعدت الشموس ..

وهذا يعنى أن فرصة استعادته قد ضاعت إلى الأبد ..

وبلا رجعة ..

* * *

٧ ـ الحـــدود ..

نهض القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية من خلف مكتبه ، ليصافح (نشوى) فى حذر واضح ، وهو يسألها :

ـ تُرى أية أسباب تلك ، التى جعلتك تطلبين مقابلتى فورًا ، فى الثالثة صباحًا ، فى طقس كهذا ؟!

أجابته فى توتر شديد :

ـ أبى .

سألها فى قلق :

ـ ماذا عنه ؟!

تنهّدت ، قبل أن تجيب فى توتر :

ـ إننى عاجزة عن الاتصال به .

سألها فى حذر أكثر :

ـ لماذا ؟! أين هو بالضبط ؟!

أجابت :

ـ فى (الإسكندرية) .

انعقد حاجباه ، وهو يتبادل نظرة متوترة مع الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث الجديد ، قبل أن يسألها :

ـ وماذا يفعل هناك ؟! أليس من المفترض أن يبلغنا بكل تحركاته ؟!

قالت فى توتر :

ـ لقد ذهب لاستشارة أحد العلماء هناك ، بشأن مشكلة يواجهها زوجى (رمزى) .

سألها الدكتور (جلال) :

ـ أى عالم ، وأية مشكلة ؟!

أخبرتهم بما لديها فى اختصار ، واستمعا إليها فى اهتمام قلق ، ثم عادا يتبادلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول الدكتور (جلال) :

ـ الدكتور (رائف عبيد) واحد من أكثر العلماء شهرة وبراعة ، فى علم الدراسات فوق النفسية ،

ولقد عمل لحسابنا بعض الوقت ، ثم آثر الاعتزال فى فيلته ، واستغلال ثروة أسرته فى إجراء تجاربه الخاصة .

سألت فى عصبية :

ـ وهل نحن على دراية بتلك التجارب ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس هذا من شأننا .. القانون لا يمنع أى شخص من إجراء تجاربه الخاصة ، ما دام هذا لا يتعارض مع أمن وسلامة المجتمع .

أضاف القائد الأعلى :

ـ ثم إنه ـ حسبما أعلم ـ يقيم فى منطقة منعزلة ، على الساحل الشمالى .

قالت فى شىء من الحدة :

ـ ولكن تجاربه ليست آمنة كما تتصورون .

سألها الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ ما الذى يدعوك لقول هذا ؟!

أجابته فى حزم عصبى ، وهى تناوله بعض الصور الرقمية :

قاطعته فى عصبية :

ـ لقد حصلت عليها بطرق غير قانونية ..

ـ انظر .. هذه صور الأقمار الصناعية ، التى تم التقاطها منذ أقل من نصف الساعة لموقع فيلته .. هل ترى ما يبدو فى الصور ؟! مجرّد دائرة بيضاء .. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟!

ألقى القائد الأعلى نظرة على الصور بدوره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كيف أمكنك الحصول على هذه الصور ؟!

قالت فى عصبية :

ـ ليست هذه هى المشكلة الآن .

أجابها فى صرامة غاضبة :

ـ بل هى مشكلة المشاكل يا سيّدة (نشوى) .. المفترض أن هذه الصور تخصّ شبكة الأقمار الصناعية وحدها ، والحصول عليها يحتاج إلى تصريح منى شخصيًا ، وما دمت لم أصدر مثله ، خلال الساعات العشر الأخيرة ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ـ لقد حصلت عليها بطرق غير قانونية .

كان ردُها فجًا ، يخلو من كل قواعد الذوق واللياقة ..

وحتى من قواعد الأمن ..

لذا فقد انعقد حاجبا القائد الأعلى ، فى غضب شديد ، وهو يقول :

ـ سيِّدتى .. إنك تتجاوزين كل الحدود .

هتفت فى انفعال :

ـ إننى مستعدة لتجاوز حدود حياتى نفسها ، لو أن والدى يواجه أى خطر هناك ، وكل ما يهمكما ، بعد أن بذل عمره كله من أجل وطنه ، هو مشروعية حصولى على بعض الصور من عدمها .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، ثم قال الدكتور (جلال) :

ـ هذه الصور توحى بوجود شىء ما ، يمنع وصول الإشارة اللازمة لالتقاط الصورة الرقمية .

هتفت :

ـ ذلك الشىء هو ما أتحدّث عنه ، وما أخشاه ، دون أن أدرك ماهيته بالضبط ، خاصة وأن والدى هناك ، داخل تلك الدائرة البيضاء .

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، وهو يطالع الصور مرة أخرى ، قبل أن يقول فى اهتمام :

ـ تلك الدائرة البيضاء تفسّر أيضًا سبب القطاع اتصالك بالمقدّم (نور) ، ما دام داخلها كما تقولين ، فالنظرية نفسها ، التى تمنع التقاط الصور الرقمية ، هى المسئولة عن انقطاع الاتصالات الرقمية أيضًا .

هتفت مذعورة :

ـ وهذا يعنى أن أبى وزوجى و(أكرم) فى خطر .

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً فى حدة :

ـ أى خطر ؟! الدكتور (رائف عبيد) رجل مسالم للغاية ، وهو مقعد منذ زمن طويل ، ولم يجر فى حياته كلها أية تجارب ، تحمل أدنى درجة من الخطر .

تابع الدكتور (جلال) :

ـ هذا صحيح يا سيّدتى .. ربما استخدم وسيلة ما ، أدّت إلى انقطاع الاتصالات ، وفشل الأجهزة الرقمية فى التقاط صور فيلته ، ولكن هذا لا يعنى وجود أى نوع من الخطر .

زاغت عيناها فى حيرة ، وهى تدير بصرها بينهما ، ثم لم تلبث أن تركت جسدها يسقط ، على أقرب مقعد إليها ، ودفنت وجهها بين كفيها ، وقالت منتحبة :

ـ ولكننى أشعر بهذا .

هتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ تشعرين ؟!

ثم استطرد فى غضب صارم :

ـ كيف يمكن أن تكونى عضوًا فى أفضل فريق علمى لدينا ، وأنت تفكرين بهذا الأسلوب ؟! أتوقظيننا فى الثالثة بعد منتصف الليل ، وتحضرينا إلى هنا ، فى أسوأ طقس شهدته البلاد ، خلال السنوات العشر الأخيرة ، لأنك تشعرين أن رفاقك فى خطر ؟!

تشعرين فحسب ؟!

أجابت فى حدة :

ـ إنهم ليسوا زملاء عمل فحسب .. من تتحدّث عنهم هم أبى ، وزوجى ، وأفضل رفيق لنا ، ولو أنك عملت فى فريق ، لفترة طويلة من الزمن ، وشاركت أفراده الأحداث والمخاطر ، وواجهت معهم الموت مرات ومرات ، من أجل إنقاذ عالم بأكمله ، لأدركت أن المشاعر تحمل عندئذ معنى مختلف ، يفوق ما يمكن أن تحمله أية مشاعر عادية .. إنها تتحوّل إلى نوع من الغريزة المتطوّرة ، التى تربط أفراد العمل الواحد بعضهم ببعض ، حتى ليستيقظ أحدهم من نومه قلقًا ذات يوم ، ليكتشف أن زميله كان يواجه قلقًا فى اللحظة نفسها ، فى بلاد تبعد عنه آلاف الكيلومترات .

تمتم الدكتور (جلال) :

ـ لا يوجد دليل علمى على هذا .

شد القائد الأعلى قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ ولكننى أؤمن به .

خفق قلب (نشوى) فى قوة ، وهو يلتفت إليها ، متابعًا بنفس الحزم :

ـ ولذلك فسنتخذ كل الإجراءات الطبيعية ، فى حالة الشك فى وجود خطر ما ، يواجه أحد رجالنا .. ولكن ليس على نحو مباشر ؛ فالدكتور (رانف) واحد من العلماء المعدودين فى (مصر) ، وأحد الحاصلين على جائزة (نوبل) ، عن أبحاثه الخاصة بالمخ البشرى وحدود قدراته الفائقة ، ولن يمكننا أن نقتحم فيلته ، دون تصريح رسمى وقانونى .

سألته فى ذعر :

ـ ولكن ماذا لو أنهم يواجهون الخطر بالفعل ؟!

أجابها الدكتور (جلال) :

ـ سنستخدم وسائلنا الخاصة أولاً ، وسنحاول التقاط بعض الصور للفيلا ، باستخدام الوسائل التقليدية المباشرة ، لنعرف ما الذى يدور هناك بالضبط ، ويمنع أجهزة الأقمار الصناعية الرقمية من التقاط صور الفيلا .

قال القائد الأعلى :

ـ وفى الوقت نفسه ، سنرسل اثنين من عملائنا إلى هناك ، لمراقبة الفيلا ، ورصد ما يدور حولها وداخلها بقدر الإمكان ..

ثم التقى حاجباه فى حزم صارم ، وهو يضيف :

ـ وسنثبت للجميع أننا قادرون على حماية رجالنا .. بكل وسيلة ممكنة ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ أو غير ممكنة .

وخفق قلبها مرة أخرى ..

فى عنف ..

* * *

« مستحيل ! لا يمكن أن نستسلم لهذا أبدًا .. »

هتف (رمزى) بالعبارة ، فى عصبية بالغة ، وهو يتحرك داخل معمل الدكتور (رانف) ، الذى قلب كفيه فى حيرة ، قائلاً :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل .. الوقت مضى كما تقول ؟!

وقال (نور) فى توتر :

ـ اسمع يا (رمزى) .. لقد فعلنا كل ما بوسعنا ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حدة :

ـ كلاّ .. لن نستسلم .

ثم لوّح بذراعيه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لا يمكن أن نتركه هناك .. وحيدًا ، معذّبًا ..

واندفع يمسك كتفى (نور) فى قوة ، متابعًا فى انفعال :

ـ لقد اتصل بى يا (نور) .. لقد ناشدنى أن ننقذه من عذابه ، ونخرجه من أسره .. لا يمكن أن نتخلّى عنه يا (نور) .. لا يمكن .

اغرورقت عيناه بالدموع ، من فرط الانفعال ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، فغمغم (أكرم) :

ـ إنه على حق يا (نور) .

وقال (فيليب) فى حنق :

ـ أنتم لا تدركون ما أنتم مقدمون عليه .

وتنهّد الدكتور (رانف) ، قائلاً :

ـ ثم إنه ليس لدينا ما نفعله .

التفت إليه (رمزى) فى حدة ، قائلاً :

ـ بل لدينا .

ثم أشار إلى جهاز (مايند ريليز) ، مستطردًا :

ـ يمكننا أن نزيد من قوة الجهاز .

اتسعت عينا (فيليب) ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ لا .

وارتجف جسده كله ، فى انفعال جارف ، وهو يضيف :

ـ هذا سيقودكم إلى الكارثة .

صاح به (رمزى) :

ـ أية كارثة ؟! إننا نحاول إنقاذ زميلنا ، والوقت يمضى بسرعة مخيفة ، والحذر لم يفدنا قط ، فكل ما فعله هو أن أضاع منا فرصة ثمينة ، ووقتًا أكثر أهمية .. دعنا نلقِ كل الحذر والمخاوف جانبًا ، ونمضى فى طريقنا .. إنه زميل عمرنا .. ألا يمكنك أن تفهم هذا ؟!

صاح به (فيليب) :

ـ ألا يمكنك أنت أن تدرك وجود احتمال ، ولو ضئيل ، بأنه ليس زميلكم .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ لا يمكننى الاقتناع بهذه النظرية السخيفة .

غمغم الدكتور (رائف) :

ـ ليست سخيفة كما تتصوّر .

أجابه فى حدة :

ـ بل أسخف مما تتصوّر .. إنه زميلنا نحن ، ولا أحد فى الدنيا يمكنه معرفته سوانا ، وما دام (رمزى) قد رآه ، وتعرّفه ، فلا يوجد احتمال واحد بألا يكون هو .

أدار الدكتور (رائف) مقعده إليه ، وقال :

ـ ما نراه ليس هو الحقيقة دائمًا يا سيّد (أكرم) ، وإلا ما وجد الحواة والسحرة رزقهم ، فأنت ترى على المسرح رجلاً يطير ، وامرأة تنقسم إلى نصفين ، كلاهما يتحرّك ويحيا ، وثالث تشتعل فيه النيران ، وهو يبتسم فى هدوء ، وعلى الرغم من أن عينك ترصد كل هذا جيّدًا ، إلا أنه مجرّد وهم وخداع .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ (محمود) لم يكن أبدًا حاويًا أو دجّالاً .

أجابه الدكتور (رائف) :

ـ بالتأكيد .. ولكن ماذا لو أن ذلك الشىء ، فى العالم الآخر ، ليس هو (محمود) الحقيقى ، ولكنه يجيد التخفّى والإيهام والخداع ، بحيث يبدو أشبه بزميلكم .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ولماذا ؟!

لوّح بيده ، مجيبًا :

ـ ليجد وسيلة للعبور إلى عالمنا .

سأل (نور) فى حزم :

ـ مازال السؤال نفسه ساريًا .. لماذا ؟! لماذا يسعى لإيجاد وسيلة ، للعبور إلى عالمنا ؟!

صمت الدكتور (رائف) طويلاً ، وتبادل نظرة متوترة مع مساعده ، الذى أشاح بوجهه فى حنق ، فهزّ العالم رأسه ، وتمتم :

ـ من يدرى ؟!

رمقه (نور) بنظرة طويلة ، ثم شدّ قامته ، قائلاً :

ـ ما دام لا أحد يدرى ، فهذا يعنى ، من الناحية العلمية ، أنه لا يوجد سبب واحد ، يمنعنا من تكرار المحاولة .

هتف (رمزى) :

ـ باستخدام موجة أكثر قوة .

انعقد حاجبا الدكتور (رانف) ، وهو يقول :

ـ ستكون مجازفة رهيبة .

تبادل (نور) و(أكرم) و(رمزى) نظرة سريعة ، ثم قال الأول فى حزم :

ـ إننا نقبلها .

هتف (فيليب) :

ـ أنتم حمقى .

استدار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ قل لى يا سيد (فيليب) : هل تعلم شيئاً لا نعلمه ، أم أنك تهوى اتهام الناس بالغفلة والحماقة فحسب ؟!

هتف (فيليب) محنقاً :

ـ أنتم لا تدركون ما أنتم مقدمون عليه .

قال (أكرم) فى تحد :

ـ أخبرنا إذن ، وألزم الصمت تماماً .

انفرجت شفتا (فيليب) وبدا لحظة وكأنه سيقول شيئاً ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، واندفع نحو باب الحجرة ، ولم يكد يتجاوزه حتى هتف :

ـ حمقى .

وصفق الباب خلفه فى عنف ..

ولثوان ، ران على الحجرة صمت مطبق ، حتى قطعه الدكتور (رانف) ، وهو يدير عينيه إلى حارسه الخاص ، قائلاً :

ـ فليكن .. سيكون عليك أن تراقب مؤشرات الطاقة يا (كاظم) ، ما دام (فيليب) قد قرر الانسحاب .. لا يمكننى زيادة شدة الموجات ، دون مراقبة المؤشرات .

هتف (أكرم) مستنكراً :

ـ هل ستعتمد على هذا الغوريلا ، فى عمل دقيق كهذا ؟!

ابتسم الدكتور (رائف) ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك إن الظواهر خادعة أحيانًا يا سيِّد (أكرم) ؟!

ثم سأل (كاظم) فى هدوء :

ـ ما حاصل ضرب ألف وأربعمائة وعشرة ، فى ستة آلاف وسبعة وخمسين .

اتجه الضخم فى هدوء ، نحو لوح أبيض كبير على الجدار ، وكتب :

ـ ثمانية ملايين ، وخمسمائة وأربعون ألفًا ، وثلاثمائة وسبعون .

ابتسم الدكتور (رائف) ، وقال :

ـ هل رأيت ؟! يمكنك أن تراجع الناتج بنفسك .. ويمكنك أيضًا أن تطرح عليه أية معادلة رياضية معقَّدة ، وسيمنحك الجواب فى لحظة واحدة .

قال (نور) ، وهو يرمق (كاظم) بنظرة متوترة :

ـ وهو يحتمل أقوى الضربات أيضًا ، دون أن يبدو عليه أدنى تأثُّر .

والتفت إلى الدكتور (رائف) ، مضيفًا فى حزم :

ـ إنه شخص آلى .. أليس كذلك ؟!

ابتسم الدكتور (رائف) ، وقال لحارسه :

ـ تعال يا (كاظم) .

اتجه الضخم نحوه فى طاعة تامة ، فأمسك يده ، والتقط أداة حادة رفيعة ، وغرسها فى إصبعه ، ثم سحبها ، وقال :

ـ انظر أيها المقدَّم .. إنها دماء الحياة ، تتدفَّق من جسده .. هل رأيت فى حياتك كلها شخصًا آليًا بهذه الحياة ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى دهشة ، فى حين قال (أكرم) فى توتر :

ـ عجبًا ! كيف يحتمل كل هذا إذن ؟!

أجابه الدكتور (رائف) :

ـ لهذا قصة طويلة ، لا وقت لدينا لنقصَّها الآن .

ثم التفت إلى جهاز الكمبيوتر ، وراح يضرب أزراره ، مضيفًا :

ـ ربما فيما بعد .

قالها ، وهو يستعد لتنفيذ ما طلبه (نور) و (أكرم) و (رمزى) ..

وما رفضه (فيليب) فى شدّة ..

يستعد لإتمام الاتصال الخارق ..

والأخير ..

* * *

« السيول غمرت المنطقة تمامًا .. »

غمغم رجل المخابرات العلمية بالعبارة ، وهو يوقف سيارته ، على جانب الطريق ، المؤدّى إلى فيلا الدكتور (رائف) ، ويهزّ رأسه فى أسف ، متابعًا :

ـ لن يمكننا بلوغ المكان بسيارة أبدًا .

التقط حاجبا زميله ، وهو يقول :

ـ ولكن الأوامر صريحة .. لا بد أن نرسل تقريرًا عاجلاً ، حول ما يحدث داخل الفيلا .

أشار رجل المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ هل تقترح شيئًا ما ؟!

تطلّع زميله إلى الطريق ، الذى غمرته السيول ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى .. ربما ..

قال الأوّل فى ضجر :

ـ ربما ماذا ؟!

تردّد لحظة ، ثم أجاب :

ـ ربما لو استعنا بهليوكوبتر .

هتف الأوّل :

ـ فى هذا الطقس ؟!

هزّ الثانى رأسه ، قائلاً فى حيرة :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

عاد الأوّل يدير محرّك السيارة ، وهو يقول :

ـ أوّل ما نفعله هو أن نبتعد عن هنا ، قبل أن تغلق علينا السيول طريق العودة ، ثم نبلغ القيادة بالموقف ، و ...

وانطلق بالسيارة ، متابعًا فى حزم :

ـ وننتظر قرارهم .

« الموقف أسوأ مما كنا نتصوّر .. »

غمغم القائد الأعلى بالعبارة ، وهو يراجع تقرير رجاله ، قبل أن يرفع عينيه إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ المنطقة معزولة تمامًا ، بسيول عنيفة ، تفوق كل المتوقّع ، فى مثل هذا الوقت من العام .

هتفت فى توتر :

ـ لا يمكن أن نستسلم لهذا .

ربّت الدكتور (جلال) على كتفها مهدئًا ، وهو يقول :

ـ إنها الطبيعة يا بنيتى .. الشىء الوحيد الذى لا يمكن لكل تكنولوجيا الأرض أن تواجهه .

هتفت :

ـ هناك وسيلة حتمًا ، لبلوغ تلك الفيلا .. أو الاتصال بها على الأقل .

قال الدكتور (جلال) :

ـ لقد حاولنا إتمام الاتصال ، بعدة وسائل متطوّرة ، ولكن يبدو أن الطقس أيضًا يشترك ، مع تلك الظاهرة

المجهولة ، فى منع وقطع كل أنواع الاتصالات تمامًا .. أما بالنسبة للوصول إليها ، فهذا أكثر صعوبة ، إذ لا توجد سوى وسيلتين .. إما السيارة أو الهليوكوبتر ، والسيول تمنع وصول الأولى ، فى حين من المستحيل أن تحلّق الثانية ، فى طقس رهيب كهذا .

قالت فى مرارة :

ـ هل سنجلس وننتظر إذن ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاّ بالطبع .. لقد استخدمنا الأقمار الصناعية نفسها ، لالتقاط بعض الصور الضوئية العادية للمكان ، وقمنا بتكبيرها مائة مرة .

سألته فى لهفة :

ـ وهل وجدتم شيئًا ؟!

عاد يهزّ رأسه نفيًا ، ويقول :

ـ كل شىء يبدو عاديًا جدًا .

هتفت :

ـ مستحيل ! عجز آلات التصوير الرقمية عن التقاط الصور للمكان ، يعنى وجود شىء ما حتمًا .

ضغط زر جهاز العرض ، وهو يقول :

ـ يمكنك فحصها بنفسك .. ها هى ذى .

بدت الصور أمامها بحجم ضخم ، للفيلا والفناء المحيط بها ، والقائد الأعلى يقول فى اهتمام :

ـ الدكتور (جلال) على حق .. كل شىء يبدو عاديًا ..

راحت تفحص الصور فى اهتمام متوتر :

ـ وخفق قلبها فى عنف ..

إنهما على حق ..

كل شىء يبدو عاديًا ..

صحيح أن مساحة الفيلا صغيرة جدًا ، بالنسبة للفناء المحيط بها ، والذى غمرت المياه معظمه ، وحوّلته إلى ما يشبه بحيرة صناعية كبيرة ..

ولكن فيما عدا هذا ، يبدو كل شىء طبيعيًا جدًا ..

وفى هدوء ، قال الدكتور (جلال) :

ـ يبدو أننا قد بالغنا كثيرًا فى مشاعرنا ، و ...

« مهلاً .. »

هتفت بالكلمة تقاطعه ، وهى تتجه نحو بقعة بعينها من الصورة المعروضة ، وتميل نحوها أكثر ، فتطلّع إليها الرجلان فى اهتمام وتساؤل ، قبل أن تهتف ، وهى ترسم بسبّابتها مربعًا وهميًا على الصورة :

ـ هل يمكنك تكبير هذا الجزء أكثر ؟!

أجابها الدكتور (جلال) ، وهو يضغط أحد الأزرار :

ـ بالتأكيد .

تضاعف حجم الصورة مرتين ، وامتلأت شاشة العرض ، بالجزء الذى طلبت (نشوى) تكبيره ، فالحنت تفحصه باهتمام أكبر ، قبل أن تسأل :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

تطلّع الرجلان إلى حيث أشارت ، وقال الدكتور (جلال) :

ـ تبدو لى أشبه برءوس أعمدة .

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ ولكنها تضيء على الأرجح .

قال القائد الأعلى :

ـ يبدو لى هذا .

نقلت سبّابتها ، من جزء إلى آخر ، قائلة :

ـ إنها تصنع ما يشبه الدائرة .. بل هى دائرة بالفعل ، تحيط بالفيلا ، وكل منها تبعد عن الأخرى بمسافة منتظمة .

غمغم الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ هذا صحيح .

سألته فى انفعال :

ـ هل يمكن أن تطابق الصور الرقمية للأقمار الصناعية بهذه الصورة ؟!

أجاب فى حماس ، وقد فهم ما ترمى إليه :

ـ بالتأكيد .

عرض إحدى صور الأقمار الصناعية الرقمية ، عبر جهاز آخر ، واستخدم التكبير نفسه ، ثم سعى لمطابقته الصورتين ، بعضهما على البعض ، فهتفت (نشوى) :

ـ ربّاه ! انظرا .. الدائرة البيضاء تنطبق على محيط رءوس الأعمدة بالضبط .

قال الدكتور (جلال) فى انفعال مماثل :

ـ هذا صحيح .. إذن فتلك الأعمدة هى المسئولة عن انقطاع الاتصال .

هتفت :

ـ بالضبط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتابع حديثهما ، قبل أن تلتفت إليه (نشوى) ، قائلة :

ـ أرأيت يا سيّدى .. هاك هو الدليل ؟!

سألها فى صرامة :

ـ الدليل على ماذا ؟!

أجابت فى انفعال :

ـ الدليل على وجود الخطر .

قال فى غضب :

ـ أى خطر ؟!

بُهِتَتْ لغضبه المباغت ، وغمغمت :

ـ الخطر الذى ..

قاطعها فى صرامة :

ـ الدليل الوحيد ، الذى يمنحنا إياه تطابق الصور ، هو وجود جهاز ما ، أو شىء ما ، يخصّ الدكتور (رائف) ، ويمنع التقاط الصور الرقمية ، أو انتقال إشارات الاتصالات ، وهذا أمر قد يكون غريبًا ومريبًا ، بالنسبة لأى شخص ، ولكن ليس مع عالم جليل ، يحمل أكثر الملفات نظافة ، فى إدارة البحث العلمى ، ويجرى تجارب خاصة ، حول تطوير القدرات العقلية .

ثم لوّح بيده فى حدة ، مستطردًا :

ـ والشىء الذى ينبغى أن تعلميه ، هو أننا نتابع تجارب الدكتور (رائف) منذ البداية .

هتف الدكتور (جلال) فى ارتياع :

ـ سيّدى .

استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة محتدّة :

ـ دعها تعلم يا دكتور (جلال) .. هذا من حقها ، كواحدة من أفضل خبيرات الكمبيوتر لدينا ، وكعضو فعّال ، فى أنشط فريق علمى فى الإدارة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى توتر ، فى حين اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ تتابعونها منذ البداية ؟! هل تعنى أنكم ..

قاطعها فى صرامة :

ـ نعلم بأمر انقطاع الاتصالات .. نعم يا سيّدتى .. نحن نعلم .. أو بمعنى أدق .. أنا أعلم أن الاتصالات كلها تنقطع عن الفيلا ، عندما يجرى الدكتور (رائف) بعض تجاربه .

هتف الدكتور (جلال) بدهشة حقيقية ، توحى بأنه لم يكن يعلم هذا من قبل :

ـ ربّاه ! ولماذا لم يخبرنى أحد ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ المفترض ألا يعلم بمثل هذه الأمور سوى القائد الأعلى ، ومدير مركز الأبحاث العلمية ، والمسئولين

المباشرين عن متابعتها فحسب ، وسلفك كان على دراية كاملة بهذا الأمر ، أما أنت فقد تسلّمت عملك منذ فترة قصيرة ، ولم تتح لك الفرصة بعد ، للاطلاع على كل التفاصيل الخاصة .

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ يبدو هذا بالفعل .

أما (نشوى) ، فتساءلت فى حيرة :

ـ ولكن لماذا قطع الاتصالات ؟!

واجهها القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هل تدركين حقًا مدى أهمية وخطورة تلك التجارب ، التى يجريها الدكتور (رانف) ، حول تنمية القدرات الخارقة للعقل البشرى ؟! هل يمكنك تصوّر ما يمكن أن يحدث ، لو نجحت أفكاره الجامحة هذه ، وتحوّلت إلى حقيقة واقعة ؟! حاولى إذن أن تتخيّلى جيشًا من الرجال ، القادرين على تحريك أسلحة عدوهم عن بعد ، أو فريقًا من رجال المخابرات ، لديهم القدرة على

قراءة أفكار الخصم ، وتجاوز أسوار وأسرار عقله ، أو جاسوسًا متطوّرًا ، بتلك القدرة على السيطرة على عقول الآخرين ، وتوجيههم لفعل كل ما يحلو له ؟!

اتسعت عيناها عن آخرهما ، فتابع فى صرامة :

ـ هل أدركت أى سلاح يمكن الحصول عليه ، لو نجحت تلك التجارب ؟! وهل يمكنك أن تدركى كم يمكن أن تدفع أية دولة فى العالم ، للحصول على سلاح كهذا ؟!

غمغمت :

ـ إذن فأنتم تحمون تجاربه .

أجاب فى حزم :

ـ ونؤمّن لها السرية ، أيضًا يا سيّدتى .

هتفت :

ـ الدكتور (رانف) إذن ما زال يعمل لحسابكم .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. إنه حتى لا يدرك أننا نتابع تجاربه .

هتفت بدهشة بالغة :

ـ كيف ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ هذا شأننا .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى ضيق لبعض الوقت ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ أتعشّم أن يهدئ هذا من مخاوفك .

التفتت إليه ، قائلة فى حدة :

ـ على العكس .. ما قاله سيادة القائد الأعلى ، يضاعف من احتمالات مواجهة والدى للخطر .

واكتسب صوتها صرامة شديدة ، وهى تضيف :

ـ فكما قلت يا سيّدى .. أية دولة فى العالم يمكن أن تفعل المستحيل ، للاستيلاء على سلاح كهذا .

أجابها القائد الأعلى ، فى صرامة أكثر :

ـ مازلنا عاجزين عن بلوغ الفيلا ، أو الاتصال بها ..

وصمت لحظة ، ثم تابع :

ـ ربما بعد شروق الشمس .

هزّت رأسها فى قوة ، وهى تقول فى مرارة :

ـ من يدرى ماذا يمكن أن يحدث ، قبل أن تشرق الشمس ؟!

نعم يا (نشوى) ..

من يدرى ؟!

* * *

٨ـ كل الخطـر ..

تحرك (فيليب) فى حجرتـه فى عصبية شديدة ، واحتقن وجهه فى شـدة ، وهـو يندفـع نحـو أحـد الجدران ، ويضربه بقبضته فى حنق ، هاتفًا :

ـ أغبياء .

ثم استطرد فى ثورة :

ـ لا يدركون ما هم مقدمون عليه .

تحرك مرة أخرى فى عصبية زائدة ، ثـم ألقـى جسده على فراشه ، قائلاً فى لهجة أقرب إلى الألم :

ـ سيفتحون أبواب الجحيم على مصراعيها .

وعضّ شفتيه فى مرارة ، وهو يسترجع ذكريات تجربته ..

تلك التجربة الرهيبة ..

الذكريات التى لم يروها لأحد قط ..

حتى لأستاذه الدكتور (رائف عبيد) ..

تحرّك (فيليب) فى حجرته فى عصبية شديدة ، واحتقن وجهه فى شدة ، وهو يندفع نحو أحد الجدران ، ويضربه بقبضته فى حنق ..

وهو لم يدر حتى لماذا لم يفعل ؟!

لماذا احتفظ بها سرًا يؤرقه ويعذّبه ، حتى هذه اللحظة ؟!

أهو خوفه من أن يتوقّف الدكتور (رالف) عن تجاربه ، لو علم حقيقة ما حدث فيها ؟!

أم أهى رغبته فى الحفاظ على وسيلة مستقبلية ، للإبقاء على قدراته العقلية المتطوّرة ؟!

لا يمكن أن يحتمل فقدها مرة أخرى ..

لا يمكن أن يحتمل ضياع القوة ، بعد أن استمتع بها ، وشعر بسريانها فى عروقه ..

وفى عقله ..

لا يمكن ..

لا يمكن ..

ولكن هل يجازف مرة ثانية ؟!

هل يلقى نفسه فى ذلك الجحيم ، لاستعادة قوة ما ؟!

أية قوة ؟!

وفى توتر بالغ ، أغلق عينيه ، وترك لذكرياته العنان ..

كل شىء كان هادئًا ، فى المرة الأولى ..

لهذا بدأ تجربته الثانية بكل لهفة وثقة ..

وزاد الدكتور (رالف) فى شدّة الموجات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واسترخى جسده ..

واسترخى ..

واسترخى ..

ثم راحت تلك الطاقة تتدفّق إلى عقله ..

وعروقه ..

وأعصابه ..

وكيانه كله ..

طاقة هادئة ..

ناعمة ..

صافية ..

قوية ..

وسرت النشوة فى كل خلية من خلاياه ، و ...
وفجأة ، قفز كيانه كله إلى عالم آخر .
عالم رهيب ..
مخيف ..
لم يفتح عينيه ..
إنه واثق مائة فى المائة من أنه لم يفعل ..
ولكنه رآه أمامه ..
وبمنتهى الوضوح .
شمس حمراء هائلة ، ككتلة من الدم ، تسبح فى سماء سوداء مخيفة ..
ونيران تشتعل فى كل مكان ..
وبراكين ثائرة ..
وحمم متدفقة ..
ودخان أسود ..
ومستنقعات تغلى بفقاقيع زرقاء ..
ثم برز ذلك الشىء ..
كان رهيب ..
رهيب ..
رهيب ..

كتلة من السواد ، لها أطراف قصيرة ، وعينان ضخمتان ، تشملان تلتها العلوى كله ..
وفى بطء مخيف ، راحت تتجه نحوه ..
كانت تراه ..
لا ريب فى أنها كانت كذلك ..
عيناها الضخمتان كانتا تحدقان فيه مباشرة ..

وعلى الرغم من الرعب الهائل ، الذى سرى فى كيانه ، فقد تجمّد فى مكانه ، وراح يحدّق فى ذلك الكائن وهو يقترب ..
ويقترب ..
ويقترب ..
ثم حدث الاتصال ..
فجأة ، التقط عقله رسالة ..
رسالة مختصرة ..
قوية ..
واضحة ..
رسالة تحمل كلمة واحدة ..
الموت ..

وانتفض جسده فى عنف ..
وراح ينتفض ..
وينتفض ..
وينتفض ..
ثم صرخ ..
أخيرًا ، أمكنه أن يصرخ ..
انتزع نفسه من جموده ورعبه ..
وصرخ ..
ومع صرخته ، اندفع ذلك الكائن الرهيب نحوه .
وانتفض جسده أكثر ..
وأكثر ..
ثم اختفى ذلك العالم بغتة ..
وأظلمت الدنيا كلها ..
لم يدر كم أظلمت ..
ولا كم بقى فاقد الوعى ..

ولكنه استيقظ فجأة ، ليجد نفسه راقدًا على فراشه ، والدكتور (رانف) يتطلّع إليه فى قلق شديد ..

و(كاظم) يقف صامتًا كعادته ، عند ركن الحجرة ..
وعندئذ .. عندئذ فقط ، أدرك أنه قد عاد إلى عالمه ..
وواقعه ..
ومنذ تلك اللحظة ، أدرك أن عقله لم يعد كما كان ..
لقد قرأ أفكار الدكتور (رانف) فى وضوح ..
رأى كل ما يفكّر فيه ويشعر به العالم ..
وأدرك كم هو قلق بشأنه ..
وكم يعنيه أمره ..
وشعر بالقوة ..
وأحبّها ..
وأدمنها ..
ولكنه لم ينس قط ذلك العالم الرهيب ..
ولا ذلك المخلوق المخيف ..
المخلوق ، الذى لم يرو قصته لأى شخص ..
مطلقًا ..

سرت فى جسده قشعريرة ، عندما سطع البرق فى السماء ، وقفز من فراشه ، هاتفًا :

ـ يا لله ...

لم يتمّ هتافه ، ولكنه اندفع نحو النافذة فى حنق ، ليغلق حاجزها الخشبى ، و ...

وفجأة ، توقّف أمامها ، وانعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يتطلّع إلى تلك الأعمدة المحيطة بالفيلا ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ظلّ يتطلّع إليها بضع لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ـ أى عبث سخيف هذا .

قالها ، وجذب معطفًا من معاطف المطر من دولابه ، وارتداه فى توتر ، وهو يهبط فى درجات السلم ، من الطابق الثانى ، ويعبر ممرًا قصيرًا ، ثم يفتح باب المنزل ..

كانت الأمطار تهطل فى غزارة ، والفناء مغمور بالمياه ، على نحو لم يعهده قط من قبل ، وعلى الرغم من هذا ، فقد التقط مظلة جلدية ، وفتحها فوق رأسه ، ثم غادر المنزل ، متجهًا نحو تلك الأعمدة ..

ومن المؤكّد أنه لم يشهد فى حياته كلها طقسًا كهذا ..

لقد كان يبذل جهدًا رهيبًا ، لمقاومة الرياح ، والتشبث بمظلته ، والأمطار تنهمر فى غزارة مخيفة ، وقدماه تغوصان فى المياه ..

وتغوصان ..

وتغوصان ..

حتى بلغ تلك الأعمدة ..

ولثوان ، وقف يتطلّع إليها ، فى شك وحذر ..

وتساءل عما يعنيه تألّق رءوسها المستديرة ..

وفى حذر ، مدّ أصابعه نحوها ..

وتردّد لحظة ، وهو يتساءل :

ـ تُرى ماذا يمكن أن يحدث ، لو لمسها ؟!

هل تحمل طاقة ما ؟!

أم أنها أحد أجهزة الرصد ..

كلاّ .. مستحيل ! إنها ليست كذلك حتمًا .

لو أن الدكتور (رالف) يرغب فى زرع أجهزة رصد ، لعلم بالأمر حتمًا ..

ولو أنه حتى يعلم به ، لما خفى أمره عنه ..
ما هذه الأعمدة إذن ؟!
من زرعها ..
ولماذا ؟!

استمرّ تردّده لحظة أخرى ، ثم حسم أمره ، ودفع أصابعه إلى الأمام ..
ولمس أحد الرءوس المستديرة ..
ولم يكد يفعل ، حتى انتفض جسده كله فى عنف ..
واتسعت عيناه عن آخرهما ..
ثم أطلق صرخة رهيبة ..

ومع الصرخة ، اندفع جسده إلى الخلف فى عنف ، وكأنما أصابته صاعقة عنيفة ..
ليست صاعقة واحدة ..
بل ألف صاعقة ..

وبمنتهى العنف ، ارتطم جسده بأرضية الفناء ، الغارقة فى المياه ..
وطارت المظلّة من يده ..

وراح يتدحرج ..
ويتدحرج ..
ويتدحرج ..
ثم ارتطم بسلم الفيلا ..
ومع ارتطامه ، أطلق صرخة أخرى ..
ثم أظلمت الدنيا أمامه تمامًا ..
وفقد الوعى ..
ولثوان ، ظلّ جسده ملقى فى سكون ، على سلم الفيلا ..
ثم فجأة ، بدأ شىء ما يتحرك داخله ..
أو بمعنى أدق ، ينفذ من خلاله ..
ويعبر خلاياه ..
ويتجاوز كيانه ..

وما هى إلا ثوان معدودة ، حتى بدأ ذلك الشىء يتضح ..
كيان أسود ..
له عينان كبيرتان ..
تحتلان ثلثه العلوى بأكمله ..

كان رهيب ..

رهيب ..

رهيب ..

* * *

ارتدت (مشيرة) معطفها المنزلى ، وهى تهرع نحو الباب ، فى الرابعة صباحًا ، وقلبها يخفق فى عنف ، وضغطت زر جهاز الرؤية الداخلى ، وهى تتساءل فى توتر شديد :

ـ تُرى من يأتى ، فى هذه الساعة ؟!

لم تكد تنهى عبارتها ، حتى ارتسمت صورة مألوفة على شاشة جهاز الرؤية ، فاتسعت عيناها ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ (نشوى) .

قالتها ، وأسرعت تفتح الباب ، مكرِّرة :

ـ (نشوى) .. ماذا أصابك ؟!

كانت تبدو شاحبة ، ممتقعة ، والمياه تغمرها على نحو عجيب ، وكأنما خرجت على الفور من أعماق بحر عميق ، وهى تقول فى إحباط شديد :

ـ معذرة لقدومى فى هذه الساعة ، ولكن ..

جذبتها (مشيرة) ، قبل أن تتمّ عبارتها ، قائلة :

ـ أنت على الرحب والسعة دائمًا .. ادخلى يا (نشوى) .

وأغلقت الباب خلفها ، مستطردة :

ـ ربّاه ! أنت بحاجة إلى ثياب جافة ، وفنجان من القهوة .

غمغمت (نشوى) فى إرهاق شديد :

ـ بالتأكيد .

أسرعت (مشيرة) تحضر لها الثياب الجافة ، وتركتها تستبدلها بثيابها المبتلّة ، فى حين أعدّت هى فنجان القهوة ، وعادت به إليها ، وهى تسألها ، فى قلق شديد :

ـ ماذا أصابك ؟! هل (سلوى) بخير ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ إنها غارقة فى نوم عميق ، بعد كل ما واجهته الليلة .

سألتها (مشيرة) :

ـ ماذا بك إذن ؟!

زفرت (نشوى) فى مرارة ، وحاولت أن تتماسك ، إلا أنها وجدت نفسها تنفجر فجأة باكية فى حرارة ، فهتفت (مشيرة) فى جزع :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

ثم احتوتها بين ذراعيها ، مستطردة :

ـ أخبرينى ماذا حدث .. أفرغى آلامك كلها فى أننى .. هيا .. أنت بحاجة إلى هذا .

بكت (نشوى) على كتفها ، فى حرارة شديدة ، وأفرغت لترًا من الدموع ، قبل أن تقول :

ـ أبى يا (مشيرة) .. أبى وزوجى وزوجك .

اتسعت عينا (مشيرة) فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ هل .. هل أصابهم مكروه ؟!

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ لست أدرى ، ولكننى أخشى هذا .

اتسعت عينا (مشيرة) فى رعب ، وهى تحدّق فيها ، ثم لم تلبث أن أمسكت كتفيها فى قوة ، وهى تقول فى عصبية :

ـ (نشوى) .. ليس بإمكانى الانتظار لحظة واحدة أخرى .. هيا .. أخبرينى كل ما لديك .

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، ومسحت دموعها ، مغمغمة :

ـ سأخبرك .

وراحت تروى لها كل شىء .

منذ بدأت مخاوفها ..

وحتى تلك اللحظة ..

باستثناء تفاصيل حديثها مع الدكتور (جلال) والقائد الأعلى ..

حتى فى ذروة حزنها وذعرها ومخاوفها ، كانت تدرك ما ينبغى ، وما لا ينبغى قوله ..

مهما كانت الظروف ..

وفى توتر بلا حدود ، استمعت إليها (مشيرة) .. ولم تقاطعها بحرف واحد ..

وما إن انتهت من روايتها ، حتى هتفت (مشيرة) :

ـ رباه ! أنت على حق فى مخاوفك بالتأكيد .. ربما لا يكون هناك دليل ما ، ولكننا نساء ، وندرك جيّدًا ما تعنيه غريزة الأنثى وحاستها السادسة .

قالت (نشوى) فى مرارة :

ـ وحتى لو كنا نعلم .. ماذا يمكننا أن نفعل .. الأمطار الغزيرة أغلقت الطرق المؤدية إلى الفيلا ، ووسائل الطيران لن تغامر بالخروج ، فى طقس كهذا .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ هناك وسيلة ما حتمًا .. لا يمكن أن تكون الطرق كلها مغلقة على هذا النحو .

لوّحت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ هذا ما حدث .

مطّت (مشيرة) شفتيها ، وراحت تسير فى المكان فى عصبية بالغة ، وهى تقول :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما .. فى الصحافة لا نعترف أبدًا بأنه لا توجد وسيلة ، لبلوغ شىء ما ، أو مكان ما ..

إننا أكثر من يؤمن بنظرية (نابليون بونابرت) ، بأنه لا يوجد مستحيل .. هناك حتمًا وسيلة ما ، لفعل أى شىء فى الوجود ، مهما بدا منيعًا مستحيلاً .

زفرت (نشوى) فى مرارة ، مغمغمة :

ـ الفيلا محاصرة تمامًا ، بالبحر من ثلاثة جوانب ، والسيول من الجانب الرابع ..

توقّفت (مشيرة) ، تسألها :

ـ البحر من ثلاثة جوانب ؟! كيف ؟!

أجابتها ملوّحة بيدها :

ـ إنها مقامة على لسان داخل البحر(*) ..

التقى حاجبا (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ آه .. لسان .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى انفجر (محمود) الصغير باكيًا فى الداخل ، فهبّت إليه (نشوى) ، هاتفة :

(*) اللسان : اسم يطلق على قطعة من الأرض ، تحيط بها المياه من ثلاثة جوانب ، وتتصل باليابسة من الجانب الرابع ، على عكس الخليج الذى هو امتداد للبحر ، تحيط به اليابسة من ثلاثة جوانب .

ـ يا إلهى ! كيف أنساني كل هذا إياك يا صغيرى ؟!

احتوته فى حنان ، وراحت تربّت عليه ، حتى هدأ ، وبدأ يسبل جفنيه فى تراخ ، فدلفت (مشيرة) ، إلى الحجرة ، وتطلّعت إليهما بعض الوقت ، قبل أن تتساءل فى خفوت :

ـ هل نام ؟!

همست (نشوى) :

ـ إنه فى سبيله إلى هذا .

تنهّدت (مشيرة) ، وهزّت رأسها بلا معنى ، ثم غادرت الحجرة ، وراحت تسير فى الصالة ، وهى تفكّر فى عمق :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما ..

إنها تؤمن بهذا المبدأ طيلة عمرها ..

لا يوجد هدف يستحيل الوصول إليه ..

مهما بدت الأمور عسيرة ..

ومعقّدة ..

ومستحيلة ..

كل ما فى الأمر أنه ينبغى دراسة كل التفاصيل ..

مهما بلغت بساطتها ..

أو دقّتها ..

وستظهر حتمًا وسيلة ..

أو ثغرة ..

أى شىء يمكن النفاذ منه إلى الهدف ..

أى شىء ..

عادت (نشوى) إليها ، فى تلك اللحظة ، فسألتها :

ـ هل نام ؟

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، فتنهّدت (مشيرة) ، مغمغمة :

ـ ترى ما الذى أيقظه ؟!

ابتسمت (نشوى) ابتسامة ياهتة ، وهى تجيب :

ـ كان مبتلاً .

مطّت (مشيرة) شفتيها ، قائلة :

ـ ربما شعر بما أصاب أمه .. لقد بدوت عند وصولك ، وكأنك خارجة من البحر على الفور .

هزّت (نشوى) رأسها ، وهى تقول :

ـ لا يمكنك أن تتصوّرى رداءة الطقس فى الخارج .. الأمطار تنهمر منذ أكثر من سبع ساعات بلا انقطاع ، وبغزارة شديدة ، على نحو لم أشهده من قبل قط .

غمغمت (مشيرة) :

ـ حتى الطبيعة تغيّرت .

وافقتها (نشوى) بإيماءة من رأسها ، متمتمة :

ـ صارت أكثر قسوة .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :

ـ هل تعلمين أن الماء يغمر كل شىء فى الخارج .

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ لقد شاهدت هذا فى نشرة الأخبار المسائية .

ولوّحت بيدها ، مستطردة :

ـ كانت المياه تغمر الشوارع ، والسيارات غارقة ، وكأنها ..

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها ، وهى تقفز من مكانها ، هاتفة :

ـ ربّاه !

سألتها (نشوى) فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

أمسكت كتفيها فى قوة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ لقد وجدت الوسيلة .. وسيلة بلوغ فيلا الدكتور (رائف) هذا .

هتفت بها (نشوى) :

ـ ما هى ؟! أخبرينى باللّه عليك .

وأخبرتها (مشيرة) ..

واتسعت عينا (نشوى) فى دهشة وانبهار ..

فالفكرة كانت ، على الرغم من بساطتها مدهشة .. مدهشة بالفعل ..

* ★ ★ ★

٩ ـ القـــادم ..

« استعد يا سيّد (رمزى) .. »

سرت ارتجافة فى جسد (رمزى) ، عندما نطق الدكتور (رائف) العبارة ، وشعر بحلقه يجف ، وبقلبه يخفق فى سرعة ، وهو يجلس على مقعد (مايند ريليزر) ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، أومأ برأسه إيجابًا ، وتمتم :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، شفّت عن كل ما تموج به أعماقهما ، من قلق وشك وحيرة ، وألقى الأخير نظرة على الحارس الضخم (كاظم) ، الذى راح يتابع المؤشرات فى جمود مستفز ، ووجد نفسه يتساءل فى هلع :

ـ تُرى هل سيصلح للمهمة ؟!

هل سيؤدّى ما ينبغى له أن يؤديه بالكفاءة المطلوبة ؟!

وفى الوقت المناسب ؟!

أم أنه سيفسد العملية كلها ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، عندما جال بذهنه ذلك الخاطر الأخير ، ووجد نفسه يتحسّس مسدسه بحركة غريزية ، وهو يتمتم :

ـ لو تسببت فى مس شعرة واحدة من رأس (رمزى) أيها الغوريلا ، فسوف ...

أشار إليه (نور) أن يصمت ، فمطّ شفتيه فى حنق ، وأضاف فى عناد :

ـ أمزّقك إربًا .

ثم عاد يدير عينيه إلى (رمزى) ، والدكتور (رائف) يقول :

ـ لن نقفز إلى الموجة القصوى دفعة واحدة .. سنبدأ رويدًا رويدًا ، بتدريج هادئ ، حتى يتمّ الاتصال .

سأله (أكرم) :

ـ وكيف ستعلم هذا ؟!

أشار إلى أجهزته ، مجيبًا فى بساطة :

ـ المؤشرات ستخبرنى .

هزّ (أكرم) كتفيه ، ومطّ شفتيه ، وكأنما لم يقتنع هذا ، فى حين تابع الدكتور (رائف) ، دون أن ينتبه إليه :

ـ مع حدوث الاتصال ، سأبدأ فى زيادة الموجة ، وسيعتمد مقدار الزيادة على انفعالاتك ، وما ستسجله إشارات مخك .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ المهم أن تتذكّر أنها الرابعة وعشر دقائق الآن ، والفجر سيأتى بعد خمس وعشرين دقيقة فحسب .

أجابه الرجل :

ـ اطمئن .. إنها تكفى .

ثم بدأ يضرب أزرار الكمبيوتر ، مستطردًا :

ـ المهم أن تسترخى تمامًا .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وأرجع رأسه إلى الخلف ، وحاول أن يسترخى بقدر الإمكان ..

وفى توتر بالغ ، تابعه (أكرم) ببصره ، وهو يتمتم :

ـ أتعشّم أن يمضى الأمر بسلام هذه المرة .

سمع (نور) عبارته جيّدًا ..

ولكنه لم يعلّق ..

لم ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع كل شىء فى اهتمام وتوتر بالغين ..

فمن بين الجميع ، كان أكثرهم قلقًا ..

هذا لأن عقله لم يهدأ لحظة واحدة ، منذ بدأ هذا الأمر ..

وخاصة خلال الساعات القليلة الماضية ..

وله أسبابه ..

فعندما وصل إلى فيلا الدكتور (رائف) ، مع (أكرم) و (رمزى) ، لم تكن لديه ذرة واحدة من الشك ،

في أن ما يواجهه (رمزى) هو اتصال عقلى حقيقى ، بينه وبين (محمود) ..

وكانت كل ذرة فى كيانه تأمل أن يجد الحل هنا ..

عند الدكتور (رائف عبيد) ..

كل لمحة من عمره ، كانت تتمنى أن تحدث المعجزة ..

وأن يعود (محمود) ..

وعندما خضع (رمزى) للمحاولة الأولى ، كانت أحلامه فى ذروتها ..

ثم حدث ما حدث ..

وتعرّض (رمزى) لكل ما أصابه ..

وفقد الوعى ..

ومنذ ذلك الحين ، اخترقت ثقته لمحة حادة من الشك ..

والحيرة ..

والقلق ..

شىء ما فيما حدث ، فجّر فى أعماقه كل هذا ..

شىء جعله يشعر بأن الأمور ليست على ما يُرام ..

ربما هو غموض المكان ..

أو أفراده ..

أو عصبية (فيليب) الزائدة ، وإصراره على عدم إجراء المحاولة ..

أو هو ما رواه (رمزى) عن لقائه بـ (محمود) ..

أو حديثهما ..

ربما أحد هذه الأشياء ..

أو مزيج منها جميعًا ..

المهم أنه فى النهاية ، لم يعد يشعر بالارتياح قط ..

بل وربما لا يرغب فى الاعتراف بأنه لم يعد يريد للتجربة أن تتم ..

ذلك الشىء جعله يشعر ، فى أعماق عقله الباطن ، أنها لن تحمل لهم الخير أبدًا ..

لن تعيد (محمود) ..

هذا لو أنه بإمكانها هذا ..

ولكن كيف يمكن أن يرفض إتمامها ؟!

كيف يمكن أن يتجاهل فرصة نادرة ، قد تتحقّق معها المعجزة ؟!

لم يكن هذا بمقدوره قط ..

لم يكن ليغفر لنفسه أبدًا ، لو أن قراره هذا قد أضاع الفرصة ..

الفرصة الأخيرة ..

لذا ، فقد قاوم كل ما يشعر به ..

ودفن مشاعره فى أعماقه ..

واتخذ قراره بشكل عملى تمامًا ..

ولكن لماذا لا يشعر بالارتياح ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« سنيداً يا سيّد (رمزى) .. »

انتزعته عبارة الدكتور (رالف) من أفكاره ، فشدّ قامته ، وانعقد حاجباه ، ودفن قلقه ومخاوفه فى أعماقه ..

أو هكذا حاول ..

ثم وقف يتابع ..

بمنتهى الاهتمام ..

والترقّب ..

وبدأت الخوذة تتألّق ..

وتتألّق ..

وشعر (رمزى) بالطاقة تتدفّق فى رأسه ..

وعقله ..

وكيانه كله ..

وعلى الرغم من كل انفعالاته ، راح جسده يسترخى ..

ويسترخى ..

ويسترخى ..

ثم بدأ العالم المحيط به يتلاشى فى بطء ..

وراحت معالم العالم الآخر تتضح ..

الرمال الفيروزية الباردة ..

السماء الوردية ..

والشموس الأربع ..

وخفق قلبه فى عنف ..

لقد تباعدت عن بعضها كثيرًا ..

الزرقاء والرمادية صارتا عند أقصى مدى الرؤية من الجانبين ..

والأرجوانية ارتفعت كثيرًا ..

والصفراء انخفضت حتى الأفق ..

وتكاد تختفى هناك ..

وبكل قلقه وتوتره ، هتف (رمزى) :

ـ (محمود) .. لقد عدت من أجلك .. أين أنت ؟!

لم يتلقَ جوابًا ، فهتف بقلق شديد :

ـ أين أنت يا صديقى ؟!

كم تمنى لحظتها أن يزيد الدكتور (رائف) من قوة موجاته ..

إلى أقصى حد ..

كم تمنى لو ضاعفها مرات ومرات ..

حتى يتمّ الاتصال ..

لماذا وافقه على عدم زيادتها ، إلا بعد حدوثه بالفعل ؟!

لماذ لم يخطر بباله عندئذ أن الاتصال لن يتم بدونها ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ومرة ثالثة ، هتف :

ـ أرجوك يا صديقى .. لقد عدت من أجلك .. لا تخذلنى هذه المرة .. لن تكون هناك فرصة أخرى ..

« الاتصال لم يحدث بعد .. »

نطق (نور) العبارة وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والثلث ، فالتفت إليه الدكتور (رائف) ، قائلاً فى دهشة :

ـ لهجتك توحى بأنك سعيد لعدم حدوثه .

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى حزم :

ـ دعك من مشاعرى يا دكتور (رائف) .. المهم أن تمضى الأمور كالمقدّر لها ..

أجاله العالم فى توتر :

ـ لا أحد يدرى ما المقدّر له .. إننا نمضى دومًا فى دروب اخترناها بأنفسنا ، ونتصوّر أحيانًا أن الخير ،

كل الخير ، ينتظرنا فى نهايتها ، ولا أحد يدرى إلى أى شىء ستقوده بالفعل .. إلى النعيم ، أم إلى الجحيم ؟!

فجّرت عبارته مخاوف (نور) أكثر وأكثر ، فتمتم فى توتر :

ـ لا أحد يمكنه الفرار من قدره .

رمقه الدكتور (رائف) بنظرة سريعة ، قبل أن يسأله :

ـ تعتقد أن الإنسان مسيّر إذن ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ إنها قضية طويلة وكبيرة يا دكتور (رائف) .. اختلف حولها الأئمة والفقهاء والعلماء والمفكرون .

قال الرجل ، وهو يتفحّصه فى اهتمام :

ـ ولكن أمثالك تكون لهم آراؤهم الخاصة بالتأكيد .

غمغم (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى .

سأله فى شغف عجيب :

ـ أخبرنى ما رأيك إذن .. هل تعتقد أن الإنسان مسيّر ، أم مخيّر ؟!

أجابه (نور) ، فى سرعة وحزم :

ـ من المؤكّد أنه مخيّر ، فى كل ما يُجازى عليه ، بالثواب أو العقاب ، فلو لم يكن حرًا فى اختيار طريقه وموقفه ، لما استحق ثوابًا أو عقابًا ، وهو فى الوقت ذاته مسيّر ، فى كل ما لا يملك من أمره شيئًا ، كقدره ، ومستقبله ، وعمره ، ومصيره ، و ...

قاطعهما (أكرم) فى عصبية :

ـ معذرة لقطع حديثكما الشيّق هذا ، ولكن هل تبدو لكم الدقائق القليلة المتبقية ، قبل مطلع الفجر ، مناسبة لإضاعتها فى مناقشة فلسفية كهذه ، و(رمزى) يجازف بحياته كلها ، لإتمام اتصال ناجح واحد مع (محمود) ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وأدرك أن (أكرم) على حق تمامًا ..

لماذا تورّط فى هذه المناقشة الفلسفية ؟!

تُرى هل تعمّد هذا ، دون أن يدرى ، لإضاعة وقت الاتصال ؟!

هل ؟!

طرد الفكرة من ذهنه فى سرعة ، وراح يتابع الدكتور (رانف) ، وهو يزيد قوة الموجة رويدًا رويدًا ، و ...

« هأنذا يا (رمزى) .. »

انتفض جسد (رمزى) فى انفعال ، عندما سمع الصوت من خلفه ، فالتفت إلى مصدره فى سرعة ، هاتفًا :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

كان (محمود) يبدو واضحًا أكثر من ذى قبل ، وهو يتجه نحوه ، فوق الرمال الفيروزية الباردة ، ويبتسم ، قائلاً :

ـ كنت واثقًا من أنك ستعود .

« الاتصال تم ... »

نطقها الدكتور (رانف) ، وهو يزيد شدة الموجات أكثر وأكثر ، فى حين خفق قلب (نور) فى قوة ، وتضاعفت فى أعماقه موجة الشك والقلق ..

تضاعفت ألف مرة ..

« من الواضح أن الاتصال قوى هذه المرة .. »

قالها (رمزى) فى سعادة ، وهو يتابع (محمود) ، الذى بدا واضحًا للغاية ، وهو يقترب منه أكثر وأكثر ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى .. فشلكم فى الاتصال بى ، فى المرة السابقة ، كان دافعًا منطقيًا لزيادة قوة الاتصال هذه المرة ..

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن الفرصة لم تضع بعد ؟!

أجابه (محمود) فى هدوء ، وهو يقترب أكثر :

ـ الفرصة لم تضع أبدًا .

سأله فى لهفة أكثر :

ـ هل يمكنك العودة إلى عالمنا إذن ؟!

قال فى سخرية عجيبة :

ـ العودة ؟! آه .. بالتأكيد .

ثم أضاف ، وهو يميل نحوه :

قالها (رمزى) فى سعادة وهو يتابع (محمود) ، الذى بدا واضحًا للغاية ، وهو يقترب منه أكثر وأكثر ..

- من خلال عقلك أنت .

ومع ميله ، اقترب وجهه من وجه (رمزى) أكثر ..

وبدت ملامحه أكثر وضوحًا ..

وتراجع (رمزى) ، هاتفًا :

- ربّاه ! إنك ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع (محمود) نحوه ..

وكما حدث فى المرة السابقة ، اخترق كيانه كله ..

وانتفض جسد (رمزى) فى عنف ..

وأطلق صرخة ألم هائلة ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، قفزت المؤشرات إلى الذروة ، وصاح الدكتور (رالف) ، وهو يتراجع مذعورًا :

- ربّاه ! ليس مرة أخرى .

تحرك (كاظم) فى بطء ، متجهًا نحو الجهاز ، ولكن (نور) سبقه إليه ، وهو يثب نحو مصدر الطاقة ، هاتفًا :

ـ البرنامج يا (أكرم) .. أوقف البرنامج .

كانت يده تندفع نحو المصدر ، عندما حدثت تلك الفرقعة بغتة ..

فرقعة عنيفة قوية ، تردد دويها فى المعمل كله ..

ثم انبعث دخان كثيف من الخوذة ..

وشهق (أكرم) هاتفًا :

ـ ربّاه ! ماذ يحدث ؟!

وعلى الرغم من ذعره وذهوله ، واصل (نور) اندفاعه ، وأغلق مصدر الطاقة ..

ولكن الدخان الكثيف لم يتوقّف ..

(رمزى) انهار على مقعده تمامًا ، كما لو أنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، فى حين تكثّف الدخان أكثر وأكثر ، وهو يتجمّع فى منتصف المعمل تمامًا ..

واتسعت عيون الجميع ، وهم يحدقون فيه ..

ثم راح الدخان يتخذ هيئة آدمية مألوفة ..

وبكل لهفة الدنيا ، هتف (أكرم) :

ـ (محمود) ؟!

ولكن الصورة راحت تتضح أكثر وأكثر ..

وبسرعة مدهشة ..

واتسعت عينا الدكتور (رائف) عن آخرهما ، وهو يدفع مقعده المتحرّك إلى الخلف فى عنف ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدّة ، فى حين انطلقت من حلق (أكرم) شهقة قوية ، وارتدّ كمن تلقّى صاعقة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

فذلك الذى بدا لهم وكأنه زميلهم السابق (محمود) ، كان فى الواقع كائنًا آخر تمامًا ..

كائنًا مخيفًا رهيبًا ..

رهيبًا ..

رهيبًا ..

* * *

انتهى الجزء الأوّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(القوة)

وراء العقل

- ماسر ذلك الكابوس ، الذى يهاجم (رمزي) يوميا بلا رحمة ؟!
- أية تجربة تلك ، التى سيتعرض لها (نور) ورفاقه ، على شاطئ البحر ؟!
- ترى هل يعود (محمود) الى الفريق ، أم تنهار كل الحواجز (وراء العقل) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل ..

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

129

الثمن فى مصر ٣٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع دار الهلال

العدد القادم : القوة

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
مرى جدا!!!

القوة

130

د. أنيس فاروق

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمي في (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقياس الحقيقي لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - العـدو ..

بدأ الشفق يتلوّن ، بأضواء الشروق الأولى ، على الرغم من الأمطار المنهمرة في غزارة ، طوال أكثر من عشر ساعات متصلة ، في أسوأ طقس عرفته البلاد ، منذ مطلع القرن الحادي والعشرين ، وخلت الشوارع من المارة تمامًا ، في طول البلاد وعرضها ، وامتلأت بالمياه ، على الرغم من وجود أنظمة الصرف الحديثة ، وبدت (مصر) كلها أشبه بدولة مقفرة مهجورة ، بعد أن قبع الجميع في منازلهم ، يتساءلون في قلق عما ستفعله بهم الطبيعة الثائرة ، التي هزمت كل تكنولوجيا ونظم العصر ، وأثبتت مرة أخرى أنها قوة لا تقاوم ، مهما بلغ الإنسان من تقدُّم ..

ووسط كل هذا ، انطلقت (نشوى) بسيارتها ..

كانت السيارة تبدو أشبه بزورق بخاري ، وهي تقطع الشوارع التي غمرتها المياه ، في طريقها إلى المبنى الرئيسي ، للمخابرات العلمية المصرية ..

وفى أعماقها ، كانت تشتعل عشرات المخاوف والانفعالات ، و ...

والتساؤلات ..

وأكثر ما كان يثير انفعالها وتوترها ومخاوفها ، هو أن كل هذا قد بدأ ، قبل أربع وعشرين ساعة فحسب ..

ربما تعود جذوره إلى عدة أيام مضت ، مع ذلك الكابوس المتصل ، الذى راح يهاجم زوجها (رمزى) بلا هوادة ، كلما أوى إلى فراشه ..

ولكن البداية الحقيقية كانت فى ذلك الصباح بالتحديد ..

فمرة أخرى ، اقتحم ذلك الكابوس نومه ، ورأى نفسه فى عالم عجيب ..

عجيب ..

عجيب ..

عالم أرضه كلها رمال فيروزية باردة كالثلج ..

وسماؤه وردية ، تسبح فيها شموس أربع ..

شموس لها أربعة ألوان مختلفة ..

زرقاء .. وأرجوانية .. وصفراء .. ورمادية ..

ووسط ذلك العالم العجيب ، التقى بزميلهم (محمود)..

(محمود) الذى فقدوه فى نهر الزمن ، عندما بذل نفسه من أجلهم(*)..

من أجل حياتهم ..

وبقائهم ..

ومستقبلهم ..

وأخبره (محمود) كم هو بائس حزين ، فى ذلك العالم ..

وكم يتمنى العودة إلى عالمه ..

بأى ثمن ..

وفى اجتماع عام ، قرر الفريق ألا يتخلى عن رفيقه القديم ..

(★) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم ١٠٠

وأن يقاتل من أجل استعادته ..

بكل وسيلة ممكنة ..

واقترح (رمزى) الاتصال بالدكتور (رائف عبيد) ، خبير الاتصالات العقلية الأشهر ، والذى انفصل عن إدارة البحث العلمى ، وانعزل فى فيلا خاصة ، على الساحل الشمالى للبحر الأبيض المتوسط[*] ، لمواصلة تجاربه الخاصة ، حول تقوية قدرات العقل ، وكفاءته فى الاتصالات الذهنية الفائقة ..

وهكذا ، وقبل ساعات قليلة من هبوب العاصفة ، سافر (نور) و (رمزى) و (أكرم) إلى الدكتور (رائف) فى (الإسكندرية) ..

(★) البحر الأبيض المتوسط : أكبر بحر يتوسط ثلاث قارات ، (أوربا) ، و (آسيا) ، و (إفريقيا) ، مساحته حوالى (٢٩٦٥٥٥٠ كم٢) ، ويصل عمقه فى بعض أجزائه إلى ٤٤١٢ مترًا ، يصله مضيق جبل (طارق) بالمحيط الأطلنطى ، ويصله بالبحر الأسود (الدردنيل) و (البوسفور) ، وبحر مرمرة ، كما يتصل بالبحر الأحمر عن طريق قناة (السويس) .

ومنذ ذلك الحين ، انقطعت الاتصالات بهم تمامًا ..

ومع بدء آلام وانقباضات الولادة ، انتقلت (سلوى) إلى المستشفى ، لتضع وليدها (طارق) ، فى حين واصلت (نشوى) فى يأس ، محاولة الاتصال بوالدها وزوجها وزميلها ..

ولكن كل محاولات الاتصال واصلت فشلها ..

بمنتهى الإصرار ..

وتضاعف توتر (نشوى) وقلقها ..

ولم يعد أمامها سوى أن تحاول ..

حتى ولو حطّمت كل القواعد ..

وكل القوانين ..

لذا فقد استغلّت خبراتها ومهارتها كخبيرة كمبيوتر أمنية ، واخترقت شبكة الاتصالات ، وشبكة الأقمار الصناعية أيضًا ..

وكانت أمامها مفاجأة ..

فكل الصور ، التى تم التقاطها لفيلا الدكتور (رائف) ، كانت تحمل دائرة بيضاء ..

فقط دائرة بيضاء ، دون أية تفاصيل ..

وكان هذا يعنى أنه هناك طاقة ما ..

قوة ما ، تمنع الاتصالات ، والتقاط الصور الرقمية للفيلا ..

قوة ضاعفت من قلقها وتوترها ..

وتساؤلاتها ..

ولم يكن أمامها - والحال هكذا - سوى أن تلجأ إلى القوة الوحيدة ، فى (مصر) كلها ، القادرة على مواجهة وتفسير أمر كهذا ..

إلى المخابرات العلمية نفسها ..

وهناك واجهتها أكثر من مفاجأة ..

أولها أن المخابرات العلمية تعلم بوجود تلك الشوشرة المتعمدة ، على المراقبة والاتصالات ..

بل إنها المسئولة الأولى عن حدوثها ..

ولكن حتى القائد الأعلى للمخابرات العلمية كان يجهل أن (نور) و (رمزى) و (أكرم) هناك ..

والمفاجأة الثانية والأكثر عنفًا ، هو أن الأمطار المنهمرة فى غزارة ، منذ غروب الشمس ، قد عزلت منطقة الفيلا تمامًا ..

ولم يعد هناك سبيل لبلوغها ..

مطلقًا ..

أو هكذا تصور الكل ..

حتى ألقت (مشيرة) باقتراح ..

اقتراح صنعته عقلية صحفية متمرسة ، اعتادت بلوغ أهدافها ، مهما بلغت دقة وصعوبة هذا الأمر ..

ولما كان الاقتراح عمليًا وبسيطًا ، ومدهشًا فى الوقت ذاته ، فقد قررت (نشوى) نقله إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية مباشرة ، بعد أن فشل رجاله فى بلوغ الفيلا ، بكل الوسائل الأخرى ..

وها هى ذى فى طريقها إلى هناك ..

ولكن هناك أمورًا مازالت (نشوى) تجهلها ..

أمور على رأسها سؤال مهم للغاية ..

ما الذى حدث داخل فيلاّ الدكتور (رائف) ؟!

فهناك ، وبعد أن استمع الرجل ، ومساعده (فيليب) ، وحارسه الضخم الشبيه بالغوريلا ، والذى لا يتحدّث أبدًا (كاظم) ، إلى القصة كاملة ، أخبرهم أن لديه جهازًا متطورًا جديدًا ، لتقوية طاقات العقل ، وقدراته على الاتصالات الفائقة ..

وبسرعة ، اتخذ (رمزى) قرارًا بخضوعه لتجربة خاصة ، لتقوية قدرته على الاتصال ، والتأكّد مما إذا كان ما يحدث هو اتصال عقلىّ بالفعل ، أم أنها مجرّد كوابيس ، يطلقها العقل الباطن ..

وقبل بدء التجربة ، انهمرت الأمطار فى غزارة ..

وتحت طقس عنيف ، راح (كاظم) يغرس أعمدة رفيعة ، ذات رءوس متألّقة مستديرة ، فى دائرة واسعة حول الفيلاّ ..

وبعدها انقطعت الاتصالات ..

تمامًا ..

وبدأت التجربة ..

ومع انطلاق عقل (رمزى) ، من خلال جهاز (مايند ريليزر) ، حدث الاتصال بينه وبين (محمود) مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان الاتصال قويًا ..

جليًا ..

واضحًا ..

وفيه أخبر (محمود) (رمزى) أن أمامه فرصة واحدة ، للعودة إلى عالمه ..

ولا بد أن يتم هذا ، قبل مطلع الشمس ..

ثم حاول (محمود) اختراق عقل (رمزى) ..

وكانت تجربة عنيفة ..

إلى أقصى حد ..

ومع الآلام الرهيبة التى أعلنت عن نفسها ، من خلال صرخة عنيفة ، أطلقتها حنجرة (رمزى) ، قفز (نور) يقطع الاتصال الكهربى ..

والعقلى ..

وفقد (رمزى) وعيه ..

وكان على الجميع أن يتخذوا قرارًا حاسمًا حازمًا ..

هل يجازفون بمحاولة أخرى لاستعادة (محمود) ، قبل مطلع الفجر ؟!

أم يفقدون تلك الفرصة إلى الأبد ؟!

وعلى الرغم من قلق (نور) ومخاوفه ، ومن شعور مبهم فى أعماقه ، لم يجد له تفسيرًا ، يدعوه إلى الإحجام عن الأمر ، اتخذ الجميع قرارهم بتكرار التجربة ..

الوحيد الذى رفض بشدة هو (فيليب) ..

مساعد الدكتور (رانف) ..

هو وحده قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ولكن دون أن يستمع إليه أحد ..

فانسحب ..

وكانت له أسبابه القوية ، لرفض ما سيفعلونه ..

فقد خاض من قبل ، وعلى الجهاز نفسه ، تجربة مماثلة ..

ورهيبة ..

تجربة زرعت داخله كائنًا رهيبًا ..

رهيبًا ..

رهيبًا ..

ولكن الكائن ، الذى بدأ ينتزع نفسه من أسر جسده ، فى نفس اللحظات التى بدأت فيها تجربة (رمزى) الجديدة ..

التجربة التى تم فيها الاتصال ، فى الدقائق الأخيرة ، قبل مطلع الفجر ..

وفى هذه المرة أيضًا ، قرّر (محمود) اختراق عقل (رمزى) ..

ولأن الوقت لم يكن يسمح بالتراجع ، فقد فعلها ..

وبكل قوته ..

وأمام عيون الجميع ، بدا وكأن (رمزى) يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وسحابة عجيبة تخرج من عقله ، وتتكوّن فى منتصف الحجرة تمامًا ..

سحابة بدت للجميع لحظات ، وكأنها (محمود) ، يعود إلى عالمه ، بعد غياب طويل ..

ثم اتضحت الصورة أكثر ..

وكشف الجميع أن ما خدعهم طوال الوقت ، لم يكن رفيقهم السابق (محمود) ..

لقد كان كائنًا آخر ..

كائنًا رهيبًا ..

رهيبًا ..

رهيبًا(*)..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (وراء العقل) .. المغامرة رقم ١٢٩

التقى حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وارتسم على ملامحه مزيج من الدهشة والتوتر والإرهاق الزائد ، وهو يواجه (نشوى) ، قائلاً :

- زورق ؟! من أين جاءتك هذه الفكرة ؟!

اجابته فى انفعال :

- إنها الوسيلة الوحيدة لبلوغ الفيلاّ ، فى الظروف الحالية .

وفردت أمامه خريطة للمكان ، متابعة :

- انظرا .. الفيلاّ مقامة وسط فناء ضخم ، ومحاطة بأسوار عالية مكهربة ، إلا من ناحية البحر ، اعتمادًا على وجود تكوينات صخرية طبيعية ، تصنع حائلاً أمام كل من يحاول التسلّل .. ولكن مع السيول ، التى أغلقت كل الطرق ، المؤدية إليها ، يصبح البحر هو أفضل وسيلة لبلوغها .

قال الدكتور (جلال) فى هدوء :

- هل تعتقدين أنه من السهل أن يخرج زورق ما ، فى طقس كهذا ؟! هل تعلمين كم يبلغ ارتفاع الأمواج مع العاصفة ؟!

أجابته فى حماس :

ـ الزوارق العادية لا يمكنها هذا ، ولكن ماذا عن (الهوفركرافت)(*) ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ فكرة مجنونة .

ثم رفع أحد حاجبيه ، وتسللت إلى شفتيه ابتسامة حماسية ، وهو يضيف :

ـ ولكنها تستحق التفكير .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ الأمر يحتاج إلى رأى خبير بحرى .

(*) الهوفركرافت : زوارق خاصة ، ذات قاعدة مطاطية ، ينطلق منها الهواء فى قوة ، بحيث يرفعها عن السطح الذى تنطلق فوقه ، ولأنها تسير ـ عمليًا ـ على وسادة هوائية ، فهى تصبح أقل عرضة لتغيرات المناخ من حولها ، وأكثر سرعة فى قطع المسافات البعيدة .

أضاف الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ ومتطوعين .

هتفت (نشوى) :

ـ أنا أتطوَّع .

التقط القائد الأعلى سماع هاتف الفيديو الخاص ، قائلاً فى حزم صارم ، وهو يضغط أزراره :

ـ الأمر ليس بهذه الصرامة .

ثم قال لمدير مكتبه :

ـ صلنى بالفريق (محمد يسرى) .. قائد القوات البحرية .. أخبره أن الأمر عاجل للغاية .

خفق قلبها فى قوة ، وهو يدير عينيه إليها قائلاً فى صرامة :

ـ أتعشَّم أن يكون ما نفعله هو الصواب .

غمغمت هى :

ـ وأن نفعله فى الوقت المناسب ..

نعم ..

المهم أن يفعلوه فى الوقت المناسب ..

وإلا .....

* * *

لثانية أو ثانيتين ، تجمّد الموقف تمامًا ، داخل معمل الدكتور (رائف عبيد) ، خبير الاتصالات العقلية الفذ ..

ثانية أو ثانيتين ، حدّق خلالهما الجميع فى ذلك الكائن المخيف ، الذى وقف هادئًا ، فى منتصف الحجرة تمامًا ..

كائن أسود ، هلامى ، له تكوين شبه بشرى ، وعينان تحتلان الثلث العلوى منه تقريبًا ..

ثم كان (كاظم) أوّل من تحرّك ..

استلّ مسدسًا ضخمًا فجأة من حزامه ، وانطلقت من حلقه زمجرة قوية مخيفة ، وهو يرفع فوهته نحو ذلك الكائن .

ويطلق أشعة الليزر .

وانطلقت من ذلك المخلوق صرخة غريبة ، عندما أصابته الأشعة ..

صرخة أشبه بذئب يحتضر ..

ومع صرخته ، هتف (أكرم) ، وهو يستلّ مسدسه بدوره :

ـ اقتله يا (نور) .. اقتله .

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، سحب (نور) مسدسه ، وجذب (أكرم) إبرة مسدسه و ...

وبسرعة مدهشة ، تراجع المخلوق ..

تراجع وكأنه صورة هولوجرامية ، تزحف عبر شعاع من الضوء ، فى مشهد عجيب ..

عجيب للغاية ..

ثم وثب ..

ومع وثبته ، قفز (كاظم) نحوه كفهد رشيق ، على الرغم من تعارض هذا تمامًا مع ضخامته الزائدة ..

ثم أمسك به فى قوة ..

ولم يكد يفعل ، حتى دوت فرقعة عنيفة فى المكان ..

ووميض جسد (كاظم) كله ، كما لو أنه قد تلقى صاعقة هائلة ، انتزعته من مكانه ، وألقته عبر الحجرة فى عنف ، ليرتطم بأجهزة المتابعة ، ومؤشرات المراقبة ، ثم يسقط معها بدوى هائل ، قبل أن يستقر أرضًا على ظهره ، وكأنما قضى نحبه تمامًا ..

وأطلق (نور) أشعته ..

وأطلق (أكرم) معها رصاصاته ..

ولكن ذلك الكيان العجيب اندفع بنفس انسيابيته المدهشة نحو الجدار ..

وانقضّ على موزّع التيار الكهربى ..

ودوت فرقعة أخرى عنيفة ..

ثم هدأ كل شىء دفعة واحدة ..

واختفى ذلك المخلوق المخيف ..

اختفى تمامًا ..

ودون أدنى أثر .

* * *

٢ - مكان ما ..

انبعث صوت أشبه بعواء ذئب جريح ، من ذلك الكائن الرهيب ، الذى انتزع نفسه من كيان (فيليب) ، منذ دقائق قليلة ، وبدا عليه توتر لا محدود ، وهو يراقب تلك الأمطار ، المنهمرة فى غزارة ، ثم لم يلبث أن مدّ قدمه فى حذر ، لتلمس المياه ، قبل أن يحسم أمر نفسه ، ويخوض فيها ، مبتعدًا عن الفيلاّ ..

لم يكن قد رأى ، فى حياته كلها ، ظاهرة كهذه ..

ظاهرة المطر ..

ففى العالم ، الذى أتى منه ، لم تكن هناك سحب ..

أو أمطار ..

وكان ما يحدث يزعجه بشدّة ..

ويدفعه إلى الفرار ..

بأى ثمن ..

لذا فقد راح يبتعد عن الفيلاّ ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

حتى بلغ دائرة الطاقة ..

تلك الأعمدة الرفيعة ، ذات الرءوس المتألقة ، التى تحيط بالفيلا كلها ..

ولثوان ، وقف يتطلّع إليها فى حذر قلق ..

ثم تقدّم منها ..

كانت لديه لهفة بلا حدود ، لاقتحام هذا العالم الجديد ..

عالم أكبر وأضخم من عالمه ألف مرة ..

عالم يحوى طاقة هائلة ..

طاقة بلا حدود ، تكفى لتغذيته ألف ألف عام ..

وبعدها يصبح ذلك العالم كله ملكًا له ..

كل ما عليه هو أن يسعى لفناء كل سكانه ..

بلا استثناء ..

وبقدراته الجديدة ، التى تبلغ ذروتها ، فى هذا العالم ، يمكنه أن يبلغ تلك النتيجة فى عام واحد أو عامين ..

على أقصى تقدير ..

المهم أن يبدأ ..

على الفور ..

وتألقت عيناه بالتماعة نشوة بلا حدود ، وهو يتجه نحو الأعمدة ، و ...

وانطلقت فرقعة قوية ..

وانبعثت من حلقه صرخة رهيبة ..

وارتدّ جسده إلى الخلف فى عنف ..

وسقط وسط المياه ، التى تغمر الفناء ، بارتفاع عشرة سنتيمترات كاملة ..

وانطلقت منه صرخة أخرى ..

صرخة تحمل كل الثورة والغضب هذه المرة ، وهو ينهض من وسط المياه ، والأمطار تنهمر على رأسه فى غزارة ..

ثم اندفع مرة أخرى ، نحو حاجز الطاقة ..

ومرة ثانية ، دوت تلك الفرقعة ..

وارتد جسده على نحو أكثر عنفًا ..

وفى اللحظة نفسها ، سطع البرق فى السماء ، وامتزج دوى الرعد بتلك الصرخة ، التى انبعثت من حلقه ، وجسده كله ينتفض ثورة وغضبًا ..

ثم استدار يواجه الفيلا ، والغضب يشتعل فى عينيه ، اللتين استحالتا إلى قطعتين من الجمر ، تتأججان فى وسط الثلث العلوى من جسده ، والزبد يسيل من بين فكيه ، الذين انفرجا ، لتبرز من بينهما أسنان حادة طويلة ..

واندفع ..

اندفع نحو الفيلا هذه المرة ، وقد سيطرت عليه فكرة واحدة ..

تدمير كل ما فيها ..

ومن فيها ..

بلا رحمة ..

بلا أدنى رحمة ..

* * *

ارتجفت شفتا الدكتور (رائف) فى عصبية شديدة ، وهو يفحص (رمزى) ، الذى بدا شاحبًا كالموتى ، قبل أن يغمغم بصوت أشدّ شحوبًا من وجهه ، الذى حمل كل علامات الهلع والارتياع :

ـ حمدًا لله .. إنه حى .. حالته سيئة للغاية .. ولكن ما زال حيًا .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ هل يحتم الأمر نقله إلى المستشفى ؟!

غمغم الدكتور (رائف) :

ـ أعتقد هذا ، ولكن ..

سأله (نور) فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجاب فى مرارة :

ـ كيف يمكن نقله ، فى ظروف كهذه ؟!

هتف (نور) فى غضب :

ـ ربما لو أعدت الاتصالات ، لأمكننا استدعاء طيارة إسعاف على الأقل ..

هزّ الرجل رأسه فى أسى ، وقال :

ـ أية طائرة تلك ، التى يمكنها الخروج ، فى طقس كهذا ؟! ثم إن ...

وبتر عبارته بغتة ، ليسأله فى حيرة :

ـ وما شأنى أنا بإعادة الاتصالات ؟!

أشار (نور) بيده ، هاتفًا :

ـ تلك الدائرة ، التى تحيط بالفيلا .. أليست المسئولة عن انقطاع كل الاتصالات ؟!

سأله فى حيرة حقيقية ، أطلّت من عينيه فى وضوح :

ـ أية دائرة ؟!

قال (نور) فى توتر ، وقد بدأ يشعر بحيرة مماثلة :

ـ الدائرة التى صنعتها أعمدة الطاقة ، التى غرسها حارسك (كاظم) حول الفيلا .

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما ، وهو يهتف ذاهلاً :

ـ (كاظم) ؟! (كاظم) فعل هذا ؟!

ثم أدار عينيه إلى حارسه الملقى أرضًا ، مستطردًا :

ـ ولكن لماذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وتبادل نظرة عصبية للغاية ، مع زميله (أكرم) ، قبل أن يقول هذا الأخير فى حدة :

ـ لا تقل لى : إنك تجهل هذا .

هتف العالم فى مرارة :

ـ ولكننى أجهله بالفعل .

ثم عاد يكرّر :

ـ إننى أجهل لماذا ؟! لماذا يفعل هذا ؟!

ثم دفع مقعده نحو (كاظم) ، صارخًا :

ـ لماذا ؟!

استوقفه (نور) ، قائلاً فى حزم عصبى :

ـ مهلاً يا دكتور (رائف) .. الرجل يحتاج إلى عناية .

صاح العالم فى توتر بالغ :

- ولكن لماذا يفعل هذا ؟! لقد منحته كل ثقتى !

قال (نور) ، وهو يتجه نحو (كاظم) :

- لسنا نعلم أسبابه بعد .

هتف الرجل فى مرارة :

- أية أسباب فى الدنيا لا تبرّر الخيانة ..

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- من المؤكد أننا سنناقش كل الأسباب العاطفية فيما بعد ، أما الآن ، فعلينا أن نجد وسيلة لإسعاف (رمزى) .

هزّ الرجل رأسه ، مغمغمًا :

- لست أجد وسيلة معقولة ، فى هذا الطقس الرهيب .

صاح (أكرم) :

- سأجد وسيلة ، حتى ولو اقتحمت الجحيم نفسه .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى دوت تلك الصرخة فى الخارج ..

صرخة ذئب ثائر ، امتزجت بزمجرة دب جريح ، وزئير أسد غاضب ..

وتجمّد الجميع فى أماكنهم لحظة ، غمغم (أكرم) بعدها ، بكل عصبية الدنيا :

- ما هذا بالضبط ؟!

أمسك (نور) مسدسه فى قوة ، وهو يبتعد عن الباب ، متسائلاً :

- هل يوجد مخرج آخر لهذا المكان ؟!

هزّ الدكتور (رائف) رأسه فى خوف ، وغمغم بصوت مبحوح :

- لقد اخترنا موقع المعمل بعناية ، وأغلقنا كل النوافذ والمخارج ، فيما عدا الباب ، لنضمن عدم اطلاع أحد على أسرارنا .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هل بدت لكم عندئذ فكرة عبقرية ؟!

اتسعت عينا الدكتور (رائف) فى رعب ، دون أن يجيب ، فى حين تعالى وقع أقدام ثقيلة ، تضرب الأرض ، فى طريقها إليهم ..

وكانت تقترب فى بطء من الباب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم تحرك (نور) فجأة ..

اندفع نحو الباب ، وأغلق رتاجه فى إحكام ، ثم تراجع فى سرعة ، وصوّب مسدسه الليزرى إليه ..

وفى توتر بالغ ، صوّب (أكرم) بدوره مسدسه إلى الباب ..

ووقع الأقدام الثقيل يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم هوت ضربة عنيفة على الباب ..

واختلجت قلوبهم بين ضلوعهم فى عنف ..

ومع اختلاجها ، هوت ضربة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم انطلقت تلك الصرخة الرهيبة مرة أخرى ..

وازدادت الضربات عنفًا ..

وارتجف الدكتور (رائف) ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، وهو يغمغم فى انهيار شديد :

- رحماك يا إلهى ! رحماك ..

ومع كلماته ، هوت ضربة أخرى على الباب ..

وفى هذه المرة ، تحطّم جزء من الرتاج المعدنى ..

ومع الضربة التالية ، انهار الرتاج تمامًا ..

وانفتح الباب فى عنف ..

واتسعت عيونهم جميعًا عن آخرها ، وهم يحدقون فى ذلك الكائن ، الذى بدا أكثر بشاعة من سابقه ..

ألف مرة ..

ولثانية أو ثانيتين ، حدقت فيهم العينان الكبيرتان ، المشتعلتان بالثورة والغضب ..

ثم أطلق الكائن البشع تلك الصرخة الرهيبة ، التى تنخلع لها قلوب أشد الرجال بأسًا وقوة ..

وانقضّ ..

انقضّ على (نور) و(أكرم) والدكتور (رائف) .. بوحشية رهيبة ..

بلا حدود ..

* * *

شدّ الفريق (محمد يسرى) قامته ، ومطّ شفتيه بضع لحظات ، بعد أن استمع إلى (نشوى) ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ فكرة إرسال (الهوفركرافت) قد تبدو عبقرية ، من الناحية النظرية البحتة ، ولكن ليس كواقع فعلى ، فالأمر لا يقتصر على أمطار غزيرة منهمرة فحسب ، وإنما تقترن بها رياح وعواصف ، لن يصمد أمامها (الهوفركرافت) لساعة واحدة .

امتقع وجهها ، وهى تقول :

ـ ولكن هناك وسيلة حتمًا .

مطّ شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ربما بعد أن تهدأ العاصفة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى :

ـ معذرة يا سيادة قائد القوات البحرية ، ولكن يبدو أن الصورة غير واضحة لديك بشكل كامل .. إن واحدًا من أفضل رجالنا ، بل هو أفضل رجالنا بالفعل ، محتجز داخل تلك الفيلا ، التى نتحدّث عنها ، وهناك ما يجعلنا نشعر بالقلق بشأنه ، وبشأن اثنين من أفضل خبرائنا بصحبته ، وهذا يعنى أنه من الضرورى أن نصل إليه ، بأى ثمن كان .

انعقد حاجبا الفريق (يسرى) ، وهو يغمغم :

ـ آه .. هكذا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ هل يمكننى أن ألقى نظرة أخرى على الخريطة ؟!

تطلّع إليه الدكتور (جلال) فى تساؤل ، فأضاف فى اهتمام :

ـ أعنى صور الفيلا .

فرد أمامه الدكتور (جلال) صور الفيلا ، فتطلّع إليها فى اهتمام ، وأشار إلى الجانب الشمالى منها ، قائلاً :

ـ من الواضح أن الجانب الوحيد المتاح بالفعل ، هو جانب البحر .

غمغمت (نشوى) فى لهفة :

ـ بالتأكيد .

تطلّع الفريق (يسرى) بضع لحظات إلى الصور ، فى تفكير عميق ، قبل أن يعتدل ، ويشدّ قامته مرة أخرى ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ، لا يمكن أن يفيدنا (الهوفركرافت) .

ثم رفع سبّابته ، مستطردًا فى حزم :

ـ إننا نحتاج إلى غوّاصة .

تفجّرت الدهشة فى نفوسهم جميعًا ، والقائد الأعلى يهتف :

ـ غوّاصة ؟!

أجاب بنفس الحزم :

ـ نعم .. غوّاصة صغيرة ، مع اثنين من خبراء الغوص ، أو الضفادع البشرية ، المدربين على عمليات الاقتحام ، فى كل أنواع المناخ .

ثم ابتسم ، متابعًا :

ـ لقد تصوّرتم جميعًا أن السبيل الوحيد لتفادى العاصفة ، هو الارتفاع عن سطح البحر ، وهذا غير صحيح .

وأشار بيده إلى أسفل ، مضيفًا :

ـ الوسيلة المثلى هى الغوص فى البحر نفسه .

سأله الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ ألديك خطة محدودة ؟!

ابتسم الفريق (يسرى) ، وهو يجيب فى حزم واثق :

ـ بالتأكيد .

قالها ، واتسعت ابتسامته بكل الحزم ..

وكل الثقة ..

* * *

من المؤكد أن ذلك المشهد كان أكثر ما واجه الدكتور (رائف) فى حياته كلها ، رعبًا وبشاعة ..

بل ربما لم يخطر حتى بباله لحظة واحدة ..

ولا حتى فى أبشع كوابيسه ..

وأعنفها ..

لذا ، فقد راح الرجل يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

أما (نور) و (أكرم) ، فعلى الرغم من عنف المشهد ..

ورعبه ..

وبشاعته ..

على الرغم من كل هذا ، فقد تصرفا فى سرعة وقوة ..

باختصار .. كمحترفين ..

ففى لحظة واحدة ، ومع سقوط الباب ، ضغط كلاهما زناد مسدسه ..

ودوت رصاصات (أكرم) ..

وانطلقت أشعة (نور) ..

وأطلق المخلوق البشع صرخة أخرى ..

صرخة حملت كل آلامه هذه المرة ..

وتفجرت من جسده سوائل سوداء لزجة ، تناثرت على الأرض ، وهو يتراجع فى ثورة وغضب ، و ... وألم ..

وهتف (أكرم) :

ـ إنه ليس منيعًا يا (نور) .

نطقها ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته ، فهتف (نور) ، وهو يطلق أشعته بدوره :

ـ لقد لاحظت هذا .

اخترقت الرصاصات وخيوط الأشعة جسد الكائن الرهيب مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وراح يتراجع ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

وذلك السائل الأسود اللزج يتفجَّر من مواقع إصاباته في عنف ..

ثم انطلقت من حلقه صرخة أكثر غضبًا وثورة وألمًا ، وهو يثب إلى الخلف ، ثم يندفع مبتعدًا ..

وكرد فعل طبيعي ، اندفع (نور) و(أكرم) خلفه ..

ولكن الممر كان خاليًا ..

خاليًا تمامًا ..

وفي دهشة بالغة ، غمغم (أكرم) :

ـ عجبًا ! أين ذهب ؟!

أجابه (نور) في حزم :

ـ في مكان ما هنا .

ثم أشار إليه بالصمت ، وهو يتحرك عبر الممر في حذر ..

وتبعه (أكرم) في توتر بالغ ..

ولكن المكان كله كان خاليًا ..

تمامًا ..

لبضعة أمتار فحسب ، كانت هناك قطرات صغيرة من ذلك السائل الأسود اللزج ، توحي بأن الكائن قد انطلق عبر الممر ..

ثم ينتهي كل شيء بغتة ..

ودون مقدمات ..

وفي حيرة ، تمتم (أكرم) :

ـ إنه لم يتلاش حتمًا .

تلفت (نور) حوله ، مغمغمًا :

ـ إنه فى مكان ما .. لا يمكن أن يختفى هكذا .

ثم توقف بصره على مدخل الفيلا ، وهو يضيف :

ـ ربما ..

لم يتمّ عبارته ، ولكنه اتجه فى حزم نحو الباب ، وهو يمسك مسدسه فى قوة ، مما جعل (أكرم) يغمغم ، وهو يتبعه بنفس الحذر :

ـ هل تعتقد أنه قد غادر الفيلا ؟!

سأله (نور) :

ـ ألديك تفسير آخر ؟!

لوّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

ـ ليس لدى أى تفسير .

ثم أضاف فى عصبية :

ـ لأى أمر .

قال (نور) ، وهو يدفع الباب فى حذر :

ـ هناك تفسير حتمًا ، لكل أمر فى الوجود .. إنها سنة الكون .. الله (سبحانه وتعالى) جعل لكل شىء سببًا ومنطقًا .

غمغم (أكرم) :

ـ المهم أن تدرك أولاً ما هو الشىء .

مطّ (نور) شفتيه ، متمتمًا :

ـ هذا صحيح .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت الصرخة ..

صرخة رعب عنيفة ، حملت صوتًا مألوفًا ..

صوت الدكتور (رائف) ..

وفى آن واحد ، ودون اتفاق سابق ، انطلق (نور) و (أكرم) يعدوان بأقصى سرعتهما ، نحو معمل الدكتور (رائف) ..

ثم اقتحماه بقفزة واحدة ، وكلاهما يصوّب مسدسه ، و ....

واتسعت عيونهما عن آخرها ..

فما رأياه أمامهما كان مذهلاً ؟!

مذهلاً بكل المقاييس !

* * *

٣ – جحيم الغموض ..

« نحن على مسافة ثلاثمائة متر من الهدف ، ولا يمكننا الاقتراب أكثر .. »

استقبل الفريق (محمد يسرى) الرسالة ، من الغوّاصة الصغيرة (نبتون – ٣) ، فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فضغط زر الاتصال ، وهو يقول فى حزم :

– من القيادة إلى (نبتون – ٣) .. حدّد موقفك بالضبط .

أتاه الجواب على الفور :

– المنطقة ذات طبيعة صخرية غريبة ، والطقس المتقلّب أحدث تغيرات فى تضاريس القاع ، على نحو يمنعنا من الاستمرار .

انعقد حاجبا الفريق (يسرى) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

– استقر فى مكانك يا (نبتون – ٣) ، واختبر موقف القاع ، ثم أبلغنا بتقريرك .

أتاه الجواب :

– علم ونفذ .

انتهى الاتصال ، فالتفت قائد القوات البحرية إلى القائد الأعلى ، قائلاً :

– من الواضح أن الموقف أسوأ مما تصوّرنا ، فالغواصة (نبتون – ٣) هى غوّاصة محدودة ، من طراز خاص ، معدّة خصيصًا لعمليات الكوماندوز ، ونقل الفرق الصغيرة من الضفادع البشرية ، للقيام بعمليات انتحارية قوية ، وهى مؤهلة لمواجهة أردأ أنواع الطقس ، وعجزها عن بلوغ الفيلا ، يعنى أن الطقس يفوق احتمالها هذه المرة .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

– وماذا عن الضفادع البشرية ؟!

التفت إليها ، قائلاً :

- إنهم بشر يا سيدتى ، مهما بلغت براعتهم وكفاءتهم ، وخصمهم هذه المرة هو الطبيعة نفسها ، والطبيعة خصم عنيف مكتسح ، لا تصمد أمامه قوة من صنع البشر ، منذ بدء الخليقة ، وحتى أيامنا هذه ، وربما حتى الأزل .. لقد بلغ الإنسان شأنًا رهيبًا ، فى التكنولوجيا والتطور ، وعلى الرغم من هذا ، فمازالت العواصف والزلازل والبراكين توقفه أمامها عاجزًا منكسرًا ، لا يملك من أمر نفسه سوى الدعاء لله (سبحانه وتعالى) .

غمغمت :

- ونعم بالله .

ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف :

- ولكننى لا أستطيع الاستسلام لفكرة وجود أبى فى مكان ، أعجز عن الاتصال به ، فى نفس الوقت الذى انقطعت فيه أخباره تمامًا .

غمغم الدكتور (جلال) :

- ربما هو انقطاع الاتصال ، مع العاصفة والأمطار الغزيرة فحسب .

أجابت فى سرعة ومرارة :

- لم يكن أبى ليستسلم لهذا قط .. وخاصة فيما يتعلق بانقطاع الاتصالات .. ولا (رمزى) أو (أكرم) كانا سيتعاملان مع هذا ببساطة أو استسلام .. كلهم يعلمون أننا سنشعر بقلق بالغ بشأنهم ، لو انقطع اتصالنا بهم على هذا النحو .. وحتى لو حاصرتهم العاصفة فى الفيلا ، كانوا سيحاولون الاتصال على الأقل .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- هذا ما يقلقنى بشدة فى الواقع ، فطبقًا لما لدينا ، لم يكن من المفترض أن يمتد انقطاع الاتصال لفترة طويلة ، حتى لا يؤدى هذا إلى الانتباه إليه ، وتوجيه الأنظار إلى حدوث أمر ما ، داخل تلك الفيلا بالتحديد ، والتجارب لم تكن تستغرق أكثر من ساعتين أو ثلاثًا على الأكثر ، وامتدادها من ليلة أمس ، وحتى هذه اللحظة ، أمر غير منطقى على الإطلاق ، ويثير فى نفسى بالفعل عشرات المخاوف والظنون .

ثم أدار عينيه إلى الفريق (يسرى) ، مستطردًا فى حزم :

- وهذا يعنى ضرورة بذل كل جهد ممكن ؛ لبلوغ الفيلا ؛ بأى ثمن كان .

أومأ الفريق (يسرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- لو أن الثمن ممكن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث صوت قبطان (نبتون - ٣) ، من جهاز الاتصال ، قائلاً :

- من (نبتون - ٣) إلى القيادة .. القاع غير مستقر على الإطلاق ، وإرسال الضفادع البشرية إلى الهدف مستحيل .. مستحيل تمامًا .

وانتفض جسد (نشوى) بمنتهى العنف ..

لقد انهار الآن فقط آخر أمل ..

آخر أمل فى إنقاذ والدها ، من ذلك الخطر المجهول ، الذى تصرخ غريزتها الأنثوية بوجوده .

الخطر ، الذى لو تدرى ، لهو أكثر خطورة من كل ما تصوّرته فى عمرها كله ..

ألف مرة ..

* * *

من المؤكّد أن ذلك المشهد ، فى معمل الدكتور (رائف عبيد) ، كان مذهلاً بالفعل ..

مذهلاً ومخيفًا ..

إلى أقصى حد ..

فحتى منتصف المعمل ، كانت هناك كائنات سوداء مخيفة ، أشبه بعقارب ضخمة ، مختلفة الأحجام ، أكبرها فى حجم كلب حراسة ضخم ، وأصغرها فى حجم خنفسة صغيرة(*) ..

وكلها تتجه نحو الدكتور (رائف) ..

ولكن هذا لم يكن سبب ذهولهما ..

(*) الخنافس : حشرة من رتبة غمدية الأجنحة ، لها أكثر من مائة وثمانين ألف نوع مختلف ، لأكثرها زوجان من الأجنحة ، الأماميان منهما متحوران إلى غمدين غليظين ، يحميان الجسم ، والخلفيان غشائيان ، معظمها يعيش على اليابسة ، وقليل منها فى الماء .. بعضها مفترس ، والبعض الآخر يتغذى بالنباتات ، والأخشاب ، والمواد الحيوانية ، أو النباتية المتحللة .

أو رعبهما ..

السبب الحقيقى هو أن كل تلك الكائنات الرهيبة ، كانت تنمو من البقع السوداء اللزجة ..

تلك البقع ، التى تناثرت على الأرض ، مع كل رصاصة ، أو طلقة ليزر ، أصابت المخلوق الأسود الرهيب ..

وفى ذهول مذعور ، هتف (أكرم) :

ـ ربّاه ! ما هذا ؟! ما هذا ؟!

هتف به (نور) ، وهو يطلق أشعة مسدسه ، نحو أقرب الكائنات إلى الدكتور (رائف) :

فيما بعد يا صديقى .. سنناقش هذا فيما بعد .

ودون تفكير ، انضمّ إليه (أكرم) ..

وانطلقت رصاصاته ..

وانطلقت معها صرخات الدكتور (رائف) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وراحت تلك المخلوقات المخيفة تتفجّر ، واحدة بعد الأخرى ..

وكلما انفجرت واحدة ، تناثر منها سائل حار ..

ساخن ..

ملتهب ..

وبآلام بلا حدود ، أخفى الدكتور (رائف) وجهه بذراعيه ، وهو يواصل الصراخ ..

وعلى الرغم من انفجار عشرات المخلوقات ، كانت أخرى تنمو وتبرز من البقع المتناثرة ، التى بدت وكأنها بلا حدود ..

وفى الممر الخارجى ، نمت مخلوقات مماثلة ..

وفى تجاذب عجيب ، راحت كلها تتجه نحو المعمل ..

وتحاصر (نور) و (أكرم) ..

وبكل عصبية ، هتف الأخير :

ـ ألا نهاية لتلك الأشياء يا (نور) ؟!

هتف (نور) ، وهو يطلق أشعة مسدسه :

- اسقها يا صديقى .. اسقها أولاً ، ثم نبحث هذا فيما بعد ..

كان ذلك السائل الملتهب يتناثر على وجهيهما وجسديهما ، ويبعث فيهما كل أنواع الآلام والعذاب ..

ولكنهما لم يتوقفا ..

كانا - كمحترفين - يدركان أن التوقف لحظة واحدة قد يعنى النهاية ..

وبلا رحمة ..

لم يكن أحدهما يدرى ما يمكن أن تفعله بهما تلك المخلوقات ، بأرجلها الستة المفصلية ، وذيولها المرتفعة المتحفزة ..

ولكن كل شىء فيها كان يحمل رائحة تزكم الأنوف ..

رائحة الموت ..

موت أسود رهيب ..

بشع ..

ثم إن كل لحظة ، كانت تحمل المزيد والمزيد منها ..

وبلا انقطاع ..

وبتكنيك مدروس ، اعتاده كلاهما ، فى مثل هذه الظروف ، ألصق كل منهما ظهره بظهر الآخر ، وراحا يدوران حول بعضهما ، وكلاهما يطلق النار بلا هوادة ..

(أكرم) يطلق رصاصاته ..

و (نور) يطلق أشعته ..

والمخلوقات المخيفة تنفجر ..

وتنفجر ..

وتنفجر ..

وبدا الأمر وكأنه بلا نهاية ، حتى إن الدكتور (رائف) قد توقف عن الصراخ ..

ولاذ بالصمت التام ..

صمت عجيب ، بدا وكأنه قد خلا من أية انفعالات ، وهو يراقب الموقف كله ..

ولم يدر (نور) أو (أكرم) كم مضى من الوقت ..

ألصق كل منهما ظهره بظهر الآخر ، وراحا يدوران حول بعضهما ، وكلاهما يطلق النار بلا هوادة ..

ولكنهما شعرا بالإرهاق ..

إرهاق بلا حدود ..

وكانت تلك المخلوقات تواصل زحفها البطىء ..

وتواصل ..

وتواصل ..

ثم استعاد (كاظم) وعيه ..

ولوهلة ، حدّق فيما يحدث بدهشة حقيقية ..

وربما كانت أوّل مرة تبدو فيها مشاعره ..

أو انفعالاته ..

إلا أن هذا لم يستغرق سوى لحظة واحدة ..

لحظة هبّ بعدها واقفًا على قدميه ..

واختطف مسدسه ..

وراح يطلق النار بدوره ..

وكانت إضافة ممتازة ، لخط النار ..

إضافة نسفت مخلوقات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى بدأ العدد يتناقص على نحو ملحوظ ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

ثم أطلق (نور) طلقة من أشعته ، نسفت آخرها فى عنف ..

وساد بعدها صمت رهيب ..

صمت عجيب ، شمل المكان كله ، والجميع يحدقون فى بركة السائل الملتهب ، التى تكونت فى منتصف الحجرة ، وفيها تسبح أشلاء تلك المخلوقات ..

ثم سرت فى أجسادهم ارتجافة ..

فمع صوت أشبه بالفحيح ، راحت أشلاء المخلوقات تذوب فى ذلك السائل فى سرعة ، وهو يزداد سوادًا وقتامة ، حتى صار كتلة أخرى من السائل الأسود اللزج ، الذى انبعث منه كل هذا ..

وفى توتر ، غمغم (أكرم) :

ـ ترى هل ستعاد الكرة ؟!

انفرجت شفتا (نور) ليجيب ، ولكن الدكتور (رائف) سبقه ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

ـ بالتأكيد .

استدار إليه الثلاثة بعيون متسائلة ، فتابع بنفس الهدوء ، وهو يشير إلى كتلة السائل الأسود :

ـ كل ما فى الأمر هو أننا سنواجه مخلوقًا عملاقًا هذه المرة ، فجسم تلك المخلوقات يتناسب مع حجم بقع السائل ، التى نشلوا فيها .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يحدق فى البركة السوداء ، ويشعر أكثر وأكثر بمواضع الالتهاب ، فى وجهه وجسده ، من جراء ذلك السائل ، فى حين هتف (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ وماذا نفعل ؟!

أدار الدكتور (رائف) عينيه إلى (كاظم) ، وأجاب بكلمة واحدة مقتضبة :

ـ النار .

لم يكد (كاظم) يسمع الكلمة ، حتى اتجه فى نشاط نحو دولاب كبير ، فى أحد أركان المعمل ، وانتزع منه قاذفة لهب صغيرة ، عاد بها إلى البركة فى حزم ..

وأطلق ألسنة اللهب ..

وانبعث من السائل الأسود صوت آخر ، هو مزيج من الفحيح ، وصوت الماء المغلى ..

ثم اشتعلت فيه النيران دفعة واحدة ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يلتفت نحو الدكتور (رائف) ، الذى راح يراقب ذلك الحريق المحدود باهتمام بالغ ، أقرب إلى الشغف ، وقد تألقت عيناه على نحو عجيب ..

وكانت فى رأس (نور) ألف فكرة ..

وألف ألف سؤال ..

ولكنه لم يلق كلمة واحدة منها ..

ربما لأن أفكاره وأسئلته لم تتكون تمامًا بعد ..

أو لم تتضح ..

وربما لأن آهة خافتة قد ندت من بين شفتى (رمزى) فجأة ، فاستدار إليه بكيانه كله ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! (رمزى) !

مع كلمته ، انتزع (أكرم) نفسه من مكانه ، واندفع نحو (رمزى) ، وبلغ موضعه مع (نور) ، فى آن واحد ، فى حين دفع الدكتور (رائف) مقعده إليه بدوره ، وهو يغمغم :

ـ إذن فقد نجا .

ثم هتف :

ـ (كاظم) .. حقيبة إسعافات الطوارئ .. بسرعة .

أسرع حارسه الضخم يحضر حقيبة كبيرة ، التقطها العالم فى لهفة ، ثم أشار بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ اذهب مع السيدين ، للبحث عن ذلك الشىء ، واتركوا لى أمر السيد (رمزى) .

تردّد (نور) لحظة ، وبدا شك متوتر على ملامحه ، ولكن (كاظم) حمل مسدسه ، واندفع به خارج المكان ، فهتف (أكرم) :

ـ هيا بنا يا (نور) .

تردّد (نور) لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

ـ أنت مسئول عن سلامته ، منذ هذه اللحظة .

أجابه الدكتور (رائف) فى هدوء :

ـ اطمئن .

ثم أضاف فى حزم ، وهو يلتقط أحد أجهزة حقيبته :

ـ اهتم أنت بعملك .

هتف (أكرم) مرة أخرى :

ـ هيا يا (نور) .. لا يمكننا أن نسمح لذلك الشىء بنشر شروره فى كل صوب .

بدا التردّد لحظة أخرى على (نور) ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، واندفع مع (أكرم) للحاق بـ (كاظم) ، تاركًا الدكتور (رائف) خلفه ..

ولقد تابعهما العالم ببصره حتى اختفيا ، ثم تألقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يتمتم :

ـ لا يمكن أن أصيبه بأدنى سوء .

وأزاح حقيبة إسعافات الطوارئ جانبًا ، وهو يضع راحتيه على جانبى صدر (رمزى) ، مستطردًا :

ـ إننى أدين له بالكثير .. الكثير جدًا .

ومع آخر حروف كلماته ، انتفض جسد (رمزى) .. بمنتهى العنف ..

* * *

انهمك الفريق (يسرى) ، قائد القوات البحرية ، فى حديث هامس ، عبر جهاز الاتصال الخاص به ، فى حين بدت (نشوى) شديدة العصبية ، وهى تلقى نظرة على ساعتها ، قائلة :

ـ الوقت يمضى بسرعة ، والأمر لم يحسم بعد .

تنهّد الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ والعاصفة أيضًا لم تهدأ بعد .

وأضاف القائد الأعلى :

- إننى لم أشهد طقسا كهذا ، منذ أكثر من ثلاثين عاما .

هز الدكتور (جلال) رأسه ، وهو يقول :

- أما أنا ، فلم أشهده قط .

قالت (نشوى) فى توتر :

- هذا لا يهم الآن ، فالأهم أن نجد وسيلة للاتصال بأبى ، داخل دائرة الطاقة ، التى تعلمون بوجودها ، والتى تمنع وتحول بين كل الوسائل المعروفة ، وإتمام الاتصال معهم هناك .. وأن نجد تلك الوسيلة ، قبل فوات الأوان .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول الدكتور (جلال) :

- لقد بذلنا قصارى جهدنا ، واستخدمنا كل وسيلة معروفة ، ولكن دائرة الطاقة تلك من القوة ، بحيث يستحيل اختراقها ، وهذا هو الغرض من وجودها .

هتفت :

- هناك حتما وسيلة ما .. لست أؤمن قط بوجود كلمة مستحيل هذه .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وهو يقول :

- لو أن هناك وسيلة للاتصال ، فهى خارج نطاقنا .

لوحت بذراعها فى قوة ، وهى تهتف :

- لا يوجد شىء خارج النطاق .. ربما بدت بعض الأمور مستحيلة ، من وجهة نظر البعض ، ولكنها قد لا تكون كذلك ، من منظور البعض الآخر .. كل ما فى الأمر هو أن الموضوع يحتاج إلى .....

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تضيف فى بطء :

- خبير .

« سنقوم بالمهمة .. »

نطق الفريق (يسرى) العبارة فى حزم شديد ، وهو ينهى اتصاله الهامس ، ويلتفت إليهم ، فانتزعها من أفكارها دفعة واحدة ، وهى تلتفت إليه ، مع الدكتور (جلال) والقائد الأعلى ، بنظرة ملؤها التساؤل والقلق ، فأضاف بنفس الحزم والحسم :

ـ لقد أبلغت الرجال أن الأمر يتعلّق بأمن الوطن ، فقرّروا القيام بالمهمة ، مهما بلغت الصعوبات .

انعقد حاجبا (نشوى) فى توتر ، فى حين هتف الدكتور (جلال) :

ـ حقًا ؟! .. فى هذا الطقس ؟!

ابتسم القريق (يسرى) ، وهو يقول :

ـ أنت لا تعرفهم ، عندما يتعلّق الأمر بأمن الوطن .

هتف الدكتور (جلال) فى حماس :

ـ هكذا الرجال .

وارتسمت على شفتى القائد الأعلى ابتسامة باهتة ، لم تنجح فى إخفاء ما يعتمل فى نفسه من قلق وتوتر ..

أما (نشوى) ، فلم تنبس ببنت شفة ..

ففى غياهب عقلها ، كانت تدور فكرة أخرى ..

فكرة بدت لها وكأنها الحل الأكيد ، الذى لم تنتبه إليه منذ البداية ، لتلك المشكلة برمتها ..

والعجيب أن تلك الفكرة لم تكن لها أدنى صلة بالغوّاصة (نبتون ـ ٣) ..

أو برجال الكوماندوز البحريين ..

على الإطلاق ..

* * *

الفيلا كلها بدت خالية تمامًا ..

لم يكن بها أثر لذلك الكائن ..

أدنى أثر ..

وفى الردهة السفلية ، اجتمع الرجال الثلاثة ، (نور) و (أكرم) و (كاظم) ، وبدا عليهم مزيج من القلق والحيرة والتوتر ، وراحوا يتلفتون حولهم ، وكل منهم يحمل سلاحه ، قبل أن يقول الثانى :

ـ إنه لم يختف حتمًا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ولم يلق مصرعه أيضًا ..

زمجر (كاظم) ، دون أن ينطق بحرف واحد ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى بطء شديد ، ووجه خلا من أية مشاعر أو انفعالات ، فأضاف (نور) ، وهو يلتفت إلى باب الفيلا :

ـ الاحتمال الوحيد هو أن .....

هتف (أكرم) يكمل فى حماس :

ـ يكون خارج الفيلا .

كان هذا هو الاحتمال المنطقى الوحيد ، لذا فقد التفت ثلاثتهم ، مع فوهات أسلحتهم ، إلى باب الفيلا ، و ....

وفجأة ، انفتح الباب ..

وخفقت القلوب فى عنف ..

وتحفزت السبابات ، فوق أزندة المسدسات ..

و ....

« ماذا أصابكم ؟! »

هتف (فيليب) بالسؤال فى عصبية ، وهو يتراجع بحركة حادة ، أمام الفوهات القاتلة المصوبة إليه ، فحدق الثلاثة فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يسأله (نور) فى صرامة :

ـ ماذا كنت تفعل بالخارج ؟!

وهتف به (أكرم) مستنكرًا :

ـ إنك تبدو كمن خرج على الفور ، من قاع البحر !

كان (فيليب) بالفعل مبتلاً ، على نحو عجيب ، والماء يغمر شعره ووجهه وثيابه ، وكأنما غاص بالفعل فى أعماق البحر ، إلا أن عبارة (أكرم) استفزته ، وجعلته يقول فى حدة :

ـ ليس هذا من شأنك .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل هو من شأننا يا (فيليب) ، فى هذا الموقف بالذات .

سأله (فيليب) فى عصبية :

ـ أى موقف ؟!

انتبه ثلاثتهم إلى أنه لم يكن هناك ، فى معمل الدكتور (رائف) ، عندما حدث ما حدث . فقال (أكرم) :

ـ لقد تم الاتصال ، بين زميلنا (رمزى) ، وما تصوَّرناه رفيقنا القديم (محمود) ..

امتقع وجه (فيليب) ، وهو يقول :

ـ ما تصوَّرتموه ؟! ماذا تعنى ؟!

لوَّح (أكرم) بيده ، هاتفًا :

ـ لم يكن كذلك .. بل لم يكن مخلوقًا بشريًا ، أو حتى مألوفًا .

ازداد امتقاع وجه (فيليب) ، وانخفض صوته ، حتى بدا شاحبًا مبحوحًا ، وهو يسأل بصوت مرتجف :

ـ ماذا كان إذن ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ كان مخلوقًا رهيبًا ، أسود اللون ، له عينان تحتلان الثلث العلوى من جسده ، ولقد اخترق عقل (رمزى) ، و ...

لم يكن قد أتمّ عبارته ، عندما تضاعف امتقاع وجه (فيليب) ، حتى بدا أشبه بوجوه الموتى ، وتراجع بحركة تحمل رعب وذعر الدنيا كله ، وهو يهتف :

ـ لا .. مستحيل ! مستحيل !

تبادل (نور) و(أكرم) نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يسأله الأول :

ـ ماذا هناك يا (فيليب) ؟!

لوَّح الرجل بكفه ، وبدا وكأنه يحاول قول شىء ما ، إلا أن لسانه لم يسعفه ، وساقاه عجزتا عن حمله ، فتراجع مرتجفًا ، ثم ترك جسده يهوى على أقرب مقعد إليه ، وهو يدفن وجهه فى كفيه ، قائلاً :

ـ إنه ذلك الشىء نفسه .

سأله (أكرم) ، فى توتر بالغ :

ـ أى شىء ؟!

أجابه بصوت أقرب إلى الانهيار :

ـ نفس الشيء ، الذى كاد يخترق عقلى ، عندما خضعت للتجربة .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! إذن فهى ليست المرة الأولى .

أومأ (فيليب) برأسه إيجابًا ، وقال فى مرارة :

ـ ولكن الدكتور (رائف) يجهل هذا تمامًا .. بل ولا يمكن أن يتصوّر قط ما حدث .. إننى لم ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انتفض (كاظم) فجأة ، وانعقد حاجباه الكثان فى شدّة ، وهو يتراجع بحركة عنيفة ، فهتف به (فيليب) :

ـ ماذا أصابك ؟!

ولكن (كاظم) لم يجب ..

لقد رفع فوهة مسدسه فى حركة سريعة ، وصوّبه إلى (فيليب) ، و ...

وأطلق النار .

* * *

٤ ـ ذلك الشيء ..

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتى (سلوى) ، وهى تستقبل ابنتها (نشوى) ، فى حجرتها بالمستشفى ، ورفعت الصغير (طارق) بيديها ، وهى تقول فى سعادة :

ـ أرأيت ! لم يمكنهم انتزاعه منى أبدًا !

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

ـ ليس من السهل أن تنتزع منا كل قوى الأرض من نحب .

قالت (سلوى) ، وهى تضمّ ابنها إليها فى سعادة :

ـ بالتأكيد .

تأمّلتها (نشوى) بضع لحظات ، قبل أن تسألها :

ـ ترى هل شعرت بكل هذه السعادة ، عندما أنجبتنى ؟!

أجابتها (سلوى) بابتسامة حانية :

ـ أليك ذرة واحدة من الشك فى هذا .. إنك أول أطفالنا ، وأول ثمرة للحب ، الذى جمع بينى وبين (تور) .

ثم تحسّست شعرها ، مضيفة :

ـ ولكن نموّك المباغت حرمنى من التمتع بطفولتك وتطوّرك الطبيعى(*).

وعادت تحتضن (طارق) ، مكملة بابتسامة كبيرة :

ـ وربما هذا سر سعادتى الغامرة بمولد (طارق) ، فربما أعوّض معه ما حُرمت منه معك .

ابتسمت (نشوى) ابتسامتها الباهتة مرة أخرى ، مغمغمة :

ـ كم أتمنى هذا .

تطلّعت إليها (سلوى) بضع لحظات فى حيرة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى قلق عارم ، وهى تسألها :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم ٦٢

ـ ماذا هناك يا (نشوى) ؟!

وكأنما كانت (نشوى) تنتظر هذا السؤال بالتحديد ، فلم تكد تسمعه ، حتى اندفعت تروى لها كل ما لديها .. وبكل التفاصيل ..

وبارتياع شديد ، استمعت إليها (سلوى) ، قبل أن تقول فى صوت عصبى منفعل :

ـ كان ينبغى أن تخبرينى منذ البداية .

غمغمت (نشوى) فى مرارة :

ـ كنت أتصوّر أننى قادرة على معالجة الأمر ..

أجابتها (سلوى) فى حزم ، وهى تنهض من فراشها :

ـ إنها مشكلة اتصالات ، وهذا يخصنى .

هتفت بها (نشوى) فى انزعاج :

ـ ماذا تفعلين ؟!

أجابتها فى صرامة ، وهى تلتقط ثيابها :

ـ قلت لك : إنها مشكلتى .

هتفت (نشوى) :

ـ لا يمكنك تصوّر الموقف فى الخارج ، الأمطار تهطل بغزارة ، و ...

التفتت إليها (سلوى) فى حزم شديد ، وهى تقول :

ـ لقد قلتها من قبل يا (نشوى) .. ليس من السهل أن تنتزع منا كل قوى الأمر من نحب .

ثم استدارت إلى ابنها ، وداعبت أنفه بسبّابتها ، قائلة فى حنان :

ـ يبدو أنك مضطر لقضاء بعض الوقت ، فى حجرة الأطفال يا صغيرى ، فسنذهب أنا وشقيقتك للقيام بمهمة عاجلة .

واعتدلت ، مضيفة ، وقد استعادت حزمها بغتة :

ـ سننقذ والدك .

وكان من الواضح أنها لن تقبل أية مناقشة فى هذا الأمر ..

مطلقًا ..

* * *

من المؤكد أن ما أقدم عليه (كاظم) ، كان مفاجأة للجميع ..

على أى مقياس ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد تحرك (نور) بالسرعة المناسبة ، ووثب نحوه هاتفًا :

ـ ماذا تفعل أيها التعس ؟!

جاءت وثبته فى موعدها تمامًا ، فأزاح يده ، لتنطلق نيرانه إلى أعلى ، وتعبر فوق رأس (فيليب) ، الذى تراجع صارخًا :

ـ لماذا فعلت هذا ؟! لماذا فعلت هذا ؟!

اندفعت قبضة (كاظم) كالمطرقة ، لتلطم وجه (نور) فى قوة ، ألقت هذا الأخير إلى الخلف فى عنف ..

ثم عاد (كاظم) يصوّب مسدسه إلى (فيليب) ، الذى صرخ فى رعب ، وهو يلوّح بذراعيه أمام وجهه :

ـ ماذا تفعل ؟! هل جننت ؟!

وفى هذه المرة ، انقض (أكرم) ..

لقد وثب بكل خفته وسرعته وقوته ، ليصطدم بجسد (كاظم) الضخم ، صائحًا :

- هذا لو أنه عاقل منذ البداية .

كان الاصطدام قويًا عنيفًا ، ولكن (أكرم) شعر وكأنه يرتطم بجدار من الصلب ، فى حين ضغطت سبّابة (كاظم) زناد مسدسه فى حزم ..

وانطلقت الأشعة ..

وبكل رعبه ، قفز (فيليب) جانبًا ، وشعر بالأشعة تضرب الجدار ، على بعد سنتيمتر واحد منه ، فصرخ :

- لا .. هذا مستحيل !

وثب (نور) بدوره ، يتعلّق بعنق (كاظم) ، فى محاولة لمنعه من قتل (فيليب) ، فى نفس اللحظة التى أمسك فيها الحارس العملاق (أكرم) من عنقه ، وانتزعه من مكانه ، كما لو أنه ينتزع شوكة رفيعة من قدمه ، وألقى به بعيدًا ، ثم أدار يده القوية خلف ظهره ، وأمسك عنق (نور) ، وجذبه بقوة هائلة ، ليضرب به الأرض فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسد (نور) بالأرض ، وثب (كاظم) إلى الأمام ، ورفع فوهة مسدسه مرة أخرى ، وهو يطارد (فيليب) ، و ...

وانطلق خيط من الأشعة ..

وأصاب الهدف ..

انطلق من مسدس (نور) ، وأصاب مسدس (كاظم) ..

ثم أطاح به فى قوة ..

وانطلقت من حلق العملاق زمجرة مخيفة ، إلا أنه لم يحاول حتى الالتفات إلى (نور) ، وإنما وثب نحو (فيليب) ، وأمسك معطفه بأصابع من الفولاذ ..

واستدار (فيليب) يواجهه ..

ولكن العجيب أنه لم يكن يرتجف ذعرًا هذه المرة ..

بل لم يكن يحمل ذرة واحدة من الخوف ..

كان وكأنما تحوّل إلى شخص آخر تمامًا ، وهو يبتسم فى سخرية ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ، وهو يقول :

- لقد فقدت سلاحك يا رجل .. وهذا يصنع فارقًا ضخمًا..

لم يبد على (كاظم) أنه حتى قد سمع ما قاله (فيليب) ، فقد ارتفعت قبضته حتى آخرها ، لتهوى على هذا الأخير ، و ...

ولكنها فجأة ، تجمّدت فى الهواء ..

وتألّقت عينا (فيليب) بشدّة ، وهو ينظر إلى عينى الحارس العملاق مباشرة ..

واتسعت عينا (كاظم) ، فى ارتياع عجيب ..

وانطلقت من حلقه زمجرة عصبية ..

عصبية للغاية ..

وفى بطء عجيب ، انخفضت قبضته ، وهى ترتجف بشدّة ، وكأنما تخفضها قوة هائلة ، تفوق إرادته بكثير ..

وتألّقت عينا (فيليب) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى توتر بالغ ، نهض (أكرم) ، قائلاً :

- ماذا يحدث ؟!

أجابه (نور) ، وهو ينهض فى سرعة ، ويلتقط مسدسه الليزرى :

- إنه صراع قوة يا صديقى .. صراع بين عقل وعقل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انتفض جسد (كاظم) فى عنف ، وانطلقت من حلقه زمجرة أقوى من كل مرة ..

ثم هوت قبضته على فك (فيليب) ..

بمنتهى العنف ..

وانتزعت اللكمة (فيليب) من مكانه ، وخبا معها بريق عينيه ، وهو يندفع إلى الخلف ، حتى يرتطم بالجدار فى عنف ..

وقبل حتى أن يسقط أرضًا ، كان (كاظم) ينقضّ عليه مرة أخرى ، وينتزعه من مكانه ، و ...

وانطلقت رصاصة (أكرم) ..

انطلقت لتخترق فخذ (كاظم) اليسرى ..

واختلّ توازن العملاق ..

وسقط ..

ولكن أصابعه الفولاذية لم تفلت (فيليب) لحظة واحدة ..

لقد تشبّثت به بقوة أكثر ، وجذبته معه ، ليسقط الاثنان أرضًا فى عنف ..

وبكل قوته ، لكمه (كاظم) ثانية ..

وهتف (أكرم) ، وهو يندفع نحوهما :

- رباه ! إنه مصرّ بشدة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

- من المؤكد أن له أسبابه .

انقضّ الاثنان على (كاظم) ، وأمسكا به بشدة ، فى محاولة لمنعه من الاعتداء على (فيليب) بهذه القسوة ..

ولكن (كاظم) كان شرسًا عنيفًا ، إلى حد يفوق الوصف ..

لقد قاوم بوحشية شديدة ، ولطم (نور) فى صدره لطمة عنيفة ، وهو يركل (أكرم) فى معدته ، على الرغم من إصابته ..

ثم استدار يلكم (فيليب) مرة ثالثة ..

وفى هذه المرة ، اندفع جسد (فيليب) ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضًا ..

وهتف (نور) :

- رويدك يا (كاظم) .. أخبرنا ما لديك أولاً ، ثم ...

-قبل أن يتمّ عبارته ، وقعت عيناه على ذلك المشهد ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

واحتبست الكلمات فى حلقه ..

وهتف (أكرم) :

- يا إلهى !

فأمام عيون ثلاثتهم ، كان (فيليب) يتلوى ألمًا ، ويمسك جانبى رأسه بكفيه ، وهو يطلق صرخات عجيبة ..

ومن جبهته ومحيط رأسه ، كان ينساب سائل أسود .. سائل لزج مخيف ..

وتراجع (نور) فى توتر بالغ ، وهو يهتف :

- إذن فهنا يختبىء ذلك المخلوق !!

كرّر (أكرم) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (كاظم) ، فلم يكد الرجلان يبتعدان عنه ، حتى وثب من مكانه ، وتجاهل الدماء التى تسيل من فخذه اليسرى ، وهو يختطف مسدسه ، ويرفعه فى سرعة ، نحو (فيليب) مباشرة ..

ثم يطلق الأشعة القاتلة ..

وفى هذه المرة ، اخترقت أشعة مسدسه صدر (فيليب) ، واقتلعته من مكانه ، ليطير جسده مترين إلى الخلف ، ثم يرتطم بالجدار ، وهو يطلق صرخة رهيبة ..

صرخة غير آدمية على الإطلاق ..

صرخة هى مزيج من فحيح الأفاعى وعواء الذئاب ..

ولكن جسده لم يسقط ..

كانت الدماء تنزف من صدره فى غزارة ، وذلك السائل اللزج يندفع من رأسه على نحو مخيف ، ولكنه لم يسقط ..

لقد بدا وكأنما التصق ظهره بالجدار ، فثبته فى موضعه ..

لذا ، فقد أطلق (كاظم) أشعته مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وتفجّرت الدماء من رأس (فيليب) ، وصدره ، وعنقه ..

ثم تردّدت فى المكان صرخة مخيفة ..

صرخة لم تنطلق من (فيليب) هذه المرة ..

بل من ذلك الكائن الأسود الرهيب ، الذى برز من جسده ، ووقف يواجه ثلاثتهم بنظرة غاضبة متحدية ، بعينيه الضخمتين البارزتين ..

ورفع (كاظم) فوهة مسدسه مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، صرخ (تور) :

ـ كلا .. إصابته سوف ..

ولكن سبّابة (كاظم) سبقت صرخته ..

وضغطت الزناد ..

وانطلق خيط الأشعة ..

وأصاب ذلك الكائن الرهيب ..

وتفجّر السائل الأسود اللزج ، وتناثر على الأرض والجدران ، والكائن يطلق صرخة ألم غاضبة ، ثم يندفع نحو لوحة الكهرباء الرئيسية ..

وأطلق (كاظم) أشعة مسدسه مرة أخرى ..

ولكن الأشعة تجاوزت الكائن ، وهو يثب نحو لوحة الكهرباء الرئيسية ..

وتفجّر السائل الأسود اللزج ، وتناثر على الأرض والجدران ، والكائن يطلق صرخة ألم غاضبة ..

ودوت فرقعة عنيفة فى المكان ..

وانبعثت شرارات كهربية قوية ..

وسحابة من الدخان الكثيف ..

ثم اختفى الكائن تمامًا ..

وهنا .. هنا فقط ، سقط (فيليب) ..

جثة هامدة ..

وزمجر (كاظم) فى غضب ، وكأنما أحنقه أن يفلت منه ذلك الكائن الرهيب ، فى حين اندفع (نور) نحو لوحة الكهرباء الرئيسية ، وهتف :

ـ فات الوقت ..

ثم انحنى يفحص (فيليب) ، ليضيف فى مرارة :

ـ لقد لقى مصرعه .

ثم التفت إلى (كاظم) مستطردًا فى غضب :

ـ أنت قتلته .

زمجر (كاظم) ، على نحو يوحى باللامبالاة ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه ، ولكن (أكرم) هتف :

ـ تلك البقع .. ستبرز منها الكائنات الشبيهة بالعقارب بعد قليل .

ألقى (كاظم) نظرة على بقع السائل الأسود اللزج ، التى تناثرت فى كل مكان ، ثم انتزع من سترته قاذفة اللهب الصغيرة ، وهو يشير إلى (نور) بالابتعاد ، فهتف هذا الأخير فى غضب مرير :

ـ كانت هناك ألف وسيلة ووسيلة ، بخلاف القتل .

ألقى (كاظم) نظرة على جثة (فيليب) ، ثم هزّ رأسه فى بطء ، قبل أن يوجّه قاذفة اللهب الصغيرة إلى بقع السائل الأسود ..

وانطلقت ألسنة اللهب ..

ومع الصوت المنبعث ، والدخان الكثيف ، تراجع (أكرم) ، هاتفًا :

ـ يبدو أنك قد نسيت أنك تتحدّث إلى جدار من الصخر يا (نور) .

قال (نور) فى حدة :

ـ أنت تعلم كم أبغض القتل ..

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- أعتقد أنه لم يكن هناك حل آخر .

قال (نور) فى مرارة :

- من يدرى ؟!

ثم عاد يتطلّع إلى جثة (فينيب) ، مستطردًا :

- ربما دفع هذا المسكين حياته ، دونما ذنب جناه .

غمغم (أكرم) :

- ذنبه الوحيد هو أن ذلك الكائن قد وجد ملاذه فى جسده .

قال (نور) :

- هذا صحيح .

ثم التفت إلى (كاظم) فى صرامة ، متسائلاً :

- السؤال الوحيد هو : كيف كشفت هذا يا (كاظم)؟!

أتاه الجواب من بداية الممر :

- لقد قرأ أفكاره .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت فى سرعة ..

ثم اتسعت عيونهم عن آخرها ..

فقد كانت المفاجأة مدهشة ..

مدهشة بحق ..

* * *

جفّفت (سلوى) وجهها بمنشفة زاهية الألوان ، قبل أن تلقيها جانبًا ، وتجلس أمام الكمبيوتر الخاص بها ، مغمغمة :

- إنه طقس رديء بالفعل .

قالت (نشوى) ، وهى تجلس إلى جوارها :

- يقولون إنه أسوأ طقس عرفته البلاد ، منذ ربع قرن على الأقل .

سألتها (سلوى) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

- هل تنبأوا بموعد توقّف سقوط الأمطار ؟!

أومأت برأسها ، قائلة :

- ثلاث مرات .. ولكن تنبؤاتهم تخطئ فى كل مرة .

مطّت شفتيها ، مغمغمة :

- يبدو أن الأمر يتجاوز قدراتهم هذه المرة .

ثم أضافت فى حزم :

- ولكن دعينا منهم ، ولنقم نحن بعملنا .

اتجهت أصابع (نشوى) إلى الكمبيوتر ، وهى تقول :

- الأفضل أن نبدأ بمراجعة ما سجلته صور الأقمار الصناعية الأخيرة .

أضافت رقم البرنامج ، وشفرة الدخول إلى ملف الأمن ، الخاص بأقمار المراقبة الصناعية ، فتراجعت (سلوى) ، متمتمة :

- هذا أفضل بالتأكيد .

بدأت الصور تتوالى على الشاشة ، فوضعت (نشوى) إحداثيات فيلا الدكتور (رالف) ، و ...

وبرزت صور الأقمار الصناعية الأخيرة ..

وانعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، وهى تقول :

- عجبًا ! كنت تقولين : إنها مجرد دائرة بيضاء ؟!

تطلّعت (نشوى) إلى الصور ، مغمغمة :

- أليس هذا ما يبدو لك ؟!

هزّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وقالت :

- كلاّ .. فى الصور الحديثة لا يوجد نطاق طاقة فحسب ، ولكن هناك قوة ما ، أمكنها تجاوز ذلك النطاق .

هتفت (نشوى) :

- مستحيل ! المفترض ألا تتمكّن أية طاقة من النفاذ ، عبر ذلك الحاجز الدائرى !

أومأت (سلوى) برأسها ، قائلة :

- هذا ما تصوّرته أنا أيضًا ، ولكن يبدو أن تلك القوة عاتية للغاية ، حتى إنها استطاعت اختراقه ، لتصنع فى منتصف الدائرة البيضاء ذلك التكوين الأصفر الباهت غير المنتظم .

مالت (نشوى) نحو الشاشة ، لتلقى نظرة أكثر قربًا على الصورة ، قبل أن تقول فى توتر :

ـ ربّاه ! هذا صحيح !

ثم اعتدلت ، متسائلة فى توتر أكثر :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

صمتت (سلوى) بضع لحظات ، قبل أن تجيب ، فى صوت حمل قدرًا كبيرًا من التوتر والانفعال :

ـ لست أدرى .

ثم أضافت ، وهى تشير إلى الشكل الأصفر الباهت غير المنتظم ، فى منتصف الدائرة البيضاء :

ـ ولكنها قوة هائلة .. قوى تكفى لـ ...

صمتت لحظة أخرى ، ثم استطردت فى عصبية :

ـ للتدمير .. وبلا حدود .

ارتجف جسد (نشوى) وصوتها ، وهى تقول :

ـ ربّاه ! إذن فمخاوفى كلها كانت على حق .

ثم تشبّثت بأمها ، مستطردة فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لا بد أن ننقذهم يا أمى .. لا بد .

ربّتت (سلوى) على كف ابنتها ، وهى تقول :

ـ لن ندخر وسعًا ، فى سبيل هذا يا بنيتى .

قالتها ، وعادت أصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر ، وعقلها يطرح تساؤلاً واحدًا متكررًا :

ـ ترى هل يمكنها حقًا إنقاذ (نور) و(رمزى) و (أكرم) ، من تلك القوة المدمرة الرهيبة ؟!

هل ؟!

* * *

لثوان ، حدّق (نور) و(أكرم) بدهشة بالغة ، فى (رمزى) ، الذى يقف أمامهما ممشوق القامة ، وافر الصحة ، متورّد الوجه ، وكأنما لم يمر بتجربة عنيفة رهيبة ، منذ أقل من ساعة واحدة ..

وفى حزم شديد ، واجه (رمزى) (كاظم) ، قائلاً :

ـ إننى محق .. أليس كذلك ؟!

أومأ (كاظم) برأسه إيجابًا فى بطء ، وأشار إلى جثة (فيليب) ، ثم لوّح بسبّابته ، فقال (رمزى) فى حزم :

- نعم .. أعلم أنه كان جاسوسًا .

هتف (أكرم) فى ذهول :

- جاسوس ؟! (فيليب) كان جاسوسًا ؟!

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

- حمدًا لله على سلامتك يا (رمزى) .. ولكن كيف عرفت كل هذا ؟!

أدار (رمزى) عينيه إليه فى بطء ، وهو يجيب ، مشيرًا بسبابته إلى رأسه :

- عقلى لم يعد كما كان يا (نور) .

هتف به (أكرم) فى لهفة :

- ولكن كيف؟! كيف عدت إلى وعيك بهذه السرعة؟!

أضاف (نور) ، فى بطء حازم :

- وكيف استعدت صحتك أيضًا ؟!

تنهد (رمزى) فى قوة ، وهزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لست أدرى .. لقد استعدت وعيى فجأة ، وأشعر بتلك الطاقة الهائلة فى عقلى ، وبمعرفة عجيبة تملأ كيانى ، ولكننى أجهل كيف أتيت ، و ...

وحمل صوته شيئًا من الانفعال ، وهو يضيف :

- ولماذا ؟!

بدت دهشة حائرة على وجه (أكرم) ، فى حين انعقد حاجبا (نور) أكثر وأكثر ، وهو يقول :

- يبدو أنه هناك الكثير ، مما ينبغى أن نعلمه ، قبل أن تبدأ مواجهة جديدة ، بيننا وبين ذلك المخلوق الرهيب .

ثم التفت إلى (كاظم) ، مستطردًا فى صرامة شديدة :

- وأوّل ما ينبغى أن نعلمه هو من أنت بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (كاظم) فى شدة ، وبدت ملامحه أشد جمودًا عن ذى قبل ، فتابع (نور) بنفس الصرامة :

- ما الذى تفعله هنا بالضبط ؟! ما الذى كان يتحدث عنه الدكتور (رالف) بشأنك ؟! كيف تسللت عملك هنا ؟! لماذا زرعت أعمدة الطاقة حول الفيلا ؟! ، و ....

قاطعه صوت (رمزى) ، وهو يهتف بدهشة كبيرة :

- يا إلهى !

استدار إليه (نور) ، بنظرة عصبية متسائلة ، فتابع ، مشيرًا إلى (كاظم) ، والدهشة تتفجّر من كل خلية من خلاياه :

- لن يمكنك أن تصدّق هذا يا (نور) .. لن يمكنك أن تصدّق أبدًا من هذا الرجل .

هتف (أكرم) فى عصبية :

- ولماذا ؟!

وفى صمت ، ودون أن ينبس بحرف واحد ، أخرج (كاظم) من جيبه بطاقة ، وناولها لـ (نور) ، الذى لم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى هتف فى ذهول :

- مستحيل !

وقد كان على حق فى ذهوله ..

على حق تمامًا .

* * *

٥ - رجل المخابرات ..

واصلت الأمطار الغزيرة انهمارها ، حتى الساعة الثانية عشرة على التوالى ، وتوقفت الحياة تمامًا فى (مصر) كلها تقريبًا ، من أقصاها إلى أقصاها ، وتعاطف البحر مع السماء ، فراح يزبد ويرغى ، وارتفعت أمواجه الغاضبة ، لتضرب الشواطئ برمالها وصخورها فى عنف ، واختفت الشمس خلف غلالة سميكة من السحب ، على نحو لم يسبق له مثيل ..

ووسط كل هذا ، وفى قاع البحر المتقلب ، راح اثنان من رجال الضفادع البشرية ، التابعين لكوماندوز القوات البحرية ، يسبحان فى قوة ، متحدين كل المصاعب والعوائق ..

كان التيار القوى يبذل قصارى جهده ، لسحبهما إلى الأعماق ، فى حين كان المحركان القويان ، اللذان التفا حول وسطيهما ، يدفعانهما إلى الأمام ..

وبصعوبة بالغة ، راحا يقتربان من الشاطئ ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وعندما اقتربا من صخوره ، أبدل التيار رأيه ، وراح يدفعهما إلى الأمام فى قسوة ، وكأنما يدفعهما دفعًا إلى الارتطام بالصخور ، والتحطم فوقها بمنتهى العنف ..

ولكن الرجلين كانا من المحترفين حقًا ..

لذا فقد قاوما ..

وقاوما ..

وقاتلا ..

بمنتهى القوة ..

والعزم ..

والحزم ..

والإصرار ..

وأخيرًا ، بلغا صخور الشاطئ ..

كان كلاهما يلهث فى شدة ، ويشعر بإرهاق عنيف ، فى كل خلية من خلاياه ، ولكنهما لم يتوقفا لحظة واحدة لالتقاط أنفاسهما ..

لقد استلقيا على الصخور ، وأخرج كل منهما منظارًا مقربًا خاصًا ، وراحا يفحصان الفيلا فى اهتمام مدرب ..

« كل شىء يبدو هادئًا .. »

غمغم أحدهما بالعبارة فى توتر ، وهو يراقب الموقف ، فأجابه زميله فى لهجة قوية ، حملت منتهى الحزم :

ـ من الخارج فحسب يا رجل .

سأله الأول :

ـ ومن أدراك ؟!

أجابه بحزم أكثر :

ـ ومن أدرانا بالعكس ؟!

هز الأول كتفيه ، وقال :

ـ أنهم أرسلونا إلى هنا .

مطَّ زميله شفتيه ، وغمغم :

ـ منطق معقول .

ثم أشار بيده ، قائلاً فى اهتمام :

ـ هل ترى تلك الأعمدة الرفيعة ، التى تحيط بالفيلا ؟!

أومأ الأول برأسه ، مجيبًا :

ـ إنه نطاق الطاقة ، الذى أخبرونا عنه .

مطَّ زميله شفتيه مرة أخرى ، ثم التقط جهاز الاتصال المحدود ، وضغط زره ، قائلاً :

ـ من أسماك القرش إلى القيادة .. كل شىء يبدو هادئًا من الخارج ، ونطاق الطاقة على مسافة ثلاثمائة متر منا .. سنقترب من الهدف .

أتاه صوت الفريق (يسرى) شخصيًا ، يقول :

ـ من القيادة إلى أسماك القرش .. اقتربا بحذر من الهدف .. نريد تقريرًا كل مائة متر .. لا تتجاوزا نطاق الطاقة ، إلا بعد الحصول على أوامر مباشرة .

غمغم الرجل :

ـ علمٌ وسينفذ .

ثم خلع زعافتى قدميه ، ودسهما فى تجويف ضيق بين الصخور ، وتبعه زميله فى هذا ، قبل أن يحمل كل منهما مسدسه ، المزود بجهاز تعرُّف خاص ، ويتجها نحو الفيلا ..

كان كل شىء يوحى بالهدوء بالفعل ، وهما يقتربان منها ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

« مائتا متر على الهدف ، وكل شىء على ما يُرام ..»

نطقها أحد الرجلين فى حزم ، فأتاه صوت قائد القوات البحرية ، يقول :

ـ واصل الطريق ..

اقتربا أكثر وأكثر .. وأشار أحدهما إلى الآخر ، فتوقفا تحت الأمطار المنهمرة ، وعادا يفحصان الفيلا

بمنظاريهما ، قبل أن يقول الأول ، عبر جهاز الاتصال :

ـ مائة متر على الهدف .. نطلب الإذن بالاقتحام ..

أتاه صوت الفريق (يسرى) :

ـ ليس الآن .. واصلا التقدُّم فحسب .

قال الرجل فى توتر :

ـ يمكننا رصد كل شىء من هنا .. نطلب الإذن بـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما انغرست أصابع زميله فى ذراعه ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! انظر هناك .

رفع عينيه بنظرة حادة ، إلى حيث أشار زميله .. ولكنه لم يلمح شيئًا ..

الأمور كلها كانت على نفس الهدوء والسكينة .. باستثناء الأمطار المنهمرة بالطبع ..

وعبر جهاز الاتصال المحدود ، هتف الفريق (يسرى) :

- ماذا حدث يا أسماك القرش ؟!

استدار الرجل إلى زميله بنظرة غاضبة ، فتمتم فى توتر شديد ، وهو يلوّح بسبّابته ، نحو فناء الفيلا :

- إنه .. لقد .. أعنى ..

ثم هزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :

- لا .. لن يمكنك أن تصدقنى .

انعقد حاجبا الأوّل ، فى صرامة غاضبة ، وهو يجيب قائد القوات البحرية :

- لا شىء يا سيّدى .. مجرّد خداع بصرى .

أجاب الفريق (يسرى) فى صرامة :

- الوقت أضيق من أن نضيعه فى خداعات بصرية يا رجل .. نريد الحقائق فحسب .. هل تفهم ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

- أفهم يا سيّدى .. الحقائق مجرّدة .

ثم أنهى الاتصال ، واستدار يسأل زميله فى حنق :

- ما معنى هذا بالضبط ؟!

كان الرجل شاحبًا ممتقعًا ، وهو يقول :

- لقد رأيته .. هناك .. عند تلك الأعمدة .. داخل نطاق الطاقة !

هتف به زميله فى حدة :

- ما الذى رأيته ؟!

ازداد وجهه شحوبًا وامتقاعًا ، وهو يجيب :

- شىء أسود مخيف ، برز من وسط المياه ، التى تغرق الفناء ، ثم ...

لم يستطع إتمام عبارته ، من فرط الانفعال ، فهتف به زميله :

- ثم ماذا ؟!

قلب الرجل كفيه ، قائلاً فى توتر بالغ :

- ثم اختفى .

ردّد زميله فى دهشة :

- اختفى ؟!

ثم أضاف فى غضب :

- كنت على حق إذن .. إنه مجرّد خداع بصرى .

قال الأوّل فى عصبية :

- لم يكن كذلك .

أجابه فى صرامة :

- بل هو كذلك .

ثم مضى فى طريقه ، متجهًا نحو نطاق الطاقة ، مضيفًا :

- ويمكننا أن نلقى نظرة عن قرب ، للتأكّد .

هتف به الأوّل :

- حذار .. الأوامر ألا نتجاوز نطاق الطاقة وحدنا .

أجابه زميله :

- سأثبت لك أنه خداع بصرى فحسب .

بدا توتر شديد على الرجل ، وزميله يتجاوز نطاق الطاقة بالفعل ، ثم يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يستدير إليه ، ويفرد ذراعيه على جانبيه ، قائلاً :

- أرأيت .. لا يوجد شىء .. مجرّد خد .....

بتر عبارته دفعة واحدة ، مع ذلك الانفعال العنيف ، الذى ارتسم فجأة على وجه الأوّل ، الذى تراجع فى حركة حادة ، وسحب مسدسه فى سرعة وعصبية ، فهتف به :

- ماذا حدث ؟!

لم يكن حتى قد أتمّ عبارته ، عندما انطلقت تلك الزمجرة من خلفه ..

زمجرة هى أشبه بقحيح ألف ثعبان ، تتصارع مع قطيع من الذئاب الوحشية الجائعة ..

واستدار بأقصى سرعته ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ، وزميله يصرخ ، بكل انفعال الدنيا :

- ابتعد يا رجل .. ابتعد ..

وأمام عينيه مباشرة ، رأى جسمًا أسود رهيبًا ينهض ، والماء يسيل من كل جزء منه ..

ثم اخترقت مخالب حادة كنصال السيوف صدره ، على نحو جعله يطلق شهقة ألم هائلة ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، جذبه ذلك الكيان الأسود الرهيب .

وغاص معه فى المياه ، التى ارتفعت لنصف المتر تقريبًا ، فى الفناء كله ..

وبكل انفعاله وعصبيته ، راح الأول يطلق النار ، صارخًا :

ـ لا .. لا .. لا ..

كان واحدًا من أفضل رجال الضفادع البشرية فى العالم أجمع ..

ولكن ما رآه يحدث أمامه كان مخيفًا بحق ..

وبكل المقاييس ..

لذا فقد انفلتت أعصابه تمامًا ، وهو يطلق خيوط الأشعة ..

ويطلقها ..

ويطلقها ..

ولكن دون هدف واحد ..

لقد اختفى الهدف مع فريسته تحت الماء ..

ومن موضع اختفائهما ، تفجّر نهر من مادة لها لون أحمر قان .

لون الدم ..

* * *

« (كاظم) يعمل لحسابكم .. »

تطقها الدكتور (رانف) فى هدوء عجيب ، وهو يجلس على مقعده المتحرك ، داخل معمله الخاص ، ويدير عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويتابع :

ـ ويمكنكم أن تقولوا : إنه المسئول عن كل ما أفعله الآن .

سأله (نور) فى اهتمام متوتر :

ـ وكيف هذا ؟!

لوّح بكفه ، مجيبًا :

- (كاظم) كان مجرّد حالة ، تم عرضها على مركز الأبحاث العلمية ، منذ أكثر من ربع القرن .. حالة هى نتاج الاستخدام غير المسئول ، لأحد العقاقير الجديدة ، قبل أن يخضع لاختبارات كافية ..

قال (رمزى) :

- أتعنى أن ما أصابه هو تحوّر جنينى ؟!

أومأ العالم برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .. والدته (رحمها الله) تناولت عقارًا جديدًا ، ابتكره زوجها ، عالم الأدوية والعقاقير الراحل ، وكان المفترض منه أن يقوّى مناعتها ، وقدرتها على الحمل ، باعتبار أنهما قد عجزا لعشر سنوات عن الإنجاب ، بسبب ضعف جهازها الأنثوى ..

وزفر فى حرارة ، متابعًا :

- كان (رحمه الله) واثقًا تمامًا من نجاح عقاره ، وشديد اللهفة إلى إنجاب ابن يرثه ، حتى إنه لم يتبع الإجراءات المعتادة ، ولم يُخضع العقار للتجارب والمشاهدات الكافية .

كان (كاظم) يقف صامتًا كتمثال من حجر ، والعالم يواصل :

- ولقد نجح العقار فى شقه الأساسى ، واكتمل حمل الزوجة لأوّل مرة ، وبدت كل فحوصاتها وتحاليلها سليمة .. حتى حانت لحظة الوضع .

وألقى نظرة على (كاظم) ، حملت الكثير من الحنان المشفق ، قبل أن يستطرد :

- لم يبك (كاظم) ، كما يفعل معظم الأطفال ، وإنما ظل صامتًا ، هادئًا أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لوليد حديث ، حتى إن الأطباء قاموا بفحصه مرتين ، للتأكد من كونه على قيد الحياة ، قبل أن يشير تقريرهم إلى احتمال إصابته بتخلُّف عقلى دائم ، أو ما نطلق عليه اسم العته المنغولى ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- ولكن الطفل كان ، على عكس تصوراتهم تمامًا عبقرية فذة نادرة ، لا يمكن أن تتواجد بصورة

طبيعية . فقد تعرّف أمه وأباه فى وضوح ، فى الشهر الثانى من العمر ، وبدأ خطواته الأولى ، فى شهره الثامن ، وأمكنه تعرّف الصور والأشياء ، دون أية أخطاء تقريبًا ، فى عامه الأوّل .

غمغم (أكرم) فى حيرة :

ـ أيطلقون على هذا اسم عبقرية ؟!

تابع العالم ، وكأنه لم يسمعه ، وإن اكتسى صوته برنة أسى هذه المرة :

ـ ولكن الطبيعة لم تكن سخية معه ، على الرغم من هذا ، فمع ما منحته إياه من ذكاء خارق ، وقدرة مدهشة على التطوّر ، حرمته من الأعصاب الخاصة بالألم والكلام .. وهكذا نشأ الصغير صامتًا ، منعزلاً ، غير قادر على التفاعل مع العالم من حوله .

ثم تألّقت عيناه بغتة ، وهو يضيف :

ـ حتى كشف والده فجأة قدراته الخارقة .

غمغم (رمزى) :

ـ الاتصالات العقلية .

هتف الدكتور (رائف) :

ـ بل قل : فيض من القدرات العقلية المدهشة .

لقد كان قارئًا رائعًا لأفكار الآخرين ، ولديه قدر
محدودة على تحريك الأشياء عن بُعد ، دون لمسها
ويمتلك خاصية مدهشة على استقبال ذاكرة الآخرين
بمجرّد وضع أصابعه على رءوسهم ، وقدرات أخر
بلا حدود ، احتاجت إلى ست صفحات كاملة لوصف
فحسب .

حدّق (أكرم) فى (كاظم) ، مغمغمًا :

ـ هذا الـ ... الرجل ؟!

أجابه الدكتور (رائف) ، بلهجة حملت الكثير من
الزهو :

ـ نعم يا سيّد (أكرم) .. هذا الرجل ، الذى يب
أشبه بالغوريلا ، كما وصفته من قبل ، هو عبقر
نادرة مذهلة ، حسبما أثبتت الدراسات التى قمت ب
شخصيًا ، طوال ربع قرن كامل .

قال (نور) فى توتر :

- ولكنه هنا كحارس خاص فحسب .

أجابه الدكتور (رائف) :

- ليس كما تتصورون .. إنه هنا كحارس خاص بإرادته الشخصية ، وليس كعمل مسند إليه ، فخلال تجاربنا ، واتجاهي إلى دراسة القدرات العقلية المتطورة ، نشأت بيني وبينه رابطة أبوية خاصة ، تضاعفت بشدة ، بعد وفاة والديه في حادث سيارة ، منذ خمسة عشر عامًا ، مما جعله يعتبرني عائلته الوحيدة ، ويرفض الابتعاد عني تمامًا ، ثم إنني كنت أحتاج إليه بشدة ، بعد أن فقدت القدرة على الحركة ، وانعزلت هنا ، لأواصل تجاربي الخاصة بتقوية قدرات العقل البشري ، والتي ما كنت لأتجه إليها ، لولا ارتباطي الأولي به .

سأله (نور) في حزم :

- وما صلة هذا بعمله في المخابرات العلمية ؟!

هز الدكتور (رائف) كتفيه ، وقال :

- أنت تعرف مخابراتكم .. لم تكن لتترك مثله أبدًا ، دون أن تسعى لضمه إليها ، والاستفادة من قدراته النادرة .

قال (نور) مستنكرًا :

- في حراسة شخصية .

هز الدكتور (رائف) رأسه ، قائلاً :

- هذا ما كنت أتصوره أيضًا ، حتى أخبرتموني بأمر انقطاع الاتصالات .. عندئذ فقط أدركت أنه لم يكن هنا كحارس شخصي فحسب ، وإنما كرجل مخابرات متطور ، يعمل على حمايتي ، ومراقبة مساعدي الجاسوس في الوقت ذاته ..

وألقى نظرة متعاطفة أخرى على (كاظم) ، قبل أن يتابع :

- ومن المؤكد أن مخابراتكم هي التي كلفته مهمة قطع الاتصالات ، خلال إجراء تجاربي ، حتى لا يتسرب سرها خارج المكان .

قال (أكرم) مستنكرًا :

ـ ولكن مساعدك نفسه كان جاسوسًا ، يطلع على أدق دقائق تجاربك ، ومن المؤكد أنه أرسل كل ما لديه للجهة التى كان يعمل لحسابها .

تحرك (كاظم) فجأة ، وفتح درجًا سريًا ، فى دولاب الأدوات ، والتقط منه كومة من أسطوانات الكمبيوتر المبرمجة الصغيرة جدًا ، وألقاها عند قدمى (نور) ، الذى هتف :

ـ يا إلهى ! أكنت تحصل على كل ما يرسله ؟!

ظلت ملامح (كاظم) جامدة ، وهو يتطلع إلى (نور) ، فى حين غمغم (رمزى) :

ـ بالضبط .

استدار إليه (نور) ، وسأله فى اهتمام ، وهو يشير إلى (كاظم) :

ـ هل يمكنك قراءة أفكاره ؟!

أومأ (رمزى) برأسه ، مجيبًا :

ـ بمنتهى السهولة .

أجابه الدكتور (رائف) :

ـ هو يسمح لك بهذا .

التفت إليه (رمزى) ، قائلاً :

ـ هل تعتقد أنه قادر على منعى من قراءة أفكاره ، بعد تلك القدرات العقلية التى اكتسبتها ؟!

أشار الدكتور (رائف) إلى (كاظم) ، قائلاً :

ـ حاول قراءة أفكاره الآن .

استدار (رمزى) إلى (كاظم) ، وتطلع إليه بضع لحظات فى صمت ، أطلت بعدها الحيرة من عينيه وهو يتمتم :

ـ ربّاه ! هذا صحيح .

هتف (أكرم) فجأة فى عصبية :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكننى أجهل ما أصابكم جميعًا ، منذ بدأت هذه المأساة الدرامية ، فالكل ينهمك فى مناقشات علمية وفلسفية ، دون أن يبالى أحد بوجود كائن رهيب طليق ، أحضرناه من عالمه الشيطانى

رأسًا إلى عالمنا ، والله (سبحانه وتعالى) يعلم ، ما يمكن أن يفعله به .

تبادل الثلاثة نظرة متوترة ، قبل أن يقول (نور) ، وهو يتحسّس مسدسه الليزرى :

ـ أنت على حق يا (أكرم) .. لست أدرى كيف تجاهلنا هذا .

ارتجف صوت (رمزى) فى انفعال ، وهو يقول :

ـ ذلك الشىء خدعنا يا (نور) ، واستغلّ رغبتنا فى استعادة (محمود) ، ليخترق عقلى إلى عالمنا ، ويعيث فيه الفساد .

تردّد الدكتور (رائف) لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ ليس بالضرورة .

التفت إليه (رمزى) ، قائلاً فى حدة :

ـ ماذا تعنى ؟! هل تريد أن تقول : إن ذلك الكائن البشع يمكن أن يسعى لصالحنا ؟!

تردّد الدكتور (رائف) لحظة أخرى ، ثم قال بنفس الحذر :

ـ كل كائنات الكون فيها الصالح والطالح .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ وهل رأيت فيما فعله بنا صالحًا ؟!

صمت الدكتور (رائف) لحظة ، قبل أن يجيب ، فى بطء شديد :

ـ ما فعله بنا ، ذلك الذى هاجمنا ، لم يكن صالحًا بالتأكيد .

هتف به (رمزى) فى انزعاج :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟! هل تحاول الإشارة إلى أننا نواجه كائنين لا واحدًا ؟!

أجابه العالم فى حزم مباغت :

ـ دون أدنى شك .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ إنه على حق تمامًا يا رفاق .. ما قاله (فيليب) قبل موته ، يؤكد هذا تمامًا .

هتف (رمزى) :

ـ ولكن كيف ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ عندما استمع (فيليب) إلى وصفنا للكائن الأسود ، كاد ينهار فى رعب وارتياع ، مؤكدًا أنه يدرك ما نتحدث عنه جيدًا ، فى حين أنه لم ير ما واجهناه فى المعمل ، وهذا يعنى أنه قد واجه شيئًا مماثلاً ، فى تجربة تقوية قدراته العقلية السابقة .. لقد حدث اتصال بينه وبين كائن أسود آخر ، نجح فى اختراق عقله ، ولكنه لم يتجاوزه إلى الخارج ، كما فعل قرينه ، وإنما استقر داخل خلاياه وكيانه ، حتى حانت اللحظة المنشودة ، فنزع نفسه من سجنه ، والدفع بكل شراسته ووحشيته نحونا .

هتف (أكرم) :

ـ وماذا عن الآخر ؟!

أشار (نور) بيده ، وهو يقول فى توتر :

ـ فى مكان ما حولنا .

تطلع إليهم الدكتور (رانف) بملامح خاوية ، وتطلع إليه (كاظم) لحظة ، ثم ندت منه حركة ، توحى بأنه سيغادر مكانه ، إلا أنه لم يلبث أن استعاد جموده ، وعاد يقف فى الركن كتمثال من حجر ، دون أن يرفع عينيه عن العالم ، فى حين سأل (أكرم) (رمزى) فى اهتمام :

ـ وماذا عن تلك القدرات العقلية ، التى تتحدث عنها ؟! ألا يمكنك أن تعرف موقع الكائنين ؟!

تطلع إليه (رمزى) فى دهشة ، قائلاً :

ـ هذا لم يخطر حتى ببالى .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ ولكن لم لا ؟!

سأله الدكتور (رانف) فى اهتمام :

كان (رمزى) يقف ثابتًا فى مكانه ، وهو يعتصر عقله فى بطء ، محاولاً إتمام ذلك الاتصال الجديد ..

ـ هل تعتقد أن باستطاعتك هذا ؟!

أشار (رمزى) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ أنسيت أنه قد خرج من عقلى ؟!

وأغلق عينيه ، مضيفًا فى حزم :

ـ لا ريب فى أن هذا سيصنع رابطة خاصة بيننا .

بدا اهتمام شديد ، على وجه الدكتور (رالف) ، وهو يميل إلى الأمام ، قائلاً فى شغف :

ـ لمْ لا تحاول إذن ؟!

كان (رمزى) يقف ثابتًا فى مكانه ، وهو يعتصر عقله فى بطء ، محاولاً إتمام ذلك الاتصال الجديد ..

لم يكن لديه دليل واحد ، على إمكانية حدوث هذا ..

ولكن كان عليه أن يحاول ..

ويحاول ..

ويحاول ..

والعجيب أن جسده قد استرخى تمامًا ، وهو ما زال واقفًا فى موضعه ..

وبدأ عقله يتحرر ..

ويطفو فى نعومة مدهشة ..

رائعة هى تلك الطاقة الجديدة ، التى تتدفق فى كيانه ..

مدهشة ..

ممتعة ..

لقد انطلق عقله فى المكان ، على نحو لم يتصوره فى حياته كلها قط ..

كان مغمض العينين ، ولكنه يرى كل ما حوله ..

ومن حوله ..

(نور) و(أكرم) كانا يراقبانه فى حذر ، وأيديهما تداعب مسدسيهما فى تحفز ، فى حين راح الدكتور (رائف) يراقبه ، فى اهتمام بالغ ..

أما (كاظم) ، فقد ظل كما هو ..

تمثال من الحجر الصلد ، يتطلع إلى الدكتور (رائف) مباشرة ، دون أية ملامح أو انفعالات ، أو ...

ولكن مهلاً ..

هناك كيان غير بشرى فى المكان ..

كيان يراقبه أيضًا ..

وربما باهتمام أكبر ..

وأكثر ..

كل ذرة فى كيانه شعرت بهذا ..

وأدركته ..

وارتجفت ..

وفى توتر بالغ ، انتزعه بغتة من استرخائه ، هتف :

ـ إنه هنا .

أمسك (أكرم) مقبض مسدسه فى قوة ، وهو يهتف :

ـ أين ؟!

فتح (رمزى) عينيه ، وأدارهما إليه ، قائلاً بصوت مرتجف :

ـ هنا .

ومع آخر حروف كلماته ، دوت فرقعة قوية فى المكان ..

ثم سقط كيان ما من السقف ..

وسطهم تمامًا ..

كيان أسود رهيب ..

للغاية .

* * *

٦ ـ الأسود ..

انعقد حاجبا الفريق (يسرى) فى شدّة ، وهو يتلقّى تقرير الضفدع البشرى ، من موقع الأحداث ، ثم قال فى حزم ، تغلب عليه رنة التوتر :

ـ غادر الموقع على الفور أيها القرش .. أكرّر .. على الفور .. عد إلى (نبتون ـ ٣) .. لا تحاول التدخل فى الوقت الحالى .. نفذ .

سأله القائد الأعلى فى قلق ، وهو ينهى المحادثة بحركة حادة :

ـ ماذا حدث هناك ؟!

هزّ الفريق (يسرى) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى بعد .. لقد فقدنا أحد الرجلين ، فى حادث غامض عنيف ، ولا بد من إعادة دراسة الموقف ، قبل المجازفة برجل آخر .

سأله الدكتور (جلال) :

ـ أى نوع من الغموض أو العنف ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ الرجل تجاوز نطاق الطاقة ، دون أوامر مسبقة ، وبداخله هاجمه شىء أسود .

ردّد القائد الأعلى :

ـ شىء ؟!

أجابه الفريق (يسرى) فى حزم :

ـ نعم .. هذا ما وصف به زميله الأمر تمامًا .. شىء أسود مجهول ، لم ير مثيلاً له ، فى حياته كلها ، هاجم رجلنا بشراسة حيوان مفترس ، وغرس مخالبه فى صدره ، ليمزّقه شر ممزق ، أمام عينى زميله ، الذى أطلق النار فى غزارة ، ولكن ذلك الشىء كان قد جذب فريسته تحت سطح الماء ، الذى غمر فناء الفيلا تمامًا ..

تبادل القائد الأعلى والدكتور (جلال) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول الأول فى انفعال :

ـ (نشوى) كانت على حق إذن .

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ يبدو أنهم على حق دائمًا .

أشار القائد الأعلى بيده ، وهو يقول فى حزم :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نرسل فريقًا آخر ، لإنقاذ رجالنا .

قال الفريق (يسرى) فى توتر :

ـ أقترح أن نعرف ماهية ذلك الشىء الأسود أولاً .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ ربما يكون الوقت قد فات عندئذ .

أجابه قائد القوات البحرية فى حدة :

ـ وربما فات بالفعل الآن .. ربما مزّق ذلك الشىء الأسود رجالكم إربًا ، ثم خرج يبحث عن مزيد من الدم ، ولن أرسل رجالى لمطاردة هدف مجهول ، قد يقضى عليهم جميعًا ، فى سبيل رجال لقوا مصرعهم فعلاً ، وربما منذ عدة ساعات .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ونحن لن نتخلى عن رجال ، قد نكون بالنسبة لهم الأمل الأخير ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .

احتقن وجهاهما ، وبدا وكأنهما سيشتبكان فى مناقشة عنيفة ، فاندفع الدكتور (جلال) يقول :

ـ مهلاً أيها القائدان .. كلاكما على حق بالتأكيد ، مع انقطاع الاتصالات ، ووجود مخلوق كهذا ، لا يمكننا استبعاد احتمال مصرع رجالنا جميعًا ، ولكن لأنهم محترفون ، ومن الخبراء فى مجالهم ، فمن المحتمل أيضًا أن يظلوا على قيد الحياة ، ينتظرون أملاً فى النجاة ، وحتى لو كان قائد القوات البحرية يرفض الزج برجاله فى مهمة كهذه ، لا تبدو لها أية حدود معروفة ، فنحن ايضًا لا يمكننا الوقوف ساكنين ، بعد أن أدركنا أن رجالنا يواجهون خطرًا كهذا .

سأله الفريق (يسرى) فى توتر :

ـ ماذا تقترح ؟!

أجابه فى هدوء حاسم :

ـ أن نتعاون معًا .

سأله القائد الأعلى :

ـ كيف ؟

أشار بيده ، مجيبًا :

ـ نحن لدينا الرجال ، الذين يمكنهم إلقاء أنفسهم فى جحيم كهذا ، بهدف إنقاذ رجالهم فحسب ، والفريق (يسرى) لديه وسائل بلوغ الهدف الرئيسى .. يمكننا إذن أن نرسل رجالنا عن طريقه .

انعقد حاجبا الفريق (يسرى) بشدة ، والقائد الأعلى يقول فى حزم :

ـ إننى أوافق تمامًا على هذه الفكرة .

رفع الفريق (يسرى) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ أما أنا ، فلدى اعتراض .

سأله الرجلان فى دهشة مستنكرة :

ـ وما هو ؟!

شد قامته فى حزم ، قائلاً :

ـ رجالنا ليسوا أقل وطنية من رجالكم ، وهم أكثر كفاءة فى التعامل مع البحر وتقلباته ، وأكثر خبرة فى مواجهة العواصف والأمطار .

قال القائد الأعلى :

ـ سنجازف .

أجابه فى حزم أكثر :

ـ لن يكون هناك وقت لهذا .. رجالى مستعدون بالفعل .

هتف الدكتور (جلال) فى دهشة :

ـ ولكنك قلت منذ لحظات ...

قاطعه فى صرامة :

ـ دعك مما قلته .

ثم التقط جهاز الاتصال الخاص المحدود ، وهو يضيف :

ـ سينطلق فريق من رجالنا إلى الهدف ، خلال دقائق معدودة .

وضغط أزرار الجهاز ، مضيفًا فى توتر :

ـ وأتمنّى أن يصلوا فى الوقت المناسب .

ولم يتبس أحدهما ببنت شفة ..

فقد كانا يدركان تمامًا أن أهم ما فى الأمر ، ليس الوصول إلى الهدف فحسب ..

ولكن الوصول فى الوقت المناسب ..

تمامًا ..

* * *

لا ريب فى أن الدم يضاعف من شراسة المخلوقات المفترسة ..

كل المخلوقات المفترسة ..

فى كل أنحاء الكون ..

وكل العوالم ..

فعندما هبط ذلك الكائن الأسود بينهم هذه المرة ، كان أكثر شراسة ووحشية عن ذى قبل ..

ألف مرة ..

لقد هبط من السقف ، ثم انقض عليهم مباشرة .

وانتزع (نور) و (أكرم) و (كاظم) مسدساتهم في لحظة واحدة ..

وانطلقت نيرانهم ..

ومع إصابات الكائن ، تناثر من جسده ذلك السائل الأسود اللزج ، وتعالت صرخاته الغاضبة الثائرة ..

ولكنه لم يتوقف ..

لقد وثب إلى الأمام ، وقد احمرت عيناه الكبيرتان ، حتى صارتا أشبه بجمرتين ملتهبتين ، واندفعت مخالبه تضرب كل ما يمكن أن تبلغه ..

وكان أول ما بلغه هو مسدس (أكرم) ..

ويده ..

فقد كان هذا الأخير يطلق رصاصاته في سخاء كعادته ، عندما هوت تلك المخالب الحادة على يده ..

بكل عنف الدنيا ..

وشراستها ..

ووحشيتها ..

وتفجرت الدماء من معصم (أكرم) ، وطار مسدسه إلى ركن الحجرة ، وهو يصرخ :

ـ أيها الوغد .

جاوبه الكائن بلطمة أخرى ، اخترقت مخالبه خلالها صدر (أكرم) ، وانتزعته من مكانه ، ثم ألقت به نحو الجدار بمنتهى العنف ، على الرغم من نيران (نور) و (كاظم) ، المنهمرة بغزارة تفوق الأمطار في الخارج ..

وارتطم (أكرم) بالجدار ، وتفجرت دماء غزيرة من صدره ومعصمه ، قبل أن يسقط أرضًا ، أشبه بجثة هامدة ..

كان من الواضح أن قوة الكائن قد تضاعفت ، مع شراسته وقوة احتماله ، حتى إن الرصاصات وخيوط الأشعة لم تعد تؤلمه أو تؤذيه ، على الرغم من كل ما يتفجر من جسده ، من سائل أسود لزج بشع ..

ولقد استدار يواجه (نـور) و (رمـزى) ، فـى وحشية مخيفة ، و ...

« النار يا (كاظم) .. النار .. »

ارتفعت صرخة الدكتور (رائف) ، وهـو يلـوّح بذراعيه فى قوة ، فاستدار إليه الكائن بحركة شرسة حادة ، وأطلق زمجرة مخيفة ، وهو يبرز أنيابًا حادة مسنّنة ، أشبه بأنياب أسماك القرش ، اصطبغت بدماء حمراء قانية ..

ثم تألّقت عيناه الكبيرتان ببريق وحشـى دمـوى عجيب ..

واعتدل بجسده كله يواجه الدكتور (رائف) ..

وبزمجرة أخرى ، اتجه نحوه مباشرة ..

أما (كاظم) ، فقد وثب نحو قاذفة اللهب الصغيرة ، واختطفها فى لهفة ، تتنافى مع جموده التقليدى ، و ...

وأطلق لسانًا من اللهب ..

أطلقه فى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها الكائن مقعد الدكتور (رائف) ، ومدّ مخالبه ليغرسها فى عنق هذا الأخير ، الذى تراجع فى ذعر ، وهو يرفع ذراعيه ، فى محاولة لحماية وجهه وعنقه ..

وضربت ألسنة اللهب ذلك المخلوق الأسود المخيف..

وانطلقت من أعمق أعماقه صرخة ..

صرخة هى أقوى مـا انطلـق ، منـذ بـدأت هـذه المأسـاة ..

صرخة تحمل كل آلام الدنيا ..

وغضبها ..

وثورتها ..

واندفع (كاظم) نحو الكائن ، ليطلق ألسنة اللهب نحوه مرة أخرى ..

ولكن الكائن انطلق نحو جهاز (ماينديليز) ..

وصرخ الدكتور (رائف) ، بصـوت يمـوج بانفعال بلا حدود :

ـ النار يا (كاظم) .. النار ..

وأطلق (كاظم) ألسنة اللهب مرة أخرى ..

ولكن الكائن وثب نحو جهاز مُطلق العقول ..

ودوت فى المكان فرقعة قوية ..

قوية حتى إنها بدت أشبه بعاصفة عاتية ، هبّت على وجوه الجميع ، واقتلعتهم من أماكنهم ، لتلقيهم مترين إلى الخلف ..

وانطلقت سحابة كثيفة فى المكان ..

ثم تلاشت فى لحظات ..

وتلاشى معها ذلك الكائن ..

تمامًا ..

ولثانية أو ثانيتين ، خيّم على المكان صمت رهيب ، والكل يتطلّع بعضهم إلى البعض ، بنظرات زائغة وعيون محمرة ..

ثم وثب (نور) من مكانه ، واندفع نحو (أكرم) ، هاتفًا :

ـ (أكرم) .. يا إلهى ! (أكرم) .

كان (أكرم) ملقى على وجهه ، والدماء تسيل فى غزارة من صدره ومعصمه ، فهتف (رمزى) :

ـ ربّاه ! إنه يحتاج إلى إسعاف عاجل .

استدار الدكتور (رائف) إلى (كاظم) هاتفًا :

ـ حقيبة إسعافات الطوارئ .

ظلّ (كاظم) صامتًا ، جامدًا ، يتطلّع إليه بنظرة عجيبة ، وهو يرفع فوهة قاذفة اللهب فى بطء ، فهتف الدكتور (رائف) فى صرامة :

ـ الحقيبة يا (كاظم) .

هتف (رمزى) بدوره :

ـ أين حقيبة الإسعافات باللّه عليكم ؟!

تحرّك (كاظم) فجأة ، وخفض فوهة قاذفة اللهب ، واندفع نحو دولاب الطوارئ ، والتقط منه الحقيبة ، وعاد يلتفت نحو الدكتور (رائف) لحظة ، ثم لم يلبث أن استدار يناولها لـ (رمزى) ، الذى اختطفها

فى لهفة ، وانحنى يفحص إصابات (أكرم) ، قبل أن يهتف :

ـ ربّاه ! لقد مزّق ذلك الوحش صدره تمزيقًا .. إنه يحتاج إلى غرز جراحية .

قال الدكتور (رائف) فى توتر :

ـ ستجد كل ما تحتاج إليه فى الحقيبة .

فتح (رمزى) الحقيبة فى لهفة ، وراجع محتوياتها فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ حمدًا لله .. محتوياتها كاملة بالفعل .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يلقى نظرة بدوره على الحقيبة ، قبل أن يرفع عينيه إلى الدكتور (رائف) ، الذى أشار بيده ، مغمغمًا :

ـ قلما نحتاج إليها .

لم يبال (رمزى) بالتفسير ، وهو يطهر جروح (أكرم) الراقد على الأرض ، ويعد أدواته لخياطة إصاباته ، قائلاً فى توتر :

ـ الأمر كان يحتاج إلى جراح متخصص .

قال (نور) بلهجة جافة :

ـ لن يمكننا مغادرة المكان الآن .. ابذل ما بوسعك ، واترك الباقى لله (سبحانه وتعالى) .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وراح يؤدى عمله فى سرعة ، وهو يغمغم :

ـ يمكننى مداواة إصاباته ، على الرغم من حدتها ، ولكن ماذا عما فقده من دماء .

تمتم الدكتور (رائف) :

ـ إنه قوى بما يكفى ، ولو أوقفنا النزيف ، سيتجاوز محنته بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

غمغم (رمزى) ، وهو يعمل فى سرعة :

ـ ونعم بالله ..

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يراقب (رمزى) ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لا يمكن أن يمضى هذا إلى الأبد .

تطلّع إليه (كاظم) بوجه جامد ، وأطلّ تساؤل قلق من عينى الدكتور (رائف) ، فتابع بنفس الصرامة ، التى امتزجت بحزم واضح :

ـ ذلك الوحش قتل رجلاً ، وأراق دم الآخر ، وتضاعفت شراسته ألف مرة ، بين هذا وذاك ، ومن الواضح أنه لن يتوقف ، حتى يقضى علينا جميعًا ، أو يبلغ هدفًا يسعى إليه .

غمغم الدكتور (رائف) :

ـ إنه يسعى للخروج من هنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ من هنا ؟! ما الذى تعنيه بالضبط ، بكلمة (هنا) هذه ؟!

تطلّع الرجل إلى عينيه مباشرة ، مجيبًا :

ـ من نطاق الطاقة ، الذى أقامه (كاظم) حول الفيلا .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا ؟! طبقًا لنظريتنا ، فهو كامن فى عقل (فيليب) ، منذ تلك التجربة الرهيبة ، فلماذا لم يسع للخروج عندئذ ؟!

أشار الدكتور (رائف) بيده ، وهو يجيب :

ـ من يدرى ؟!

وصمت لحظة ، استغرق خلالها فى تفكير عميق ، قبل أن يتابع :

ـ من المؤكد أن تجربة (فيليب) كانت تختلف تمامًا عن تجربة (رمزى) ، فالأخير خضع لمستويات من طاقة البث ، لم يبلغها الأول قط ، وربما كانت هى المسئولة عن تجسّد الكائن الآخر ، وهذا ما يحظ به الكائن الأول ، الذى ظلّ حبيس عقل (فيليب) ، الذى تطوّر بشدة مع التجربة ، حتى حدث ما أطلقه من عقاله .

سأله (نور) فى حذر :

ـ مثل ماذا ؟!

تنهّد ، مكرّرًا :

ـ من يدرى ؟!

نقل (كاظم) بصره بينهما مرتين ، وألقى نظرة سريعة على (رمزى) ، الذى انهمك فى خياطة جروح (أكرم) ، ثم اتجه نحو اللوح المعلق على الجدار ، ورسم دائرة كبيرة ، حول مربع صغير ، فغمغم (نور) فى اهتمام :

ـ هل تقصد دائرة الطاقة ؟!

أشار (كاظم) إلى جزء من الدائرة ، ورسم علامة البرق ، ثم أضاف إلى الرسم نموذجًا مبسطًا لشخص تغمره المياه ، قبل أن يلتفت إلى (نور) فى اهتمام ، جعل هذا الأخير يهتف :

ـ آه .. فهمت ..

ثم هز رأسه ، مستطردًا برنة إعجاب واضحة :

ـ من الواضح أنك عبقرى بحق يا (كاظم) .

سأله الدكتور (رائف) فى شىء من التوتر :

ـ هل لى أن أفهم ما فهمته ؟!

أجابه (نور) فى حماس :

ـ (كاظم) يشير إلى أننا عندما التقينا بـ (فيليب) ، قبيل مصرعه بقتيل ، كان مبتلاً بشدة ، مما يوحى بأنه قد قضى فترة من الوقت خارج الفيلا ، تحت الأمطار المنهمرة فى غزارة ، والأرجح أنه قد اتجه لفحص نطاق الطاقة ، الذى لم يكن يعلم بوجوده ، عندما أصابه البرق ، أو صعقته طاقة النطاق ، على نحو أو آخر .. ومع تدفق تلك الطاقة الهائلة فى جسده ، تمكن ذلك المخلوق من التحرر من أسره ، وانطلق يهاجمنا .

قال (رمزى) فى توتر ، وهو يواصل عمله :

ـ فى نفس التوقيت ، الذى ظهر فيه الآخر ؟!

أجابه (نور) :

ـ بالضبط .

التفت إليه (رمزى) ، قائلاً :

ـ ولماذا لم يهاجمنا ذلك الآخر ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يجيب فى بطء :

م ١٠ ـ ملف المستقبل (١٣٠) القوة

ـ ربما ينتظر الفرصة المناسبة .

قال الدكتور (رائف) فى سرعة :

ـ أو أنه يختلف .

سأله (نور) بسرعة أكبر :

ـ كيف ؟!

تردَّد الدكتور (رائف) بضع لحظات ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بالإجابة ، ثم لم يلبث أن هتف فجأة :

ـ السائل الأسود .. كيف نسينا أمره ؟!

ثم استدار إلى (كاظم) ، مستطردًا :

ـ النار يا (كاظم) .. أسرع .

التقط (كاظم) قاذفة اللهب فى آلية ، وراح يطلق ألسنتها على بقع السائل الأسود اللزج ، المتناثرة فى كل مكان ، فتابعه (نور) ببصره بضع لحظات ، قبل أن يقول ، وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ من حسن الحظ أن دماءه السوداء لم تكتسب الطاقة نفسها ، وإلا لحملت لنا كل إصاباته وبالاً لا ينقطع .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ وما الذى تحمله تلك الدماء السوداء ؟!

أجابه (نور) بصوت حمل كل انفعاله :

ـ كائنات رهيبة أخرى ، أشبه بعقارب سامة سوداء ، تنمو من كل قطرة دم ، و ...

قاطعه (رمزى) ، فى شرود عجيب :

ـ الأجسام المناعية .

سأله (نور) :

ـ ماذا ؟!

توقَّف عن خياطة جروح (أكرم) ، وبدا أكثر شرودًا ، وكأنما انفصل عن عالمه ، وغاص فى عالم آخر ، وهو يقول فى آلية :

- الأجسام المناعية .. أشياء تشبه ما ينتجه جهاز المناعة فى جسدنا ، لمقاومة الميكروبات والأجسام الغريبة ، التى تجد طريقها إلى دمائنا .. ولكن بالنسبة لتكوينه ، فهى أشبه بالعقارب السامة ، التى نعرفها فى عالمنا ، وسبب نموها هو نسبة النيتروجين الضئيلة ، الموجودة فى الهواء الذى نتنفسه(*) ، فهى تساعد خلاياها على النمو الفائق ، وبسرعة خارقة ، وعندما تصبح داخل عالمنا ، تعتبرنا مجرد ميكروبات ، تسعى للقضاء عليها ، كأى جسم غريب .

انعقد حاجبا الدكتور (رائف) ، وهو يحدق فيه بشدة ، وأدار (كاظم) عينيه إليه فى اهتمام ، فى حين هتف (نور) بدهشة بالغة :

- كيف عرفت كل هذا ؟!

(*) يتكون الهواء الذى نتنفسه من الأكسجين ، وثانى أكسيد الكربون ، والنيتروجين ، وبخار الماء ، وبعض الغازات النادرة ، مثل الأرجون ، والنيون ، والهليوم ، والكربتون ، والزينون .

انتفض جسد (رمزى) فى عنف ، ثم استدار إليه بعينين متسعتين ، مغمغمًا :

- عرفت ماذا ؟!

قال (نور) فى توتر :

- كيف عرفت بأمر تلك الأجسام المضادة ؟!

أطلت من عينيه حيرة شديدة ، وهو يغمغم :

- أية أجسام مضادة ؟!

حدق (نور) فى وجهه بدهشة عصبية ، فقال الدكتور (رائف) فى اهتمام :

- إنه اتصال عقلى فائق .

استدار إليه (رمزى) فى حيرة أكثر ، فربت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- هيا .. انس كل هذا ، وواصل عملك أولاً يا صديقى .. (أكرم) بحاجة إلى كل ما تفعله الآن .

أومأ (رمزى) برأسه متفهمًا ، وإن لم تختف الحيرة من عينيه ، وهو يعود إلى (أكرم) ، ويواصل خياطة إصاباته .

أما (نور) ، فقد تطلّع إليه بضع لحظات ، ثم اتجه نحو الدكتور (رانف) ، وسأله فى اهتمام ، وبصوت خافت :

ـ أى اتصال عقلى هذا ؟! هل اتصل بذلك الكائن ثانية ؟!

هزّ الدكتور (رانف) رأسه نفيًا ، وقال بنفس الصوت الهامس :

ـ لست أعتقد هذا .. ذلك الكائن قد يجهل حتى حقيقة ما يحدث فى دماله السوداء ، شأنه شأن كل الجهلاء والبدائيين والحمقى ، فى كل أنحاء الكون ، وعبر التاريخ ، فكيف يمكن أن ينقل ما يجهله ، عبر اتصال عقلى خارق ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ الشكل ليس معيارًا حقيقيًا ، للحكم على الأمور يا دكتور (رانف) ، فقد يبدو لنا ذلك الكائن أشبه بوحش أسطورى شرس ، خاصة وهو يهاجمنا بهذا الأسلوب ، ولكن ربما كانت هذه هيئة كل من فى عالمه ، حتى العلماء منهم .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى الدكتور (رانف) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد أيها المقدّم بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

ـ ولكن العلم يوسّع مدارك المرء ، ويملأ نفسه بالحكمة والتواضع ، ويجعله أذكى من أن يريق الدماء بهذه الوحشية .

تنهّد (نور) ، مغمغمًا :

ـ أنت على حق .

انبعثت زمجرة خافتة من (كاظم) ، فالتفت إليه الاثنان ، ورأياه يلوّح بقاذفة اللهب الصغيرة ، فاتعقد حاجبا الدكتور (رانف) ، وهو يقول :

ـ ربّاه ! لقد نفدت قاذفة اللهب .

غمغم (نور) فى عصبية :

ـ خسرنا أقوى أسلحتنا .

ثم أضاف :

ـ وإن كنت أجهل سبب وجود سلاح مثله ، فى معمل عالم ، متخصص فى الاتصالات العقلية .

أجابه الرجل فى توتر :

ـ كنا نحتاج إليه فى بعض التجارب القديمة .

زفر (نور) فى توتر ، وقال :

ـ ماذا سنفعل إذن ، لو هاجمنا ذلك المخلوق ثانية ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ علينا أن نبحث عن وسيلة أخرى .

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

مع آخر حروف كلمته ، أطلق (رمزى) زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ لقد انتهيت من عملى ، ولكن (أكرم) المسكين بحاجة إلى مسكّن قوى ، وبعض المضادات الحيوية ، حتى لا تقتله الآلام ، عندما يستعيد وعيه ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انقطعت الأضواء فى المعمل بغتة ..

وعلى الرغم من أن عقارب الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحًا ، فقد ساد الظلام بغتة داخل المعمل ، حتى إن قشعريرة باردة قد سرت فى جسد (نور) ، وهو يغمغم :

ـ ربّاه ! لقد فعلها .

سأله (رمزى) بصوت مرتجف :

ـ هل تعتقد أنه ...

أجابه (نور) فى حزم ، قبل أن يتمّ عبارته :

ـ دون أدنى شك .

ثم أضاف فى توتر :

ـ إنه يحاول قطع التيار عن نطاق الطاقة .

غمغم الدكتور (رانف) :

ـ لست أظنه يتصل بمصدر التيار التقليدى .

زمجر (كاظم) وسط الظلام ، فتمتم الدكتور (رانف) :

ـ أعلم يا (كاظم) .. أعلم .. أنت أذكى من أن تفعل هذا .. هناك مصدر طاقة مستقل بالتأكيد .

قال (نور) ، وهو يتلفت حوله ، محاولاً اختراق حجب الظلام ، الذى أحاط بالمعمل ، الخالى من النوافذ تمامًا :

ـ أظن تلك الأعمدة الرفيعة تحوى مصادر طاقة ذاتية .

زمجر (كاظم) مرة أخرى ، فقال الدكتور (رائف) :

ـ أصبت أيها المقدَّم .

ثم تنهَّد فى عصبية ، مضيفًا :

ـ لست أدرى لماذا أغلقنا كل النوافذ هنا ؟! ألم نتوقَّع انقطاع التيار أبدًا .

سأله (نور) :

ـ ألا توجد وسيلة أخرى للإضاءة ؟!

أجاب الرجل :

ـ هناك مولِّد احتياطى قديم ، فى المخزن الخلفى ، حيث أحتفظ بسيارتى القديمة ، ولكنه لم يعمل منذ عشر سنوات ، ولست أظنه سيعمل الآن فى سهولة .

سأله (نور) :

ـ ألا توجد وسيلة أكثر بساطة ؟! مصباح يدوى مثلاً ؟!

هتف العالم :

ـ بالتأكيد .. لدينا مصباح يدوى كبير هنا .

ثم هتف فى حماس :

ـ أحضر المصباح يا (كاظم) .

تحسَّس (كاظم) طريقه إلى دولاب الطوارئ ، ومدَّ يده يلتقط المصباح اليدوى الكبير منه ، ثم تراجع ، مطلقًا زمجرة خافتة ، جعلت الدكتور (رائف) يقول فى ارتياح :

ـ لقد عثر عليه ..

ومع آخر حروف عبارته ، ضغط (كاظم) زر المصباح اليدوى ..

وانبعث الضوء ..

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ..

وهتف الدكتور (رائف) :

ـ يا رب الكون !

وسرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، فى حين انعقد حاجبا (كاظم) فى شدة ..

فأمام هذا الأخير مباشرة ، كان يقف ذلك الكائن الأسود ..

وكانت أنيابه الحادة ، الشبيهة بأنياب سمكة القرش تلتمع تحت الضوء المنبعث من المصباح ، وقد اصطبغت أطرافها بالدم ..

ومع الضوء ، انطلقت من المخلوق تلك الصرخة الرهيبة ..

الصرخة التى لا تشبه صرخة أخرى ، فى الأرض كلها ..

ثم انقضّ بكل وحشيته ..

وسط الظلام .

* * *

فأمام هذا الأخير مباشرة ، كان يقف ذلك الكائن الأسود .. وكانت أنيابه الحادة ، الشبيهة بأنياب سمكة القرش تلتمع تحت الضوء المنبعث من المصباح ..

٧ - ظلام الموت ..

« لقد توصلت إلى الحل .. »

نطقت (سلوى) العبارة فى حزم ، وتراجعت أمام شاشة الكمبيوتر ، فهتفت بها ابنتها (نشوى) فى لهفة ، على الرغم مما تشعر به من إرهاق بالغ :

ـ حقًا ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تشير إلى الشاشة :

ـ لقد نجحت فى تحديد ذبذبة نطاق الطاقة هذا ، ولدى وسيلة أكيدة لمعادلتها ، وإيقافها دفعة واحدة .

سألتها (نشوى) بلهفة أكبر :

ـ كيف ؟!

أجابتها (سلوى) :

ـ ما دمنا قد اخترقنا نظام الأقمار الصناعية للمراقبة والدفاع ، فهذا يعنى أننا نستطيع استغلال قدراتها أيضًا ، ولو راجعت هذه الخريطة ، ستجدين

لدينا ثلاثة أقمار دفاعية ، لديها القدرة على إطلاق ذبذبات صوتية فائقة ، نحو أهداف محدودة .. كل ما علينا هو تحديد مسار تلك الأقمار ، وتوجيهها نحو النطاق المحيط بالفيلا ، ثم إطلاق الذبذبة المناسبة تمامًا منها ، مما سيؤدى إلى تعادلها مع ذبذبة نطاق الطاقة ، وهذا سيلغى عمله تمامًا .

سألتها (نشوى) :

ـ وهل سيمكننا الاتصال بأبى عندئذ ؟!

أجابتها فى حزم :

ـ بالتأكيد ..

أطلقت (نشوى) زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدرها ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

هزت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ ولكن هذا سيستغرق نصف الساعة على الأقل .

سألتها (نشوى) ، وقد عاودها القلق :

- لماذا ؟!

أجابت ، وهى تبدأ عملها على أزرار الكمبيوتر بالفعل :

- تعديل المسارات ليس بالأمر السهل ، ومن المؤكد أن أجهزة وزارة الدفاع ستنتبه إليه ، وستتدخل لمنع ذلك التعديل ، باعتباره عملية تخريب متعمدة ، وسيكون علينا أن نبذل جهدا أكبر لإطلاق ذبذبتنا بقوتها المطلوبة ، وللفترة الكافية لإيقاف عمل نطاق الطاقة .

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تغمغم :

- ولو أننا طلبنا موافقة وزارة الدفاع ، فسنستغرق أربعة أضعاف هذا الوقت ؛ لإقناعهم بالأمر فحسب .

أشارت (سلوى) بيدها ، قائلة :

- ولأنه لكل دقيقة ثمنها ، فلا بد لنا من اتخاذ قرار حاسم ، فى هذا الشأن ..

ازداد انعقاد حاجبى (نشوى) ، وهى تقول :

- العواقب ستكون وخيمة حتمًا فى الحالتين ، فلو أننا انتظرنا موافقة رسمية ، قد يعنى هذا حياة أبى وزوجى و(أكرم) ، ولو قمنا بتعديل المسارات ، دون موافقة رسمية ، ستكشف أجهزة وزارة الدفاع الأمر حتمًا ، وسنتعرض لمسئولية كبرى ، ولمحاكمة عسكرية ، قد ينتهى الأمر فيها باتهامنا بالخيانة .

تراجعت (سلوى) فى مقعدها ، قائلة فى حزم :

- علينا أن نتخذ القرار .

شدت (نشوى) قامتها ، وبدت أشبه كثيرًا بوالدها ، وهى تقول فى حزم صارم :

- عندما انضممنا للفريق ، أقسمنا أن نبذل كل غال ، فى سبيل الوطن ، وأن يبذل كل منا حياته ، لو اقتضى الأمر ، فى سبيل الآخرين .. وعندما استدعى الأمر هذا ، بر (محمود) بقسمه ، ودفع حياته ثمنا لنجاتنا .. أو هكذا تصور ، وهو يُقدم على تضحيته .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى حزم أكبر :

- ونحن لسنا أقل منه انتماءً ..

تطلّعت إليها (سلوى) بضع لحظات ، وخفق قلبها في قوة ، وارتجفت كل ذرة في كيانها فخرًا وانبهارًا ، قبل أن تنتزع نفسها من كل هذا ، وتميل نحو أزرار الكمبيوتر ثانية ، قائلة :

ـ على بركة الله .

وواصلت عملها ، في سبيل إيقاف نطاق الطاقة ، المحيط بفيلا الدكتور (رائف عبيد) ، إحاطة السوار بالمعصم ..

الشيء الوحيد الذي لم تدركه ، ولم تدركه معها ابنتها ، هو أن توقُّف نطاق الطاقة عن عمله ، يعني إزالة كل الأسوار من أمام ذلك الكيان الأسود الرهيب ، وإطلاق العنان له ، ليعيث الفساد في الأرض ..

كل الأرض ..

* * *

لحظة واحدة ، ألقى (كاظم) خلالها نظرة على خصمه الرهيب ، قبل أن تتحرك يده في سرعة ، في محاولة لالتقاط مسدسه ..

ولكن المخلوق الأسود أطلق صرخته الرهيبة ..

وضرب بمخالبه ..

ضرب بقوة أكبر ، وشراسة أكثر عنفًا ..

وبوحشية بلا حدود ..

وسقط المصباح اليدوي الكبير ، وتراقص الضوء المنبعث منه ، مع سقوطه أرضًا ..

وعلى حزمة الضوء المتراقصة ، بدا صدر (كاظم) ، وهو يتمزّق في عنف ، وتتفجّر منه أنهار من الدم ، والمخلوق الأسود يهاجمه مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ومخالبه الحادة تنغرس في جسده ..

وتنغرس ..

وتنغرس ..

والدماء الغزيرة تتفجّر ..

وتتفجّر ...

وفى جزع بلا حدود ، راح الدكتور (رائف) يصرخ :

ـ لا .. أنقذوا (كاظم).. أنقذوه ..

وثب (نور) يخطف المصباح اليدوى ، وهو يشهر مسدسه ، ورفعه فى سرعة نحو المنطقة ، التى تنطلق منها صرخات الكائن الوحشية ..

ولكن المكان كان خاليًا تمامًا ..

(كاظم) كان ملقى أرضًا ، والدماء تغمر جسده كله تقريبًا ..

ولكن الكائن الأسود لم يكن هناك ..

وفى ارتياع ملتاع ، راح الدكتور (رائف) يصرخ :

ـ لا .. ليس (كاظم) .. ليس (كاظم) ..

أدار (نور) المصباح الكبير مع مسدسه ، فى أرجاء المكان ، وهو يهتف فى توتر بالغ :

ـ (رمزى) .. اقترب منى .. اقترب بسرعة .. لابد أن يتقارب ثلاثتنا بأقصى سرعة .

أتاه صوت (رمزى) ، هاتفًا :

ـ بالتأكيد يا (نور) .. بالتأكيد .

أما الدكتور (رائف) ، فقد راح يصرخ ، فى لوعة امتزجت بغضب عارم :

ـ لقد قتل (كاظم) .. ذلك الوغد قتل (كاظم) .. قتله بلا رحمة أو شفقة .

أدار (نور) المصباح إليه ، هاتفًا :

ـ اهدأ يا دكتور (رائف) .. إننا ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى حين أطلق (رمزى) شهقة قوية ، وتراجع صارخًا :

ـ رباه ! إنه هناك ..

فخلف الدكتور (رائف) مباشرة ، كان ذلك الكائن الأسود المخيف ينهض ، وقد كشّر عن أنيابه المسننة ، ورفع مخالبه عاليًا ، وكأنما يهم بغرسها فى عنق العالم بلا رحمة ..

وبسرعة مذهلة ، رفع (نور) فوهة مسدسه الليزرى ..

وأطلق الأشعة ..

واخترقت خيوط أشعته جسد الكائن ، فى عدة مواضع ..

وتفجّر ذلك السائل الأسود اللزج من كل موضع أصابته أشعة (نور) ..

وتناثر على وجه الدكتور (رائف) وجسده ..

ولكن العجيب أن لمحة واحدة من الخوف ، لم ترتسم على وجه العالم المقعد ..

بل على العكس ، لقد بدا غاضبًا ، صارمًا ، وهو يهتف :

ـ آه .. أنت هنا أيها الوغد .

أطلق الكائن زمجرة أخرى رهيبة ، فى وجهه مباشرة ، ثم انقضّ عليه ، على الرغم من خيوط أشعة مسدس (نور) ، التى تنهال عليه كالمطر ، وهوى بمخالبه ، و...

وانتفض جسد (رمزى) فى عنف ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذهول تام ..

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وأطلّت من عينيه نظرة ملؤها الدهشة ، وتجمّدت يده الممسكة بالمصباح ، الذى يغمر ضوؤه العالم والكائن ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى ..

وكل هذا ليس لبشاعة ما حدث ..

ولكن لغرابته ..

لقد هوت المخالب الحادة ، بكل قوتها وشراستها ووحشيتها ، على عنق الدكتور (رائف) ، و....

وتوقّفت دفعة واحدة ..

توقّفت لأن يدى الدكتور (رائف) ارتفعتا فى سرعة مدهشة ، لتمسكا ذراعى الكائن فى قوة ..

وانطلقت من الكائن زمجرة مختلفة تمامًا هذه المرة..

زمجرة تحمل الدهشة ..

كل الدهشة ..

والذعر ..

وتوقفت دفعة واحدة .. توقفت لأن يدى الدكتور (رالف) ارتفعتا فى سرعة مدهشة ، لتمسكا ذراعى الكائن فى قوة ..

ولثانية أو ثانيتين ، التقت عيناه بعينى الكائن الكبيرتين المحمرتين ، فى تحد صارم غريب ..

ثم حدث ما ضاعف ذهول (نور) و(رمزى) ..

ألف مرة ..

ففى حركة واحدة ، حاسمة ، قوية ، نهض الدكتور (رالف) من مقعده ، وواجه الكائن بجسده كله ..

نعم .. العالم القعيد نهض من مقعده المتحرك ..

ووقف على قدميه ..

وتضاعفت نظرة التحدى ، التى يرمق بها الكائن ، الذى جمد بدوره ، وكأنما أذهله ما حدث ، بأكثر مما أذهل بطلينا ..

ثم فجأة ، انتزع ذراعيه من قبضتى الدكتور (رالف) ..

وأطلق صرخة قوية أخرى ..

ووثب نحو جهاز (مايند ريبيزر) ..

وتراجع (رمزى) بحركة غريزية ، فى انتظار حدوث تلك الفرقعة التقليدية العنيفة ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد ارتطم المخلوق بالجهاز ، ثم سقط أرضًا ، وهو يطلق زمجرة عنيفة غاضبة ..

وفى تحد صارم ، قال الدكتور (رائف) :

ـ لن تفلح اللعبة هذه المرة .. أنت أفسدت خطوط مواصلاتك عندما قطعت التيار الكهربى .

زمجر الوحش فى غضب أكثر ، وأدار عينيه الكبيرتين فى وجوههم ، على الرغم من الظلام الدامس ، فهتف (رمزى) :

ـ ماذا تنتظر يا (نور) ؟! أطلق أشعتك .

أجابه (نور) فى عصبية :

ـ هل ستجازف بمواجهة أجسامه المناعية ، فى ظلام كهذا ؟!

ارتج على (رمزى) ، وسرت فى جسده موجة

عنيفة من التوتر ، وهو يحدق فى ذلك المخلوق ، الذى بدا غاضبًا ، ثائرًا ، والدكتور (رائف) يقول بلهجة عجيبة ، حملت كل غضب وصرامة الدنيا :

ـ أنت تعلم أنك غير قادر على قتلى ، ولن يمكنك مغادرة هذا المكان ، لتحقيق ما تسعى إليه .. نهايتك ستأتى هنا .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ إنها مسألة وقت فحسب ..

أطلق الكائن صرخة غاضبة ثائرة أخرى ، ثم اندفع إلى الأمام فى عنف ، وعبر باب المعمل ، وتعالى وقع قدميه ، وهو يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ولثوان ، وقف الجميع صامتين ، يحدق بعضهم فى البعض ، على الضوء الخافت ، الذى ينبعث من المصباح اليدوى الصغير ..

ثم انتفض الدكتور (رائف) فجأة ..

ومع انتفاضته ، عجزت ساقاه العاجزتان عن حمله ، فانهار أرضًا ، وهو يهتف فى مرارة :

ـ (كاظم) .. انقذوا (كاظم) .

اندفع (رمزى) نحو (كاظم) ، وانحنى يفحصه فى اهتمام قلق ، فى حين أسرع (نور) إلى الدكتور (رائف) ، يعاونه على العودة إلى مقعده ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ أعتقد أنه لديك ما تخبرنا به يا دكتور (رائف) .

لهث الرجل فى شدة ، وهو يستقر فوق مكتبه ، وقال :

ـ الدكتور (رائف) ليس لديه ما يخبركم به .

ثم اكتسب حزمًا مباغتًا ، وهو يرفع عينيه إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ أما أنا ، فلدى الكثير .

انتفض جسد (رمزى) فى عنف ، مع الصوت الذى انبعث من بين شفتى الدكتور (رائف) ، وهو يلقى عبارته الأخيرة ، واستدار إليه فى حركة حادة ، وهو يصرخ :

ـ (نور) .. إنه هو .

أدار الدكتور (رائف) عينيه إليه ، قائلاً بنفس الصوت :

ـ نعم .. أنا هو .

هتفت (نور) :

ـ هو من ؟!

أجاب (رمزى) ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف :

ـ ذلك المخادع ، الذى التقيت به فى العالم الآخر .

ثم هتف ، بكل انفعال الدنيا :

ـ ذلك الذى انتحل شخصية (محمود) ؛ ليدفعنا إلى جلبه إلى عالمنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ألم تكن تدرك هذا منذ البداية ؟!

قال الدكتور (رائف) ، فى صوت حمل رنة ساخرة :

ـ وهل كنت أنت تدركه ؟!

أدار (نور) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا هذا .. ولو أردت .. سأخبرك متى غرست نفسك فى عقل الدكتور (رائف) بالضبط .

ثم مال نحوه ، وترك المصباح اليدوى يسطع ، فى وجهه مباشرة ، وهو يضيف فى حزم صارم :

ـ كان هذا عندما كنا نطلق النار على تلك الأجسام المناعية .. أليس كذلك ؟!

وانعقد حاجبا الدكتور (رائف) فى شدة ..

فقد كان تقدير (نور) سليمًا ..

إلى درجة مذهلة ..

* * *

على الرغم من الأمطار المنهمرة فى غزارة ، فتح (نور) نافذة الحجرة الكبيرة عن آخرها ، وهو يقول فى حزم :

ـ أعتقد أن وجودنا هنا ، مع قليل من الضوء ، أفضل من البقاء فى المعمل ، بظلامه الدامس .

غمغم الدكتور (رائف) ، وهو يدفع عجلات مقعده المتحرك فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

هزّ (رمزى) رأسه ، وهو يخيط جراح (كاظم) فى اهتمام ، قائلاً :

ـ انتقالنا إلى هنا كان حتميًا يا (نور) .. فالمدهش أن (كاظم) ما زال على قيد الحياة ، على الرغم من أن جسده قد تمزّق على نحو بشع .. من الواضح أن قدرته على احتمال الألم قد انقذته من الإصابة بصدمة عصبية قاتلة .

غمغم الدكتور (رائف) فى حنان :

ـ إنه لا يشعر بالألم مطلقًا .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ كنت دومًا أشعر بالحزن من أجله ، بسبب هذا ، ولكنها المرة الأولى ، التى أحمد فيها الله (سبحانه وتعالى) ، على أنه لا يشعر بالألم .

استدار إليه (نور) ، وهو يسأله فى حزم :

ـ ترى من يتحدث الآن ؟! الدكتور (رائف) ، أم ....

أجابه الرجل فى سرعة وهدوء :

ـ لا فارق أيها المقدم .. ما حدث ليس احتلالاً جسديًا ، بل هو نوع من غزو العقل ، والاندماج معه ، والانصهار فى خلاياه ونظمه .. باختصار ، أنت تواجه مزيجًا منا معًا .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ عظيم .. سأجد إجابة لأسئلتى إذن .

أجابه العالم فى هدوء :

ـ بكل تأكيد .

سأله (نور) فى حزم :

ـ لماذا أنت هنا ؟!

ارتسمت ابتسامة على شفتى الدكتور (رائف) ، وهو يجيب :

ـ من أجله .

توقف (رمزى) عن عمله ، وسأله فى توتر :

ـ من أجل من ؟!

أجابه بنفس الهدوء :

ـ من أجل ذلك الفائق ، الذى جلبه عقل (فيليب) إلى عالمكم .

سأله (نور) :

ـ من أنت بالضبط ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ أنا مثلك أيها المقدم .. أحد رجال الأمن فى عالمى ، ومهمتى هى منع ذلك السفاح من التوغل فى عالمكم .

سأله (نور) ، فى قلق شديد :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله ، لو توغل فى عالمنا ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ الكثير .

ثم التقط نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن يضيف :

ـ ذلك الشىء ، الذى يتفق تكوينه الخارجى مع تكويننا جميعًا فى عالمى ، هو كتلة من الشر المجسم ، وذلك النطاق المحيط بالفيلا هو وحده الذى يحد من قدراته ، ولولاه لانطلقت منه موجة من الشر ،

تكفى لتدمير عقول بنى جنسكم ، فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات دفعة واحدة .

سأله (نور) فى توتر :

ـ ألا تمتلكون جميعكم تلك القدرة ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ إننا لا نمتلك أية قدرات فى عالمنا .. كل هذا اكتسبه هو من عالمكم وحده .

ثم أشار إلى رأس (نور) ، مستطردًا :

ـ من عقولكم .

هتف (رمزى) ، وهو يضع لمساته الأخيرة :

ـ وهل تحوى عقولنا كل هذا الشر ؟!

ابتسم الدكتور (رائف) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ أنتم بشر .. عقولكم تحوى الخير والشر معًا ، ولكن لديكم قدرة مدهشة على كبت أحدهما لصالح الآخر .. فيكم أخيار وأشرار ، ولكن معظمكم يتأرجحون بين

هذا وذاك .. وعندما عبر قرينى ، وانطلق عليه مجازًا اسم (ألفا) ، إلى عالمكم ، جاء هذا عبر عقل يمتلئ بالشر ، ويحمل مهمة محددة ، ألا وهى سرقة كل نتائج أبحاث الدكتور (رائف) ، عندما تبلغ نهايتها ، ثم قتله بلا رحمة بعدها ، حتى لا يحصل وطنه على نتائج عمله .

قال (نور) فى توتر :

ـ أهذه كانت مهمة (فيليب) ؟!

أومأ برأسه ، مجيبًا :

ـ بالضبط .

ثم أشار بيده ، متابعًا :

ـ وهكذا ، اكتسب (ألفا) كل طاقة الشر ، فى عقل (فيليب) ، وراحت تلك الطاقة تتضاغف ، عندما ظلّ حبيس عقله ، حتى تحولت إلى بركان من الشر ، مع الصاعقة التى أصابت (فيليب) ، والتى استنتج (كاظم) حدوثها ، وانطلق من عقاله ، فى محاولة لتدمير عالمكم كله بشروره .

سأله (رمزى) ، وهى ينهض من مكانه ، بعد أن انتهى من عمله :

ـ وما هدفه من هذا ؟!

تنهد الرجل ، مجيبًا :

ـ بالنسبة لمثله ، الشر هدف فى حد ذاته ، وبالنسبة لما أصابه فى عالمكم ، فهو يسعى للخراب والدمار ، وتتضاعف وحشيته وشراسته ، فى كل لحظة يمضيها هنا ، ولن يهنأ له بال ، حتى يقع عالمكم كله فى براثنه .

تبادل (نور) نظرة متوترة للغاية مع (رمزى) ، وألقى نظرة على (أكرم) و(كاظم) ، الغارقين فى غيبوبة عميقة ، قبل أن يعيد بصره إلى الدكتور (رالف) ، قائلاً :

ـ وهل تعتقد أنك قادر على إيقافه ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ كلاّ .

هتف (رمزى) مستنكرًا :

ـ كلاّ ؟!

ثم اندفع يستطرد فى غضب :

ـ ولماذا فعلت كل ما فعلت إذن ، ما دمت غير قادر على إيقافه ؟! لماذا خدعتنا ، وأوهمتنا بأنك زميلنا (محمود) ، ودفعتنا إلى إحضارك إلى عالمنا ، مجازفًا بحياتى نفسها ، ما دمت لا تملك وسيلة لمنعه .

هزّ رأسه ، مجيبًا فى توتر :

ـ لم أكن أعلم أننى عاجز عن هذا .

صاح به (رمزى) :

ـ كيف ؟!

تنهد ، مجيبًا ؟!

ـ لقد أخبرتكما من قبل أننا لا نمتلك تلك القدرات الفائقة فى عالمنا ، ولكننا كنا نعلم أن (ألفا) سيمتلك مثلها فى عالمكم ، لذا فقد فكرنا فى أن يلحق به أحدنا ، ويحاول تبصير عالمكم بما يحمله لكم من خطر وشر ،

ويحاول فى الوقت ذاته إيجاد وسيلة للقضاء عليه .. وفى سبيل هذا ، كان علىّ أن انتحل هيئة زميلكما (محمود) ، حتى أقنعكم جميعًا بالحضور إلى هنا ، واستخدام الجهاز نفسه ، الذى أحضر (ألفا) ، وعندما فشلت محاولة الاتصال الأولى ، أقنعتكم بضرورة مضاعفة طاقة البث ؛ حتى تبلغ قدرة الاتصال حدها الأقصى ..

ثم تنهد ، مضيفًا :

ـ ولقد نجح هذا كما تعرفان .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يسأله فى حذر :

ـ ولكن كيف علمت بأمر (محمود) وما أصابه ؟!

هتف (رمزى) فى انفعال :

ـ ليس هذا فحسب .. هناك نقطة أخرى ، لا تتفق مع قصتك هذه .. إن (محمود) يزور عالم أحلامى منذ فترة طويلة ، من قبل حتى أن يحضر (ألفا) إلى عالمنا .

أجابه الرجل فى هدوء :

ـ هذا صحيح .. الاتصال العقلى بينكما بدأ بصورة طبيعية فى البداية .

امتقع وجه (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل تعنى أن ...

أجابه العالم ، قبل أن يتم عبارته :

ـ نعم .. اتصاله بك كان حقيقيًا .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا :

ـ وهذا ما ساعدنى على القيام بمهمتى .

هم (رمزى) بقول شىء آخر ، ولكن (نور) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ ولكنك لم تخبرنا ، كيف علمت بأمر (محمود) ، وبأمر اتصاله العقلى الحقيقى بـ (رمزى) ؟!

صمت الرجل بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى خفوت ، يغلب عليه الحذر :

ـ هذا أمر يتعلق بطبيعة عالمنا .

سأله (نور) فى صرامة :

ـ وما طبيعة عالمكم ؟!

تردّد الرجل بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لست أظنكم قادرين على استيعاب هذا .

قال (نور) فى حزم :

ـ يمكنك أن تحاول على الأقل .

تنهّد الرجل ، وتضاعف توتره وترددُه ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ الواقع أن العالم ، الذى أتينا منه ، أنا و (ألفا) ، يختلف عن كل العوالم ، التى عرفتموها من قبل .

سأله (نور) :

ـ وفيم يختلف ؟!

أشار بيده ، قائلاً ، وكأنه يتابع حديثه الأول :

ـ إنه ليس عالمًا ماديًا ، يمكنك أن تجده ، فى أية بقعة من الكون ، أو حتى فى أى من الأبعاد المعروفة ،

وغير المعروفة .. إنه عالم خاص .. خاص جدًا ، و .....

قاطعه (رمزى) فى عصبية :

ـ دعنا نختصر هذه المحاضرة الطويلة ، وأخبرنا مباشرة ، أين يقع عالمك ؟

تطلّع إليهما فى حزم صامت طويل ، قبل أن يرفع سبّابته إلى رأسه ، مجيبًا :

ـ هنا .. فى عقولكم .

وكان الجواب مذهلاً بحق ..

جواب يأتى من وراء كل تصوراتهم ..

ومن وراء العقل .

* * *

٨ ـ العقل ..

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يحدق فى وجه الدكتور (جلال) ، هاتفًا فى غضب شديد :

ـ ماذا تعنى بوجود محاولة لتغيير مسار أقمارنا الصناعية الدفاعية ؟! هذا لا يمكن أن يشير إلا لمحاولة غزو أو احتلال !

أجابه الدكتور (جلال) ، فى توتر شديد :

ـ إنها محاولة داخلية .. بعضهم تمكن من اختراق الشفرة السرية لنظام الأمن كله ، ودخل إلى خط تشغيل الأقمار الصناعية ، ثم راح يعدل مسار ثلاثة من أقمارنا الدفاعية .

هتف القائد الأعلى :

ـ إنها محاولة غزو .. سأطلق إشارة الطوارئ القصوى على الفور ، وأبلغ السيد رئيس الجمهورية ، و ...

قاطعه الدكتور (جلال) :

ـ ألا ترغب فى معرفة الهدف أولاً ؟!

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ هدف الغزو ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل الهدف الذى اتجهت إليه الأقمار الدفاعية الثلاثة ، التى تم تغيير مسارها .

سأله القائد الأعلى فى عصبية :

ـ وما هو ؟! رياسة الجمهورية ، أو وزارة الدفاع ، أم ...

قاطعه الدكتور (جلال) :

ـ فيلا الدكتور (رانف عبيد) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يكرر :

ـ فيلا (رانف عبيد) .

ثم انتفض فى غضب ، هاتفًا :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

ـ أخشى أن فريق (نور) متورّط فى هذا .

هتف القائد الأعلى ، فى انفعال بلغ ذروته :

ـ فريق (نور) ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد اخترقت (نشوى) نظام الأقمار الصناعية من قبل ، ثم إننى قد راجعت الموقف ، وكشفت أن (سلوى) قد غادرت المستشفى ، بعد ساعات قليلة من وضعها لابنها ، وكمبيوتر الأمن يشير إلى أنها وابنتها فى مقر الفريق ، منذ عدة ساعات .

بدا التوتر الشديد على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا أمر بالغ الخطورة .. العبث بنظام الأقمار الصناعية الدفاعية ، دون إذن مسبق من وزارة الدفاع ، يندرج تحت بند الخيانة .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ لا يوجد تفسير آخر .. ثم إنهما لن تباليا بالنتائج ، ما دامتا تسعيان لإنقاذ (نور) ، فهو زوج إحداهما ووالد الأخرى .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وقال :

ـ لن يعفيهما هذا من النتائج .

تنهّد الدكتور (جلال) ، وقال :

ـ ماذا تقترح ؟!

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، دون أن يجيب ، فتابع الدكتور (جلال) فى حذر ، وهو يتفحّص ردود فعله جيدًا :

ـ لو اتخذنا الإجراءات الرسمية ، سيحتم هذا محاكمتهما بتهمة الخيانة ، مما قد يترتّب عليه إيقاف فريق (نور) كله عن العمل ، ولو تغاضينا عن الأمر ، قد نتعرّض نحن للمساءلة ، إذ إن أجهزة وزارة الدفاع قد رصدت ما يحدث حتمًا ، كما رصدته أجهزتنا .

صمت القائد الأعلى طويلاً ، وهو يفكّر فى عمق شديد ، فكرر الدكتور (جلال) ، فى خفوت أكثر :

ـ ماذا تقترح يا سيدى ؟!

شد القائد الأعلى قامته ، ورفع رأسه فى اعتداد ، وشبك كفيه خلف ظهره ، قائلا :

ـ فى مثل هذه الأمور ، لا توجد أية مقترحات يا دكتور (جلال) .. إننا لسنا هنا لإصدار الأحكام ، وإنما للقيام بواجبنا فحسب .

سأله الدكتور (جلال) ، فى حذر أكثر :

إذن ؟!

شد القائد الأعلى قامته أكثر ، وقال فى حزم حاسم :

ـ اتخذ الإجراءات الرسمية .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) فى انزعاج شديد ، ثم لم يلبث أن عض شفته السفلى ، قائلا :

ـ القرار لك .

ثم غادر المكان ، وهو يعلم أنه فى طريقه لإصدار حكم بالإعدام ..

إعدام فريق (نور) ..

بأكمله ..

* * *

بذهول تام ، حدق (نور) و(رمزى) فى وجه الدكتور (رالف) ، قبل أن يغمغم الأول ، بلهجة حملت كل توتره واستنكاره ، وعجزه عن التصديق :

ـ فى عقولنا ؟! هل تعنى أن عالمكم كله يكمن فى عقولنا ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابا ، وقال :

ـ بالضبط ..

هتف (رمزى) :

ـ مستحيل !

رمقه الرجل بنظرة هادئة ، قبل أن يقول :

ـ أنتم لا تدركون وجودنا قط ، ولكننا نعلم دوما أنكم عائلنا الوحيد .. عالمنا كله يحيا من خلال عقولكم فحسب .. كل مخلوق على سطح كوكبكم يمنحنا فرصة فى البقاء ، وكل شخص يموت منكم ينتزع منا لمحة من الحياة .. إننا آمالكم وأحلامكم وخيالاتكم وطموحاتكم ، وحتى غضبكم وعنفكم وشروركم ..

هتف (نور) ، وصوته ما زال يحمل الاستنكار وعدم التصديق :

ـ كل ما تتحدث عنه أمور معنوية بحتة .

ابتسم العالم ، قائلاً :

ـ بالنسبة لعالمكم وحده ، أما بالنسبة لنا ، فهى كياتنا كله .

ثم مال إلى الأمام ، ولوّح بسبّابته ، مستطردًا :

ـ وتذكّر أننى أخبرتك منذ البداية ، أن عالمنا ليس ماديًا ، وأنه من العسير عليكم استيعاب طبيعته .

هتف (رمزى) فى عصبية :

ـ بالنسبة لى هذا مستحيل !

قلب شفتيه ، قائلاً :

ـ عجبًا ! المفترض أن تكون أوّل من يستوعب الموقف كله ، باعتبارك طبيبًا نفسانيًا .

سأله فى حيرة :

ـ وما صلة هذا بذاك ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ إننا المسئولون عن كل ما يعانيه مرضاك .. نحن الأوهام والخيالات التى يرونها ، والأصوات الخفية التى يسمعونها .. نحن إحباطاتهم ، ووسواسهم ، واكتئابهم .. المتمردون منها هم الذين يصنعون بعقولكم كل هذا .

قال (رمزى) فى ذهول :

ـ مستحيل ! كل هذه الأمراض لها أسباب علمية ومنطقية .

أجابه الرجل فى حزم :

ـ كل هذه الأمراض تنشأ من خلل فى الاتصال ، بين عالمنا وعالمكم .. خلل يجعل من تطلقون عليهم اسم المرضى ، قادرين على الغوص فى أعماق عقولهم ، حتى حافة عالمنا .

حدّق فيه (رمزى) فى ذهول ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لا .. لا يمكننى تصديق هذا أبدًا .

تراجع الدكتور (رالف) مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لكما ؟!

نقل (نور) بصره بينهما لحظة ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ فليكن .. لسنا بحاجة لفهم هذا الأمر أو استيعابه .. المهم الآن هو أن نجد وسيلة للقضاء على (ألفا) هذا ، قبل أن ينطلق خارج نطاق الطاقة هذا .

هزّ الدكتور (رالف) رأسه ، قائلاً :

ـ الوسيلة الوحيدة للقضاء عليه ، هى النار .

ثم أضاف ، ملوّحًا بيده :

ـ وهذا خلال وجوده داخل نطاق الطاقة .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ وماذا لو تجاوزه ؟!

تنهّد فى توتر شديد ، مجيبًا :

ـ ستصبح كارثة .

وهزّ رأسه فى قوة ، وكأنما يحاول نفض الفكرة عن ذهنه ، قبل أن يضيف فى توتر أكثر :

ـ فلن توجد عندئذ وسيلة للقضاء عليه .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! هذا يعنى أن الوقت ليس فى صالحنا حتمًا .

واستدار يلقى نظرة على أعمدة الطاقة ، المحيطة بالفيلا ، مستطردًا :

ـ صحيح أننى أجهل نوع الطاقة ، التى تعمل بها هذه الأجهزة ، ولكنها ليست أبدية حتمًا ، وليست ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعثت فى الفناء فرقعة مكتومة ..

ثم انطفأت رءوس الأعمدة المتألّقة دفعة واحدة ..

وفى اللحظة نفسها ، نهض ذلك الكائن الأسود ، من وسط المياه ، التى تغمر الفناء ..

نهض كوحش ينبعث من أعمق أعماق المحيط ، واندفع بكل قوته وسرعته نحو نطاق الطاقة ، الذى توقّف تمامًا عن العمل ..

وكان هذا يعنى أن نهاية العالم قد بدأت ..

وأن المصير الذى ينتظر الأرض صار مظلمًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« باسم القانون .. نلقى القبض عليكما .. »

اقتحم رجال أمن المخابرات العلمية حجرة الفريق ، وقائدهم يطلق العبارة ، بكل صرامته وقوته ، فوثبت (نشوى) من مقعدها ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! ليس بهذه السرعة .

أما (سلوى) ، فقد اندفعت إلى الأمام ، وضغطت أحد أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ أوقفوها .

تراجعت هاتفة :

ـ لا .. دعوا البرنامج يعمل .. لقد أوقفت نطاق الطاقة على الفور .. امنحونا فرصة للاتصال بـ (نور) .

أجابها فى توتر :

ـ هذا ليس قانونيًا .

صاحت فى غضب :

ـ فليذهب القانون إلى الجحيم .. المهم هو أن ننقذ الجميع .

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ خطأ يا سيّدة (سلوى) .. خطأ .. القانون هو الدرع الذى يحمينا جميعًا .. النظام الذى يخضع له الكل ، ويطيعه المجموع ، فى سبيل الفرد ، والفرد فى سبيل المجموع ، ولو اعتدنا تجاوزه ، بحجة أنه لا يناسب ما نسعى إليه ، سينهار النظام بأكمله ، ولن يمكن لمخلوق واحد أن يشعر بالأمن والأمان .

قالها ، وهو يتجه نحو جهازها ، فهتفت معترضة طريقه :

ـ هذه حالة استثنائية تمامًا .. الفريق محاصر فى مكان نجهل ما يحدث فيه بالضبط ، وإتمام الاتصال ،

بيننا وبين أحد أفراده ، هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة حقيقة الأمر .

بدا عليه التردد ، وهو يقول :

ـ ولكن القانون ، والأوامر ..

صاحت :

ـ أيهما أكثر أهمية .. القانون والأوامر ، أم العدل والنتائج ؟!

تردد لحظة أخرى ، فقال قائد فريق الأمن في صرامة :

ـ بالنسبة لنا ، الأمر محسوم تمامًا يا سيدتي .

ثم ارتفعت فوهة مسدسه ، وهو يضيف :

ـ إننا نطيع القانون والأوامر وحدهما .

صرخت :

ـ لا ..

ولكن الرجل ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الأشعة ..

وانفجر جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..

واتسعت عينا (نشوى) ، وهي تصرخ :

ـ يا إلهي ! يا إلهي !

أما (سلوى) ، فقد انهارت هاتفة :

ـ أضعتم آخر أمل .. آخر أمل ..

وفي نفس اللحظة ، التي انطلق فيها هتافها ، كان الكيان الأسود ينطلق بأقصى سرعته ، نحو نطاق الطاقة ، الذي توقف عن العمل ..

وكاد يتجاوزه بالفعل ، و ...

وفجأة ، عادت الرءوس المستديرة تتألق ..

وانطلقت تلك الفرقعة المكتومة ..

ومع انطلاقها ، خُيِّل لـ (نور) و(رمزي) أن صاعقة قد انطلقت من الأعمدة ، وهوت على الكيان الأسود ، الذي أطلق صرخة هائلة ، وهو يطير من مكانه ، ليسقط وسط الماء ..

داخل نطاق الطاقة ..

وانطلقت تلك الفرقعة المكتومة .. ومع انطلاقها ، خُيِّل لـ (نور) و(رمزى) أن صاعقة قد انطلقت من الأعمدة ، وهوت على الكيان الأسود ، الذى أطلق صرخة هائلة ..

وهتف (رمزى) ، بلهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ولكن الكيان الأسود هب من مكانه ، وبرز مرة أخرى وسط الماء ، ورفع عينيه الكبيرتين إليهما ، وراح يطلق صرخات غاضبة عنيفة ، وهو يلوّح بقبضته فى الهواء ، وكأنما يتوعّدهما بالثأر والانتقام ..

ثم اندفع فجأة نحو الفيلا ..

وبحركة آلية ، تراجع (رمزى) هاتفًا :

ـ رباه ! إنه يهاجمنا .

تلفّت (نور) حوله فى عصبية ، فى حين هتف الدكتور (رائف) :

ـ لقد أصابته صاعقة أخرى .. أليس كذلك ؟!

أجابه (رمزى) فى عصبية عنيفة .

ـ بلى .. صاعقة عنيفة .

امتقع وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! ستضاعف وحشيته وشراسته عدة مرات ، وسيهاجم كوحش كاسر .

سأله (نور) فى عصبية :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟!

هزّ رأسه فى أسى ، قائلاً :

ـ النار .. الوسيلة الوحيدة للقضاء عليه هى النار .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يصرخ فى أعماقه ..

النار هى الوسيلة الوحيدة ..

النار .. النار .. النار ..

ولم يدر لماذا استعاد عقله بغتة ـ فى تلك اللحظة ـ تفاصيل حديثه الأخير مع الدكتور (رانف) ، قبل أن ينتقلا إلى تلك الحجرة ..

أو بمعنى أدق ، مع ذلك الكيان فى أعمق أعماق عقله ..

« كيف عرفت لحظة اختراقى لعقله أيها المقدّم ؟! »

نطقها الدكتور (رانف) فى دهشة ، وهو ينقل حيرة الكائن إلى لسانه وملامحه ، فأجابه (نور) عندئذ :

صرخاتك توقّفت فجأة دون مبرّر ، عندما كانت تلك الأجسام المضادة تهاجمنا ، وبدا عليك هدوء مباغت ، كما لو أن الأمر كله لم يعد يعنيك ، فمن الواضح أن ذلك السائل الأسود لن يُنبت وحوشه بالنسبة لك .. لقد تناثر على جسدك ، دون أن تبالى حتى بإزالته ..

قال الدكتور (رانف) :

ـ هكذا فقط .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ حديثك أيضًا بدأ يتخذ منحنى آخر ، منذ تلك اللحظة ، وبدأت تتحدّث بلغة العليم ببواطن الأمور ، ثم إن (كاظم) بدأ يعاملك بعض المرات بروح عدائية غير مفهومة ، على الرغم من أنك تعتبره بمثابة ابنك ، وهو يعتبرك كل عائلته ، كما اخبرتنا من قبل .

تنهّد ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .. لقد قرأ أفكارى ، وأدرك من أنا ، وكاد يهاجمنى بالفعل ، متصوراً أننى قد أسأت إلى الدكتور (رائف) ، ولكن عقليته المتطورة جعلته يستوعب الأمر بسرعة مدهشة ، عندما امتزجت أفكاره بأفكارى ، وأدرك من أنا حقاً ، وما الذى أتى بى هنا ؟! وعرف أننى لا أمثل له أو لوالده الروحى أية مخاطر .. بل وربما أدرك أن وجودى فى عقل الدكتور (رائف) ، هو الضمان الحقيقى لنجاته من (ألفا) ؛ لأنه لن يتمكن من قتلى أبداً .

« لن يتمكن من قتلى أبداً .. »

« أبداً .. »

« أبداً .. »

تردّدت الكلمات الأخيرة فى رأس (نور) ، فى تلك اللحظة بالذات ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وأدار عينيه بحركة حادة ، ليدير بصره فى كل من فى المكان ..

الدكتور (رائف) ..

و (رمزى) ..

و (كاظم) و(أكرم) الفاقدى الوعى ..

وانطلق عقله يعمل كالصاروخ ..

ويستعيد كل ما حدث ، منذ وصلوا إلى الفيلا ..

كل موقف ..

كل حديث ..

كل كلمة ..

بل كل حرف ..

ثم هتف فجأة :

ـ أسرع يا (رمزى) .. أسرع .

لم يدر (رمزى) ماذا يريد (نور) بالضبط ..

ولكنه أطاعه دون مناقشة ..

كالمعتاد ..

ثقته الشديدة به كقائد ، كانت تدفعه إلى طاعته ، فى المواقف الحرجة كهذه ، دون أن يطرح سؤالاً واحداً ..

وبكل قوته ، راح (نور) يعدو عبر ممرات الفيلا ..

وخلفه انطلق (رمزى) ..

ومن بعيد ، تعالت صرخات الوحش الغاضبة الثائرة ، وهو يحطم كل شىء فى طريقه بلا رحمة أو هوادة ..

كانت وحشيته قد تضاعفت ألف مرة بالفعل ، وتحولت عيناه الكبيرتان إلى أتونين مشتعلين بالدم والنار ..

فشله فى الخروج من نطاق الطاقة أصابه بجنون عنيف ..

جنون امتزج بما فعلته به الصاعقة ..

وتحول الوحش إلى شىء هائل ، رهيب ، فظيع ..

شىء لا يمكن الوقوف أمامه ..

على الإطلاق ..

وبتلك الوحشية ، التى فاقت كل الحدود ، اقتحم الحجرة ، التى يجلس فيها الدكتور (رانف) ..

حطم بابها الثقيل بضربة كالقنبلة ، تهشم معها الباب ، وتحول إلى حطام ، تناثر لمسافة واسعة ، قبل أن يثب داخل الحجرة ، ويدير عينيه فيها فى غضب بلغ أقصاه ..

لم يكن أمر (أكرم) و (كاظم) يعنيه ..

فقدانهما لوعيهما ، أخرجهما من دائرة اهتمامه ..

أو اتصاله ..

ربما لأنهما الآن خارج عالمه الحقيقى ..

العالم الذى أتى منه ..

والذى قرر ألا يعود إليه أبدًا ..

أو يسمح له بالاستمرار والبقاء ..

لذا فقد استقر بصره على الدكتور (رانف) ..

أو على الكيان الممتزج بعقله ..

وفى صرامة ، قال الكيان ، على لسان الدكتور (رانف) :

ـ خسرت هذه المرة يا هذا .. لن تظفر بهما أبدًا .

أطلق الكائن صرخة أخرى ..

صرخة حملت كل انفعالاته دفعة واحدة ..

الغضب ..

الثورة ..

الثأر ..

كل الانفعالات ..

ثم ضاقت عيناه الكبيرتان فى شدة ، وهو يطلق لتكوينه العنان ..

وعبر كل شبر فى الفيلا ، انطلقت قدراته الصافية تبحث ..

وتبحث ..

وتبحث ..

كانت تلك أكبر قوة ، اكتسبها فى عالمنا ..

أن يطلق نفسه فى كل مكان ، دون أن يغادر مكانه ..

أعماقه كانت قادرة على رؤية كل شىء ..

حتى ولو أغلق عينيه ..

وفجأة ، رآهما أمامه ..

(نور) و (رمزى) ..

رآهما فى وضوح ، بقدراته وحدها ..

وأدرك أنهما يختبئان ..

وانطلقت من أعمق أعماقه صرخة أخرى ..

صرخة أعلنت عن غضبه ..

ووحشيته ..

وشراسته ..

وهدفه ..

ثم انطلق هو ..

انطلق كفيض من البشر ..

بلا حدود ..

وعبر ممرات الفيلا ، راح يدمّر كل ما يعترض طريقه ..

وما لا يعترض طريقه ..

كان وكأنه يستمتع بالتدمير والتحطيم والخراب ..

دون أدنى هدف آخر ..

وأخيرًا بلغ المكان ، الذى يختبئ فيه (نور) و (رمزى) ..

وبكل العنف والوحشية والشراسة ، حطم بابه ..

ثم وثب إلى الداخل ..

ورآهما أمامه مباشرة ..

وعندما انطلقت صرخته هذه المرة ، كانت تحمل رنة ظفر واضحة ..

وكانت تقطر وحشية وشراسة ..

ومن عينيه ، أطل مصيرهما واضحًا ..

الموت ..

بأبشع وسيلة ، و ..

وبلا رحمة .

* * *

٩ ـ الختام ..

هدأت الأمواج قليلاً ، مع انخفاض غزارة الأمطار ، بعد أكثر من اثنتى عشرة ساعة من الطقس الردىء ..

ولكن هذا لم يعن أن الأمور قد عادت لطبيعتها ..

فالأمطار مازالت تنهمر ، والأمواج تضرب الصخور ، ومستوى المياه فى فناء الفيلا يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

ومن خلف صخور الشاطئ ، برز جسم أسود ..

جسم ضفدع بشرى ، بزيه المطاطى ، وأسطوانة الأكسجين المعلقة خلف ظهره ، ومدفعه الليزرى المضاد للمياه ..

ومن خلفه ظهر ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وتوالى ظهور الضفادع البشرية ، حتى اكتمل عددهم دستة من رجال الكوماندوز البحرية ، بكامل عدتهم وعتادهم ..

وما إن ضمّهم الشاطئ الصخرى ، حتى تحرّكوا بدقة ونظام ، على نحو يوحى بأنهم قد وضعوا خطة محددة ، قبل أن تطأ أقدامهم المكان ، فتفرّقوا فى سرية ، وبانتشار مدروس ، بحيث صنعوا من أنفسهم قوسًا واسعًا ، يتجه نحو نطاق الطاقة بسرعة ثابتة ..

وعندما بلغوا أعمدة الطاقة ، أخرج كل منهم ، من جراب مضاد للماء ، جهازًا إليكترونيًا صغيرًا ، وراحوا يلصقون الأجهزة بتلك الأعمدة الرفيعة ، قبل أن يقول قائدهم ، عبر جهاز اتصال محدود :

ـ من فريق القروش إلى القاعدة .. تم الوصول للهدف ، وتم تثبيت الأجهزة المطلوبة ، فى كل أعمدة الطاقة .

مضت لحظة من الصمت ، ثم انبعث صوت الفريق (يسرى) يقول :

ـ من القاعدة إلى القروش ، حذار من انتزاع أى من أعمدة الطاقة ، وإلا حدث خلل فى الدائرة الإليكترونية ، يؤدى إلى انفجار المكان كله .. اضغطوا أزرار تشغيل الأجهزة ، ثم تراجعوا بسرعة ، لخمسة أمتار على الأقل.

أجابه قائد الفريق :

ـ علمٌ وسينفّذ .

ثم أشار بيده لرجاله ؛ لينقل إليهم أوامر قائده ، وأشار إلى ساعته ، وفرد راحته كلها ، فأومأوا جميعًا برءوسهم علامة الفهم ، مما جعله يضغط زر الجهاز المثبت بأعمدة الطاقة ، ثم يتراجع بأقصى سرعة ..

وفى حركة واحدة تقريبًا ، تبعه فريق الرجال ..

وعندما أصبحوا على مسافة خمسة أمتار ، بدأت الأجهزة الإليكترونية عملها ..

ودوت فى المكان فرقعة جديدة ..

وفى هذه المرة ، لم تكن فرقعة مكتومة ..

بل رنانة ..

وبشدة ..

ولقد بلغ رنينها أذنى الدكتور (رائف) ، فانتفض جسده فى عنف ، وغمغم :

ـ ربّاه ! لقد انهار النطاق .

ومع غمغته ، هوى قلبه بين قدميه ..

أو بمعنى أدق .. هوى كيانه كله ، بين قدمى الدكتور (رائف) ..

فانهيار نطاق الطاقة كان يعنى أن (ألفا) قد تحرّر أخيرًا من أسره ..

وأن بإمكانه أن ينطلق إلى الأرض كلها ..

بلا حدود ..

أو رحمة ..

وهذا يعنى أن العد التنازلى قد بدأ ..

واقتربت نهاية الأرض ..

واقتربت ..

واقتربت ..

* * *

« لقد ارتكبتما خطأ لا يمكن التغاضى عنه قط .. »

نطق القائد الأعلى العبارة ، فى غضب شديد ، وهو يواجه (سلوى) و (نشوى) ، قبل أن يتابع فى حدة :

ـ حتى كونكما تنتميان إلى أهم فريق لدينا ، لا يمنحكما الحق فى اختراق شبكة الأقمار الصناعية الدفاعية ..

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ كنا نسعى لإنقاذ زملائنا .

قال فى غضب :

ـ هناك ألف وسيلة قانونية لهذا .

أجابته (نشوى) :

ـ ولكن لم تكن هناك دقيقة واحدة يمكن إضاعتها .

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا يوجد دليل واحد ، يشير إلى هذا .

هتفت (سلوى) :

- عندما تعمل فى فريق كفريقنا ، فشعورك الـ ...

قاطعها بغضب هادر :

- هذا لن ينقذكما من المحاكمة .. ليس دليلاً يكفى لإثبات حسن النوايا .. وزارة الدفاع لن تقبل بهذا أبدًا .

تبادلت (سلوى) و (نشوى) نظرة متوترة ، قبل أن تقول الأولى فى صرامة :

- لقد فعلنا ما تصوّرنا أنه واجبنا .

هزّ رأسه ، قائلاً :

- هذا لا يكفى للأسف ..

ثم شدّ قامته ، متابعًا فى حزم :

- ربما يمكننى تقدير كل هذا ، من الناحية العاطفية فحسب ، ولكن يؤسفنى أن وزارة الدفاع قد طلبت محاكمة الفريق كله بالفعل ، بتهمة الخيانة ، وهى أبشع تهمة ، يمكن أن يواجهها رجل أمن ، على أى مستوى .

تبادلا نظرة أخرى أكثر توترًا ، ثم سألت (سلوى) بغتة :

- كيف حاول (نور) ؟!

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) فى دهشة ، هاتفًا :

- (نور) ؟!

ثم انخفض حاجباه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة متعاطفة ، وكأنما راق له أن تتجاهل (سلوى) أمر نفسها ، وتُبدى اهتمامها بسلامة زوجها ، فى أحرج مواقف حياتها ..

أما القائد الأعلى ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- لقد أرسلنا فريق كوماندوز بحريًا إلى الفيلا ، والمؤكّد أنهم قد بدءوا مهمتهم بالفعل .

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

- ولكن هذا لن يصنع فارقًا كبيرًا ، فحتى لو نجا (نور) ، مما يمكن أن يواجهه فى تلك الفيلا ،

فالمصير الذى ينتظره سيتشابه كثيرًا - بالنسبة له - مع الموت نفسه .

وانقلبت شفته السفلى فى أسى حقيقى ، مع استطرادته :

- للأسف يا سيدتى .. ما فعلتماه أسدل الستار على فريق (نور) .. إلى الأبد .

ولم تنطق (سلوى) أو (نشوى) بحرف واحد ..

فلأول مرة ، منذ بدأ هذا الأمر ، اعتصرت المرارة الحقيقية قلبيهما ..

بكل قسوة ..

* * *

« إذن فقد جنت أيها الوغد .. »

نطق (نور) العبارة ، فى هدوء مدهش ، وبقدر كبير من السخرية ، على الرغم من الأنياب الحادة ، ذات الأطراف الملوثة بالدم ، والتى تطل عليه ، من بين فكى الوحش ، والمخالب الطويلة المتأهبة والمتحفزة

لتمزيق كل ما تبلغه ، والعينين اللتين تحولتا إلى قطعتين من الدم ، اشتعلت فيهما نيران الغضب ، والثورة ، والشراسة ، والعنف ، والوحشية ..

وأطلق الوحش صرخة غاضبة أخرى ، وهو يزيح المولد القديم عن طريقه ، فتراجع (رمزى) بحركة متوترة ، فى حين واصل (نور) هدوءه وسخريته ، وهو ينتزع مسدسه من غمده ، قائلاً :

- كنت واثقًا من أنك ستجد طريقك إلينا .. قدراتك الوحشية كانت ستقودك إلى هنا مباشرة .

شىء ما ، فى لهجته وأسلوبه ، جعل الوحش يتوقف فى مكانه ، ويتطلع إليه بشىء من الحذر ..

غريزته الوحشية أنبأته بأنه هناك أمر ما ..

أمر يرتكن إليه رجل المخابرات ..

أمر يبعث فى نفسه الهدوء ..

والاطمئنان ..

والثقة ..

وفى نفس السخرية الهادئة ، لوّح (نور) بمسدسه الليزرى ، قائلاً :

ـ أعلم أن الطاقة تمنحك مناعة أكثر ، وقدرة على احتمال آلام أشعة مسدسى ، وحتى الرصاصات العادية ، وأن كل طاقة مسدسى هذا لن تكفى لإيقافك .

زمجر الوحش مرة أخرى ، وتلفّت حوله فى حذر ..

ولكن كل شىء كان عاديًا ..

لم تكن هناك أسلحة فى المكان ..

باستثناء مسدس (نور) الليزرى ..

ولقد اختبر هذا السلاح من قبل ..

أشعته ألمته بشدة فى البداية ..

ثم انخفض الألم ، مع مرور الوقت ..

والآن لم يعد يبالى به ..

وهذا يعنى أن شيئًا لن يوقفه ..

حتى ولو بدا خصمه هادئًا ..

مطمئنًا ..

واثقًا ..

وتألقت عيناه بوحشية ، وهو ينقض على السيارة القديمة ، التى تحول بينه وبين (نور) و(رمزى) ، ويغرس مخالبه فيها ، ثم يزيحها عن طريقه بقوة خارقة ..

كان من الواضح أن قوته أيضًا تضاعفت ..

ألف مرة ..

ولكن حتى هذا لم يفقد (نور) هدوءه واطمئنانه وثقته ، وهو يخفض فوهة مسدسه ، قائلاً :

ـ ولكننى لست أحتاج إلى استهلاك كل طاقة مسدسى .

وقفزت إلى شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يضيف :

ـ تكفى طلقة أشعة واحدة ، تحت قدميك مباشرة .

خفض الكائن الرهيب عينيه الكبيرتين ، وتطلّع فى حيرة إلى السائل المائل للحمرة ، الذى سال على الأرض ، والذى غاصت فيه قدماه ..

كان يختلف عن الماء الذى يغمر الفناء تمامًا ..

يختلف عنه فى شكله ..

ولونه ..

ورائحته ..

ولكن هذا لم يقلقه كثيرًا ..

لقد عاد يرفع عينيه إلى (نور) و (رمزى) ، ويطلق صرخة أخرى ، ارتج لها المكان بأكمله ، و ...

وفجأة ، دوت تلك الفرقعة الرنانة فى الخارج ..

وخفق قلب (رمزى) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! نطاق الطاقة ..

واستقبل الكائن الأسود الهتاف ..

استقبله بطاقته كلها ..

وأدرك ما يعنيه على الفور ..

لقد انهارت الأسوار ، التى تحول بينه وبين هذا العالم ..

وانفتحت أمامه أبواب العالم كله ..

بلا حدود ..

الآن يمكنه أن ينطلق ..

وأن يطلق طاقته كلها فى هذا العالم ، و ...

ولكن (نور) كان قد أطلق أشعته بالفعل ، فى نفس اللحظة التى دوت فيها تلك الفرقعة الرنانة ..

أو قبلها بجزء من الثانية ..

أطلقها نحو ذلك السائل ، الذى تحت قدمى الوحش مباشرة ..

نحو البنزين ، الذى أفرغه من سيارة الدكتور (رائف) القديمة ..

واشتعل البنزين ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها الفرقعة الرنانة ، وانطلقت كل الطموحات الوحشية ، فى أعماق الوحش الأسود ، انقضت عليه النيران ..

وتحوّل جسده ، فى لحظة واحدة ، إلى شعلة من اللهب ..

وتحوّل جسده ، فى لحظة واحدة ، إلى شعلة من اللهب ..

وانطلقت صرخاته هائلة رهيبة هذه المرة ، حتى إنها بلغت آذان رجال الكوماندوز البحرى فى الخارج ، فانعقد حاجبا قائدهم ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! ما هذا بالضبط ؟!

ثم أشار بيده إلى رجاله ..

واندفع الجميع نحو الفيلا ..

أما الوحش ، فقد راح يطلق صرخاته الرهيبة ، وهو يضرب كل ما حوله ، محاولاً إطفاء النيران ، التى اشتعلت فى جسده ، فى آخر لحظة ، يمكن خلالها إصابته ..

ثانية واحدة أخرى ، وكان سيكتسب مناعة أبدية ..

انهيار نطاق الطاقة كان سيطلق أقوى طاقاته من عقالها ..

وكان سيتحوّل عندئذ إلى طاقة صافية ..

طاقة تنطلق فى كل مكان ..

بلا حدود ..

أو محاذير ..

طاقة لا يمكن أن تفنى أبدًا ..

ولكن الآن ضاع كل شيء ..

ضاع ..

ضاع ..

ومرة أخرى ، أطلق صرخاته الرهيبة ، وهو يندفع نحو جدار المخزن الخلفى ..

كانت أمامه فرصة واحدة ، ليستعيد كل شيء ..

ويربح المعركة كلها ..

المياه ..

تلك المياه ، التى تغمر الفناء الخلفى ، بارتفاع نصف المتر ..

سيحطّم الجدار ، ويلقى نفسه فيها ..

وستنطفئ النيران ..

وينطلق ..

وبكل قوته الخارقة ، اندفع يحطّم الجدار ، و ...

« أطلقوا النار .. »

انطلقت صيحة قائد فريق الكوماندوز البحرى ، فور انهيار الجدار ..

وانطلقت رصاصات وأشعة رجال الكوماندوز ..

بمنتهى السخاء ..

والغزارة ..

وارتطمت كلها بجسد الوحش ، فى آن واحد .

وانطلقت منه صرخة أشدّ عنفًا ..

وغضبًا ..

ويأسًا ..

وارتدّ جسده إلى الخلف ، على الرغم منه ، مع قوة الضربات ..

وتفجّر السائل الأسود من جسده فى عنف ..

ولكنه لم يكد يلمس النيران ، حتى اشتعل بدوره ..

وتضاعفت ألسنة اللهب ..

وواصل الرجال إطلاق نيرانهم ، فى غزارة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وراح الوحش يتراجع ، وهو يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

ثم لم يلبث أن سقط ..

وتضاعفت ألسنة اللهب أكثر وأكثر ..

وتوقّف الرجال عن إطلاق نيرانهم ، واقتربوا فى حذر ، يتطلّعون إلى ذلك الكيان الأسود ، الذى استحال إلى كومة سوداء ، تلتهمها النيران بلا رحمة ..

ومع بشاعة المشهد ، وتلك الرائحة الرهيبة المنبعثة ، لاذ الجميع بالصمت التام ، وراحوا يراقبون النيران ، وهى تلتهم الشر المجسّم ، وتعلن أن فريق (نور) قد أنقذ العالم مرة أخرى من خطر جديد ..

خطر كان يكمن هناك ..

وراء كل الأخطار ..

ووراء العقل ..

البشرى ..

* * *

هبطت هليوكوبتر الإسعاف على سطح الفيلا ، بعد أن توقّفت الأمطار تمامًا ، فى الحادية عشرة صباحًا ، وقفز منها الطبيب ، مع اثنين من المسعفين ، وهو يهتف :

ـ من يحتاج إلينا أكثر ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لدينا مصابان ، يحتاجان إلى العناية الطبية ، ولقد خاط زميلى جراحهما ، وتمكّن من إنقاذ حياتهما ، إلا أن نقلهما إلى المستشفى ما زال ضروريًا للغاية .

سأله الطبيب ، والمسعفان يهرعان لنقل (أكرم) و(كاظم) إلى الهليوكوبتر ، بمعاونة رجال الكوماندوز البحرى .

وماذا عن الآخرين ؟!

أجابه (نور) :

ـ هناك شخص لقى مصرعه ، ولكن الآخر بخير .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ تقريبًا .

سأله الطبيب فى دهشة :

ـ ما الذى تعنيه كلمة تقريبًا هذه ؟!

تنهَّد (نور) ، وربَّت على كتفه ، قائلاً :

ـ لا عليك يا رجل .. قم بعملك ، واترك لنا عملنا .

حدَّق الطبيب فى وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ فليكن .

ثم انطلق يشرف على عملية نقل (أكرم) و(كاظم) ، وهتف (رمزى) :

ـ سأصحبهما إلى المستشفى .

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

ارتفعت الهليوكوبتر بالجميع ، وعاد رجال كوماندوز البحرية ينتشرون فى الفيلا ، بحثًا عن أية آثار للسائل الأسود ، بعد أن استوعبوا الموقف كله . فهبط (نور) إلى الطابق الأول ، حيث جلس الدكتور (رائف) ، ووقف يتطلَّع إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ إذن فلست تذكر شيئًا مما حدث يادكتور (رائف) .

هزَّ العالم رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا .

ثم تنهَّد ، مضيفًا :

ـ آخر ما أذكره هو تلك المخلوقات المخيفة ، وهى تهاجمنا ، وبعدها وجدت نفسى فى الحجرة الكبيرة ، و(كاظم) و(أكرم) مصابين ، وفاقدى الوعى ، على قيد أمتار منى .

تطلَّع إليه (نور) طويلاً مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ سيقومون بفحصك حتمًا ، فى مركز الأبحاث العلمية .

أومأ الرجل برأسه ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى .

قال (نور) ، وهو يفحص ملامحه جيدًا :

ـ هل تعتقد أنه سيبقى ؟!

سأله :

ـ من هو ؟!

أشار (نور) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ ذلك الكائن القادم من وراء العقل .

هزّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

ـ ولماذا يبقى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إنها فرصة لا يمكن تكرارها قط .. لقد وجد الفرصة للقفز إلى عالمنا ، فى سابقة مدهشة ، وغاص فى عقل أفضل علماء العالم ، فى مجال العقل والاتصالات الخارقة ، وصاحب الجهاز الذى أتى به إلى هنا ..

هل تعتقد أنه من السهل أن يتخلى عن كل هذا بهذه البساطة ؟!

صمت الدكتور (رالف) بضع لحظات ، ثم قال :

ـ لست أعتقد عالمنا سيروق له .

سأله (نور) فى حذر :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

استدار إليه الدكتور (رالف) ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ الذى أعتقده هو أن العالمين عاشا منذ الأزل ، دون أن يفسد أحدهما الآخر ، حتى سعينا نحن إلى اقتحام عالمهم ، متصورين أننا نصنع فتحًا علميًا جديدًا ، ولكن ماذا كانت النتائج ؟!

وأشار بسبّابته ، مستطردًا :

ـ خطر داهم ، كاد يفنى عالمنا كله .

سأله (نور) فى حذر أكثر :

ـ هل تعنى أنك ستتوقّف عن تجاربك ؟!

قال فى حزم :

ـ لست أظننى سأعود إليها ، بعد ما حدث .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ ليس فى الوقت الحالى على الأقل .

تطلّع إليه (نور) طويلاً مرة أخرى ، فى صمت تام ، قبل أن يضع يده على كتفه ، ويقول فى حزم :

ـ لا بأس .. أعتقد أنه ، مهما كان ما حدث ، فهو أفضل مما كان سيحدث ، لو انتصر الآخر .

أجابه الرجل :

ـ بالتأكيد .

ثم استرخى فى مقعده ، وأسبل جفنيه ، وكأنما يعلن إرهاقه ، وعدم رغبته فى مواصلة الحديث ، فربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ سنلتقى فى مركز الأبحاث .

أومأ الرجل برأسه ، دون أن يجيب ، فألقى عليه (نور) نظرة طويلة أخرى ، ثم استدار يغادر المكان كله ..

وفى بطء ، فتح الدكتور (رالف) عينيه ، وتابعه ببصره حتى انصرف ، ثم عاد يغلقهما ، وهو يسترخى فى مقعده أكثر وأكثر ، وعقله يسبح مع عشرات الأفكار ..

من عالمين .

* * *

[تمت بحمد الله]

القـــوة

- ماذا سيفعل ذلك المخلوق الرهيب ، بعد أن عبر عقل (رمزى) إلى عالمنا ؟!
- كيف يواجه (نور) ورفاقه مخلوقا يجهلون نقاط ضعفه تماما ؟!
- ترى كيف يخرج (نور) وفريقه ، من تلك المصيدة الرهيبة ، ومن يفوز فى صراع (القوة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

130

الثمن فى مصر ٢٠٠ مليما بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم ، العاصفة

مطابع دار الهلال